صالح الورداني

تأريخ الشيعة
في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ
عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

المائدة/٨

تقديم

الحديث عن تأريخ الشيعة في مصر لا يعني الحديث عن طائفة وا ٍنما يعني الحديث عن هوية مصر الإسلامية المتمثلة في أهل البيت..

لقد ارتبطت مصر منذ دخولها الإسلام بأهل البيت..

كانت هذه الهوية هى التي حققت لها الأمن والسلام والنهوض والتقدم..

إلا أن أصحاب المذاهب الوافدة والمؤرخين المتعصبين بالإضافة إلى الحكام عملوا على ضرب هذه الهوية وتشويهها..

تم ذلك طوال فترة الحكم الأموي والعباسي ثم الأيوبي والمملوكيو العثماني بعد ذلك..

كان هدف هؤلاء حماية مصالحهم ومذاهبهم لا وطنهم..

وهو ما نراه اليوم من خلال مواقف التيار السلفي الوهابي بفرقه المختلفة صاحب الصوت العال في مصر اليوم والذي ينكر وجود الشيعة وأن لهم جذور فيها..

ويشهد التأريخ بخلاف ذلك..

يشهد بأن الشيعة هم أصحاب الوجود التأريخي الأعمق في مصر..

ويشهد أيضاً بأن هؤلاء لا جذور لهم فيها..

وأنهم يمثلون هوية مذهبية وافدة على مصر منذ عقود قريبةو لا تتوافق مع وجدان المصريين وطبيعتهم..

وهى فرضت نفسها بدوافع سياسية وبأموال النفط..

هؤلاء يريدون محو صفحات بيضاء من تاريخ مصر ليضعوا مكانها صفحتهم السوداء صفحة الارهاب والتطرف والغلو الذي دفعت ثمنه مصر ولا وزالت تدفع..

ولقد مر الوجود الشيعي في مصر بمراحل من المد والجزر طوال فترات العصر الأموي والعباسي والمملوكي والعثماني إلا أنه لم يختف من الساحة المصرية..

وكان جنوب مصر المسمى بالصعيد هو مركز التشيع خاصة في الفترة الفاطمية والفترات اللاحقة للعصر الأيوبي..

ولا تزال البصمة الشيعية قائمة فيه حتى اليوم..

وفي عصر الخديوي برز التشيع على يد الهجرات الإيرانية لمصر..

وفي منتصف الأربعينات على يد بعض الطرق الصوفية كالطريقة البكتاشية وجماعة التقريب بين المذاهب..

وقد استمر هذا النشاط حتى فترة السبعينات حيث ظهرت جمعية آل البيت بجوار نشاط جماعة التقريب وبعض الأنشطة الوافدة من العراق وا يران..

إلا أنه بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران تغير الوضع ودارت الدائرة على الشيعة وتم وقف جميع هذه الأنشطة..

وباندلاع الحرب العراقية الإيرانية ووقوف مصر إلى جانب العراق في هذه الحرب اشتدت الحملات الدعائية ضد الشيعة وا يران..

وتحولت مصر إلى ساحة لهذه الحرب الدعائية التي استخدمت فيها المنابر والصحف والإذاعات ودور النشر ثم الأزهر..

وقام التيار السلفي بدور بارز في هذه الحرب..

وأثناء هذه الحرب برزت ظاهرة المتحولين من السنة إلى الشيعة من بين شباب الجماعات الإسلاميةالذين شكلوا تياراً جديداً أخذ مكانه بجوار التيارات البارزة في دائرة الحركة الإسلامية في مصر..

وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه الرأي العام والدوائر المتربصة بالشيعة ووجهت الحكومة أولى ضرباتها لهذا التيار فيما سمى بالتنظيم الشيعي الخميني الأول..

وتوالت بعدها الضربات تحت نفس المسمى..

وما يجب ذكره هنا هو أن هذه الضربات كانت دوافعها أمنية وسياسية

بهدف وقف تأثير المد الثوري القادم من إيران..

ويمكن القول أن حركة التشيع في مصر اليوم قد أخذت دفعتها الكبرى بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران ، ثم ظهرت بعد ذلك بعض العوامل المساعدة على رأسها الأزمة الأفغانية وأزمة الخليج..

كانت الأزمة لأفغانية قد عرت الحكومات و السلفيين المخاصمين للشيعة المتربصين بها..

وجاءت أزمة الخليج وغزو الكويت وما ترتب عنها لتعريهم أكثر..

ومع بروز ثورة الاتصالات برزت كلمة الشيعة بقوة وأصبحت في مواجهة كلمة السلفيين وشكلت إزعاجاً كبيراً لهم..

و لا توجد هناك إحصائية دقيقة بعدد الشيعة في مصر اليوم فهم منتشرون في كل بقاعها دون أن تكون لهم نشاطات ظاهرة..

وليسالهدف من در استنا هذه هو رصد حركة التشيع في مصرجغرافيا وًعددياً ، بل الهدف هو إلقاء الضوء على جانب مجهول من تاريخ مصر لازال يلقى بظلاله على الواقع..

و الإجابة على العديد من التساؤلات التي تدور في الأذهان:

هل التشيع ظاهرة طارئة على المجتمع المصري..؟

أم لها جذورها العميقة فيه..؟

و هل تفاعلت مصر مع التشيع وتعايشت معه، أم تنافرت منه وتباعدت . . ؟

وهل ترك الشيعة بصمة بارزة فيها أم كانوا مجرد ظاهرة عابرة...؟

وهل السلفية التي تقود الحملة ضد الشيعة اليوم صاحبة جذور في مصر..؟

والإجابة على هذه التساؤلات و غيرها يتطلب منا استعراض تأريخ الشيعة وتأريخ خصومهم أيضاً..

واستعراض ما أمكن من النصوص والشواهد التي تتعلق بانجازاتهم و دورهم في مصر..

ولله الحمد والشكر ومنه التوفيق والسداد..

صالح الورداني

القاهرة

s werdani @ yahoo. Com

مدخل

من هم الشيعة..؟

كان من نتيجة الحملات الدعائية التي شنت على الشيعة عبر التاريخ والشائعات التي أحاطت بهم أن تمتشويههم و عزلهم عن المسلمين..

ويعود السبب في ذلك إلى رفض الشيعة مسايرة نموذج الإسلام الذي ساد واقع المسلمين بعد رحيل الرسول (ص) والاعتراف برموزه من الصحابة والتابعين والحكام.. وحصر هم مصدر تلقي الدين في محيط أهل البيت وحدهم..

ولعل هذا هو ما دفع بخصومهم من الفقهاء إلى تسميتهم بالرافضة..

وقد تجاوز الفقهاء حدود الموقف النظري المتطرف تجاه الشيعة وحرضوا الحكام على البطش بهم وقتلهم..

وكانت التهمة المعتادة التي كانت تراق على أساسها دماء الشيعة في الماضي هى سب الصحابة دون أن يكون هناك دليل شرعي صريح يبرر إراقة دمائهم..(١)

وقد تحصن الشيعة بالعديد من النصوص القرآنية والنبوية التي برروا بها موقفهم وبنوا على أساسها مذهبهم..(٢)

إلا أن الحكام والفقهاء لم يتسامحوا معهم ولم يقبلوا منهم هذا الموقف، ودفع بهم الخوف من أطروحتهم وأفكارهم إلى السعي للبطش بهم واستئصالهم..

روى ابن مسكويه عن فتنة بغداد أيام المطيع لله:وقلّد سبكتكين شرطة ببغداد حاجباً له فسكنت الفتنة مدة أيامهإلا أنّه تعصّب للطائفة المنتسبة إلى السنّة على الشيعة فثار أهل التشيع..

وكان فى حجابه رجل يعرف بصافى ذميم الأخلاق دنىّ النفس يتعصب لأهل السنة، فضرب محلة الكرخ ،وهي مجمع الشيعة ومعظم التجار بالنار ،فعظم الحريق وتلفت البضائع،وصارت المضرّة على الرعية فيما دبّره سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها..(٣)

(١)انظر تفاصيل هذه المسألة في كتابنا: الكلمة والسيف، وكتابنا: الخلفاء والإسلام..

(٢)انظر لنا عقائد السنة وعقائد الشيعة: التقارب والتباعد وسيأتي بيان ذلك..

(٣)انظر تجارب الأمم وتعاقب الهمم ج٦ حوادث سنة ٣٦١هـ

وروى ابن الأثير حوادث سنة ٤٠٧ هـ السَّنَةِ ، في رَمَحٍ ، قُلْتُ الشِّيعَةُ بِجَمِيعِ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ ..

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُعِزَّ بْنَ بَرَكِبَ وَمَرْقِيَّ الْقَوْمِ النَّاسَ يُمِيُونَ عَلَيْهِ
عُونَ لَهُ ، فَاجْتَازَ بِجَمَاعَةٍ ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقِيلَ رَوَافِضَةٌ أَيَّامَ بَكْرٍ وَعُمَرَ
الَ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ! فَانْزَفَتْ الْعَامَّةُ مِنْهَا إِلَى بَدِ الْمُعَلَّى
الْقَيْرَوَانِ ، وَهُوَ مَكَانٌ تَجْتَمِعُ بِهِ الشِّيعَةُ فَقُتِلُوا ، وَمِنْ كَانَ شَذَلِكَةَ الْعَسْكَرِ
بَاعِهِمْ ، طَمَعًا فِي النَّهْبِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِي الشِّيعَةِ فِيهِ ، وَأَغْرَمَ عَامِلُ
الْقَيْرَوَانِ وَحَرَّضَهُمْ ..

سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَصْلَحَ أُمُورَ الْبَلَدِ فَلَمَّا عَزَّ أَنَّ بَيْنَ يَدِيدُ عَزْلَهُ
دَ فَسَادَهُ ، فَقُتِلَ مِنَ الشِّيعَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَأَوْقَعُوا بِالرُّهْدِ ، وَقُتِلُوا فِي
عِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الْقَرَنْبِ وَالْقَيْرَوَانِ فَتَحَصَّنُوا بِهِ
صَرَهُمُ الْعَامَّةُ وَضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ فَاشْتَدَّ عَمَلُهُمْ فَأَقْرَعُوا النَّاسُ يَقْتُلُونَهُمْ
قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَلَجَأَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ إِلَى الْمَدَايَةِ إِلَى مُلْكِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، وَكَانَتِ
الشِّيعَةُ تُسَمَّى بِالْمَغْرِبِ الْمَشَارِقَةَ نِسْبَةً إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيعِيِّ ، وَمِنْ كَ الْمَشْرِقِ ،
رَ الشُّعَرَاءُ ذِكْرَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ فَمِنْ فَرِحٍ وَمِنْ بَاكٍ حَزِينٍ ..(١)

(١)انظر الكامل في التأريخ ج٧

وروى أبو شامة قصَّد نور الدّين حلب فملكها وَأظْهر بها السّنّة وَبَرَ الْبِدْعَة الَّتِي كَانَت لَهُم فِي التأذين وقمع بهَا الرافضة..

وروي: رسخة ثلاث وأربعين وخمسمائة ورد الخبر من نياحة حلب بأن صاحبها نور الدين بن أتابك أمر بابطال حي على خير العمل في أخر يأذن الغداة والتظاهر بحسابه وأنكر ذلك إنكاراً شديداً..

وساعده على ذلك جماعة من السنة بحلب وعظم هذا الأمر على الإسماعيلية وأهل التشيع وضاقت له صدورهم وهاجوا له وماجوا ثم سكنوا وأحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة..

وروي أنه قد أذل الشيعة بحلب وأبطل شعارهم وقوى أهل السنة وكان لابن أبي طي من رؤوس الشيعة فنفاه من حلب..(١)

وروى ابن كثير: أن كل بأمره ضرب رجل من أعيان أهل بغداد فضرب ضربا شديدا مبرحا يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات ذلك أنه شهد عليه بدعة شر رجلا عند قاضي الشرقية بي أحسن أن يناديه أنه شتم أبا وبكر وعمر وعائشة فصة..(٢)

وروى الذهبي: أن المتوكل نظر إلى لديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت: من أحب إليك، هما أو الحسنين..؟

قال: قنبر يعني لي علي خير منهما..

قال: فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى كاد يهلك، فبقي ما ومات..(٣)

(١) انظر عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ج١ فصل وج٢

(٢) انظر البداية والنهاية ج ١٠ حوادث عام أربع وعشرين ومائتين..

(٣) انظر تأريخ الإسلام حرف الياء ترجمة رقم ٦٠٤، وانظر تأريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة المتوكل..

ومن هذا كثير في تأريخ المسلمين..

ولازال الحكام والفقهاء على هذا الموقف حتى اليوم..

– تعريف اللغة

يقول ابن دريد (ت سنة ٣٢١هـ(: فلان من شيعة فلان أي: ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعاً إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً إذا مالأته عليه.. (١)

وقال الأزهري (ت سنة ٣٧٠هـ(:والشيعة أنصار الرجل وأتباعه وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة. والجماعة شيع وأشياع، والشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويوالونهم..

وشيّعت النار تشييعاً إذا لقيت عليها ما تذكيها به..

ويقال: شيعت فلاناً أي: خرجت معه لأودعه..

ويقال: شيعنا شهر رمضان بست من شوال أي: أتبعناه بها..

وتقول العرب: آتيك غداً، أو شَيعَهُ أي: اليوم الذي يتبعه، والشيعة التي يتبع بعضهم بعضاً، والشيع الفرق الذي يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين.. (٢)

وقال الجوهري (ت سنة ٤٠هـ(تشيّع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَع قال ذو الرُّمة: استحدث الركب عن أشياعهم خبراً .. (٣)

وقال ابن منظور (ت سنة ٧١١هـ(: الشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شِيَعٌ، وأشياع جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكور والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة..

والشيعة: قوم يرون رأي غيرهم، وتشايع القوم صاروا شيعاً، وشيّع الرجل إذا ادعى دعوى الشّيعة، وشايعه شياعاً وشيّعه تابعه، ويقال: فلان يشايعه على ذلك أي: يقويه.. (٤)

(١) انظر جمهرة اللغة ج ٦٣/٣

(٢) انظر تهذيب اللغة ج ٦١/٣

(٣) انظر الصحاح ج ١٢٤٠/٣

(٤) انظر لسان العرب: مادة: شيع

وقال الزبيدي (ت سنة ١٢٠٥هـ(: كل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة، وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة، وقيل: عين الشيعة واو من شوع قومه إذا جمعهم. وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى علياً وأهل بيته.. (١)

و ورد لفظ الشيعة في وثيقة التحكيم بين الإمام علي، ومعاوية ، حيث أطلق على أتباع علي شيعة، كما أطلق على أتباع معاوية شيعة، ولم يختص لفظ الشيعة بأتباع علي ّ ..

ومما جاء في صحيفة التحكيم:هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وشيعتهما..

و فيها : وأن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمرو بن العاص..

فإذا توفي أحد الحكمين فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه..

وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فلشيعته أن يختاروا مكانه رجلاً يرضون عدله..(٢)

و روى أن معاوية قال لبسر بن أرطأة حين وجهه إلى اليمن: امض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة..(٣)

وقال ابن الجوزي:فهي أول حرب كانت بين الشيعة العباسية وشيعة بني مروان..(٤)

(١) انظر تاج العروس ج٥/٤٠٥

(٢)انظر الأخبار الطوال للدينوري، وتاريخ الطبري وكتب التأريخ..

(٣) انظر وقعة صفين في كتب التأريخ..

(٤)انظر المنتظم حوادث عام ١٢٩هـ ظهور الدعوة العباسية بخراسان

- الشيعة على لسان خصومهم

قال أبو الحسن الأشعري : وإنما قيل لهم الشيعة ، لأنهم شايعوا علياً ، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله..

وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر..

وهم مجمعون على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه ،وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف..(١)

وقد ذكر الأشعري شأنه شأن كتاب الفرق والعقائد تفصيلات وتفريعات وفرق مختلفة منسوبة للشيعة لا وجود لها في عالمنا اليوم ،ولا يعنينا منها سوى الشيعة الإمامية الإثنى عشرية المقصودة ببحثنا هنا..

وقال البغدادي: افْتَرَقت الرافضة زمان عَلِيّ اربعة اصناف زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وافترقت الزيدية فرقاً والامامية فرقاً والغلاة فرقاً كل فرقة مِنْهَا تكفرها سائر جمَ فِرَقِ الغلاة مِنْهُم خارجون عَن فرق الإِسْلاَم فاما فرق الزيدية وَفرق الامامية فمعدودون في فرق الامة..(٢)

وقال فرق من المحرمين بمِلَّة الإِسْلاَم خَمْسَة وهم أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج ثمَّ افْتَرَقت كل فرقة من هَذِه على أكثر وافْتِرَاق أهل السنة في الْفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات..(٣)

وقال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا علياً على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً . واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده..(٤)

(١)مقالات الإسلاميين / ذكر اختلاف أمهات الفرق..
(٢)الفرق بين الفرق الفصل الثالث..
(٣)الملل والنحل ج١ المدخل الفصل السادس..
(٤)الفصل في الملل والنحل ج/٢ ذكر نحل أهل الإسلام..

وَ قال الشاطبي: فَأَمَّا الشِّيعَةُ فَهُمْ أَوَّلاً ثَلاثَ فِرَقٍ: غُلاةٌ وَزَيْدِيَّةٌ وَإِمَامِيَّةٌ..
فَالْغُلاةُ ثَمَانَ عَشْرَةَ فِرْقَةً وَهُمْ: السَّبَئِيَّةُ، وَالْبَيَانِيَّةُ، وَالْجَنَاحِيرِيَّةُ، وَالْمَنْصُورِيَّةُ، وَالْخَطَّابِيَّةُ، وَالْغُرَابِيَّةُ، وَالْهِشَامِيَّةُ، وَالشَّيْطَانِيَّةُ، وَالرِّزَامِيَّةُ، وَالْمُفَوِّضَةُ، وَالْبَدَائِيَّةُ، وَالنُّصَيْرِيَّةُ، وَالإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَهُمُ الْبَاطِنِيَّةُ، وَالسَّرَّجُمْعِيَّةُ، وَالْبَابَكِيَّةُ، وَالْحَمْدِيَّةُ..

أَمَّا الزَّيْدِيَّةُ فَهُمْ ثَلاثُ فِرَقٍ: الْجَارُودِيَّةُ، وَالْبُتَيْرِيَّةُ..
أَمَّا الإِمَامِيَّةُ فَفِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ، فَالْجَمَانِعُ وَالْأَثْنَا عَشَرُونَ فِرْقَةً..(١)

وَ قال صاحب شرح المقاصد في علم الكلام: أَمَّا الشِّيعَةُ يَعْنِي لِأَنْ يَا مَزْيَعْمُونَ أَنَّ الإِمَامَ الْحَقَّ بعد رَسُولِ اللهِ (صلى الله عَلَيْهِ وآله وسلم) عَلِيٌّ ثُمَّ ابْنُهُ الْحَسَنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ زين العابدين ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ الْبَاقِرُ، جَعْفَرُ الصَّادِقُ، ثُمَّ ابْنُهُ مُوسَى الْكَاظِمُ، ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيٌّ الرِّضَا، ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ الْجَوَادُ، ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيٌّ الزَّكِيُّ، ثُمَّ ابْنُهُ الْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ، ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بن الْقَائِمِ الْمُنْتَظَرِ الْمَهْدِيُّ، يدعونَ أَنه ثَبَت بالنَّصِّ كل من السَّابِقين على من بعده..

وقال ابن عثيمين: أما الرافضة فقد طعنت في خلافة الجميع إلا علي، فضلت بهذا عن الأمة، وعن الحق، بل وعما مشى عليه علي..

إن أحق الناس تشيعاً لأهل البيت هم أهل السنة، فنحن نحب أهل البيت المؤمنين منهم لكونهم مؤمنين، ولكونهم من قرابة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ونحن نفضلهم على غيرهم لهذا المعنى، لكن لا نعطيهم الفضل المطلق، بل ننزلهم منزلتهم، وأهل البيت يرضون بهذا غاية الرضى..

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو إمام أهل البيت يقول على منبر الكوفة معلناً: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر وأحياناً يقول: ثم عثمان، وأحياناً يسكت..

فعلى هذا نقول: إن عثمان يلي عمر بن الخطاب في الفضيلة،وهو الثالث في الفضل في هذه الأمة، وهو الثالث في الخلافة في هذه الأمة..

(١)الاعتصام ج١الباب التاسع ، المسألة السابعة..

ولهذا قال احمد: إن من طعن في خلافة واحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله..(٢)

وقال عبد الرازق عفيفي: الشيوع والشياع: القوة والانتشار، يقال: شاع الخبر إذا انتشر، وكثر التكلم به، وشيعة الرجل: خواصه، وجماعته الذين ينتشرون ويتقوى بهم لنسب يجمعهم، أو لاتباعهم إياه في مذهبه، وسيرهم على منهاجه وسنته ويجمع الشيعة على شيع، وتجمع شيع على أشياع..

(٢) نظر شرح العقيدة السفارينية وابن عثيمين هو تلميذ ابن باز وكلاهما من رموز الوهابية..

والمراد بالشيعة هنا: كل من شايع علي بن أبي طالب خاصة، وقال بالنص على إمامته، وقصر الإمامة على آل البيت، وقال بعصمة الأئمة من: الكبائر، والصغائر، والخطأ، وقال: لا ولاء لعلي إلا بالبراء من غيره من الخلفاء الذين في عصره قولا وفعلا، وعقيدة، إلا في حال التقية، وقد يثبت بعض الزيدية الولاء دون البراء..

فهذه أصول الشيعة التي يشترك فيها جميع فرقهم، وإن اختلفت كل فرقة عن الأخرى في بعض المسائل، فمن قال ممن ينتسب إلى الإسلام بهذه الأصول فهو شيعي، وإن خالفهم فيما سواها ومن قال بشيء منها، ففيه من التشيع بحسبه..

ورءوس فرق الشيعة خمسة:الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة، والإسماعيلية، ومن العلماء من لم يجعل الإسماعيلية رئيسية..(١)

– الشيعة يتحدثون عن أنفسهم

قال الشيخ القمي (ت سنة ٣٠١هـ(:الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته..(٢)

وكذلك قول النوبختي في كتابه: فرق الشيعة..(٣)

وقال المفيد: أن لفظ الشيعة يطلق على أتباع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد لرسول (صلوات الله عليه وآله) بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء..(٤)

(١) انظر فتاوى ورسائل عبد الرازق عفيفي، وعفيفي هو أحد رجال الأزهر المصريين الذين استوطنوا جزيرة العرب وأصبح من رموز الوهابية، انظر لنا كتاب أئمة الوهابية..

(٢)هو سعد بن عبد الله القمي، جليل القدر، واسع الأخبار، كثير التصنيف، ثقة. من كتبه: الضياء في الإمامة، ومقالات الإمامية، انظر: الطوسي/ الفهرست ص: ١٠٥، الأردبيلي/ جامع الرواة: ٣٥٥/١

(٣) الحسن بن موسى النوبختي: أبو محمد، متكلم، فيلسوف، قال الطوسي: كان إمامياً حسن الاعتقاد، له مصنفات كثيرة منها: كتاب الآراء والديانات. توفي بعد الثلاثمائة،انظر في ترجمته: الطوسي في الفهرست والأردبيلي في جامع الرواة: ج٢٢٨/١،وابن النديم/ الفهرست ،والقمي في الكنى والألقاب ومعجم المؤلفين والذهبي سير أعلام النبلاء..

(٤)محمد بن محمد النعمان الكعبري الملقب بالمفيد، له قريب من مائتي مصنف ت سنة٤١٣هـ..

انظر ترجمته في الطوسيو الفهرست لابن النديمو الكنى والألقاب للقمي : ١٦٤/٣، البحراني/ولؤلؤة البحرين للبحراني ،وانظر: الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد: ٢٣١/٣، ابن الجوزي/ المنتظم: ١١٨/٨

وقال أبو حاتم الرازي في كتابه "الزينة":الشيعة لقب لقوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)وعرفوا به، مثل سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وكان يقال لهم: شيعة علي، وأصحاب علي.. ثم لزم هذا اللقب كل من قال بتفضيله بعده إلى يومنا، وتشعبت من هذه الفرقة فرق كثيرة سميت بأسماء متفرقة وألقاب شتى، مثل: الرافضة، والزيدية، والكيسانية وغير ذلك من الألقاب، وهم كلهم داخلون في جملة هذا اللقب الواحد الذي يسمي الشيعة على تباينهم في المذاهب وتفرقهم في الآراء.. (١)

وقال النجاشي :الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله أخذوا بقول علي، وإذا اختلف الناس عن علي أخذوا بقول جعفر بن محمد الصادق..(٢)

وقال عبد الله شبر:اعلم أن لفظ الشيعة يطلق على من قال بخلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا فصل..(٣)

وقال الشيخ مغنية بأن لفظ الشيعة:علم من يؤمن بأن علياً هو الخليفة بنص النبي..(٤)

وقال محمد باقر الصدر: جرى بعض الباحثين على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة في المجتمع الاسلامي ، والنظر إلى القطاع الشيعي من جسم الأمةالاسلامية بصفته قطاعا تكون على مر الزمن ، نتيجة لاحداث وتطورات اجتماعية معينة ، أدت إلى تكوين فكري ومذهبي خاص لجزء من ذلك الجسم الكبير ، ثم اتسع ذلك الجزء بالتدريج..

إن هؤلاء الباحثين ، بعد أن يفترضوا ذلك ، يختلفون في تلك الاحداث والتطورات التي أدت إلى نشوء تلك الظاهرة وولادة ذلك الجزء ..

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان بن أحمد الرازي، من كتبه: أعلام النبوة، الزينة وغيرهما ت سنة ٣٢٢هـ ، انظر ترجته في لسان الميزان لابن حجر..

(٢) هو أحمد بن علي بن أحمد بن العباس بن محمد النجاشي، صاحب كتاب الرجال، ت سنة ٤٥٠هـ ، انظر رجال النجاشي..

(٣)انظر حق اليقين ج ١٩٥/١

(٤) انظر الشيعة في الميزان..

فمنهم من يفترض أن عبد الله بن سبأ ونشاطه السياسي المزعوم كان هو الأساس لقيام ذلك التكتل الشيعي ..

ومنهم من يرد ظاهرة التشيع إلى عهد خلافة الإمام علي (عليه السلام) ، وما هيأه ذلك العهد من مقام سياسي واجتماعي على مسرح الاحداث ..

ومنهم من يزعم أن ظهور الشيعة يكمن في أحداث متأخرة عن ذلك في التسلسل التاريخي للمجتمع الاسلامي..

والذي دعا – فيما أظن – كثيرا من هؤلاء الباحثين إلى هذا الافتراض والاعتقاد ، بأن " التشيع " ظاهرة طارئة في المجتمع الاسلامي ، هو أن الشيعة لم يكونوا يمثلون في صدر الاسلام إلا جزءاً ضئيلاً من مجموع الأمة الاسلامية ..

فقدأوحت هذه الحقيقة شعوراً بأن اللاتشيع كان هو القاعدة في المجمتع الاسلامي ، وأن التشيع هو الاستثناء والظاهرة الطارئة التي يجب اكتشاف أسبابها من خلال تطورات المعارضة للوضع السائد ..

ولكن اتخاذ الكثرة العددية والضالة النسبية أساسا لتمييز القاعدة والاستثناء أو الأصل والانشقاق ، ليس شيئاً منطقياً ..

، فمن الخطأ إعطاء الاسلام اللاشيعي صفة الأصالة على أساس الكثرة العددية ، واعطاء الاسلام الشيعي صفة الظاهرة الطارئة ،ومفهوم الانشقاق ، على أساس القلة العددية ، فإن هذا لا يتفق مع طبيعة الانقسامات العقائدية..

إذ كثيرا ما نلاحظ انقساماً عقدياً في إطار رسالة واحدة ، يقوم على أساس الاختلاف في تجديد بعض معالم تلك الرسالة ، وقد لا يكون القسمان العقديان متكافئين من الناحية العددية ولكنهما في أصلهما معبران بدرجة واحدة عن الرسالة المختلف بشأنها..

ولا يجوز بحال من الأحوال أن نبني تصوراتنا عن الانقسام العقائدي داخل إطار الرسالة الاسلامية إلى شيعة وغيرهم ، على الناحية العددية، كما لا يجوز أيضاً أن نقرن ولادة الأطروحة الشيعة ، في إطار الرسالة الاسلامية ، بولادة كلمة " الشيعة "..

أو " التشيع " كمصطلح واسم خاص لفرقة محددة من المسلمين ، لان ولادة الأسماء والمصطلحات شئ ونشوء المحتوى وواقع الاتجاه والأطروحة شئ آخر ، فإذا كنا لا نجد كلمة " الشيعة " في اللغة السائدة في حياء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو بعد وفاته ، فلا يعني هذا أن الأطروحة والاتجاه الشيعي لم يكن موجودا .(١)

وقال الطباطبائي:اشتهر أصحاب الإمام علي باسم شيعة علي أما القائمون بأمور الخلافة ، فكانوا يسعون وفقا للسياسة آنذاك ألا يشتهر هذه للأقلية بهذا الاسم ،وألا ينقسم المجتمع إلى أقلية وأكثرية، فكانوا بعنبرون الخلافة إجماعاً ، ويطلقون على المعارض لها ، متخلفاً عن البيعة وتخلفاً عن جماعة المسلمين..

إلا ان هذه الأقلية قد ذابت فيالأكثرية ظاهراً ، ولكنها بقيت تستلهم التعاليم الإسلامية من أهل البيت باطناً ..

وتعتقد الشيعة بأن الحكومةالإسلامية والمرجعية العلمية تلك المسألتين من حق أهل البيت خاصة..

وأكثرية الشيعة هم الاثنا عشرية ، وهم أصحاب علي وأنصاره ، الذين رفعوا راية المعارضة والانتقاد في موضوع الخلافة والمرجعية العلمية بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك لإحياء حقوق أهل البيت ، وبهذا انفصلوا عن أكثرية الناس..(٢)

وقال السبحاني : زعم غير واحد من الكتاب القدامى والجدد أن التشيع كسائر المذاهب

الإسلامية من إفرازات الصراعات السياسية..

في حين يذهب البعض الآخر إلى القول بأنه نتاج الجدال الكلامي والصراع الفكري..

(١)انظر نشأة الشيعة والتشسيع أو بحث حول الولاية..

(٢)انظرالشيعة في الإسلام..

فأخذوا يبحثون عن تاريخ نشوئه وظهوره في الساحة الإسلامية و كأنهم يتلقون التشيع بوصفه ظاهرة جديدة وافدة على المجتمع الإسلامي..

ويعتقدون بأن القطاع الشيعي وإن كان من جسم الأمة الإسلامية إلا أنه تكون على مر الزمن نتيجة لأحداث وتطورات سياسية أو اجتماعية فكرية أدت إلى تكوين هذا المذهب كجزء من ذلك الجسم الكبير ، ومن ثم اتسع ذلك الجزء بالتدريج ..

ولعل هذا التصور الخاطئ لمفهوم التشيع هو ما دفع أصحاب هذه الأطروحات إلى التخبط والتعثر في فهمهم لحقيقة نشوء هذا المذهب ، ومحاولاتهم الرامية لتقديم التفسير الأصوب..

ولو أن أولئك الدارسين شرعوا في دراستهم لتأريخ هذه النشأة من خلال الأطروحات العقائدية والفكرية التي ابتني عليها التشيع لأدركوا بوضوح ودون لبس أن هذا المذهب لا يؤلف في جوهر تكوينه وقواعد أركانه إلا الامتداد الحقيقي للفكر العقائدي للدين الإسلامي والذي قامعليه كيانه..

وإذا كان البعض يذهب إلى الاعتقاد بأن التشيع يظهر بأوضح صوره من خلال الالتفاف والمشايعة للوصي الذي اختاره رسول الله (صلى الله عليه وآله) خليفة له بأمر الله تعالى ليكون قائداً وإماماً للناس ، ففي ذلك أوضح المصاديق على حقيقة هذا النشوء الذي اقترن بشوء وتبلور الفكر الإسلامي الكبير..

والذي لا بد له من الاستمرار والتواصل والتكامل حتى بعد رحيل صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله) ، والذي ينبغي له أن يكون الاستمرار الحقيقي لتلك العقيدة السماوية وحامل أعباء تركتها ..

فإذا اعتبرنا بأن التشيع يرتكز أساساً في استمرار القيادة بالوصي ، فلا نجد له تأريخاً سوى تأريخ الإسلام ، والنصوص الواردة عن رسول الإسلام..

وإذا كانت تلك النصوص من القوة والحجية التي لا يرقى إليها الشك ، وتعد وبدون تردد ركائز عقئدية أراد أن يثبت أسسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فهي بلا شك تدل وبوضوح على أن هذه الاستجابة اللاحقة استمرار حقيقي لما سبقها في عهد رسول الله..

وإذا كان كذلك فإن جميع من استجابوا لرسول الله ، وانقادوا له انقياداً حقيقياً ، يعدون بلا شك رواد التشيع الأوائل وحاملي بذوره..

فالشيعة هم المسلمون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان في الأجيال اللاحقة ، من الذين بقوا على ما كانوا عليه في عصر الرسول في أمر القيادة ، ولم يغيروه..

ولم يتعدوا عنه إلى غيره ، ولم يأخذوا بالمصالح المزعومة في مقابل النصوص ، وصاروا بذلك المصداق الأبرز لقوله سبحانه : { **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** } الحجرات/١

ففزعوا في الأصول والفروع إلى علي وعترته الطاهرة ، وانحازوا عن الطائفة الأخرى من الذين لم يتعبدوا بنصوص الخلافة والولاية وزعامة العترة ، حيث تركوا النصوص ، وأخذوا بالمصالح ..(١)

– نماذج من الصحابة الذين تشيعوا لعلي وانحازوا له:

١ - عبد الله بن عباس .
٢ - الفضل بن العباس .
٣ - عبيد الله بن العباس .
٤ - قثم بن العباس .
٥ - عبد الرحمن بن العباس .
٦ - تمام بن العباس .
٧ - عقيل بن أبي طالب .
٨ - أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب .
٩ - نوفل بن الحرث .
١٠ - عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
١١ - عون بن جعفر .

١٢ - محمد بن جعفر .
١٣ - ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب .
١٤ - الطفيل بن الحرث .
١٥ - المغيرة بن نوفل بن الحارث .
١٦ - عبد الله بن الحرث بن نوفل .
١٧ - عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث .
١٨ - العباس بن ربيعة بن الحرث .
١٩ - العباس بن عتبة بن أبي لهب .
٢٠ - عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث .
٢١ - جعفر بن أبي سفيان بن الحرث .

(١)انظر أضواء على عقيدة الشيعة الإمامية وتاريخهم..
٢٢ - سلمان الفارسي المحمدي .
٢٣ - المقداد بن الأسود الكندي .
٢٤ - أبو ذر الغفاري .
٢٥ - عمار بن ياسر .
٢٦ - حذيفة بن اليمان .
٢٧ - خزيمة بن ثابت .
٢٨ - أبو أيوب الأنصاري ، مضيف النبي (صلى الله عليه وآله)
٢٩ - أبو الهيثم مالك بن التيهان .
٣٠ - أبي بن كعب .
٣١ - سعد بن عبادة .
٣٢ - قيس بن سعد بن عبادة .
٣٣ - عدي بن حاتم .
٣٤ - عبادة بن الصامت .
٣٥ - بلال بن رباح الحبشي .
٣٦ - أبو رافع مولى رسول الله .
٣٧ - هاشم بن عتبة .
٣٨ - عثمان بن حنيف .
٣٩ - سهل بن حنيف .
٤٠ - حكيم بن جبلة العبدي .
٤١ - خالد بن سعيد بن العاص .
٤٢ - ابن الحصيب الأسلمي .
٤٣ - هند بن أبي هالة التميمي .
٤٤ - جعدة بن هبيرة .
٤٥ - حجر بن عدي الكندي .
٤٦ - عمرو بن الحمق الخزاعي .
٤٧ - جابر بن عبد الله الأنصاري .
٤٨ - محمد بن أبي بكر .

٤٩ - أبان بن سعيد بن العاص .
٥٠ - زيد بن صوحان العبدي .

وقد طورد الحكام الشيعة و حوصروا وألصقت بهم شتى الأسماء والمسميات..

فتارة يسمونهم السبئية نسبة لعبد الله بن سبأ اليهودي..

وتارة يسمونهم الرافضة..

وتارة يسمونهم الجعفرية نسبة لجعفر الصادق..

وهي مسميات تفوح منها رائحة السياسة والمذهبية..

ولقد عمدت كتب الفرق إلى محاولة تصوير الشيعة وكأنها فرقة ممزقة متناقضة تتصارع تياراتها فيما بينهاحول أفكار ساذجة سطحية ، مع تعمد تصوير أهل السنة وكأنهم الحكم والمقياس في الخلافات التي وقعت بين الفرق..

ووقع كثير من المصنفين والباحثين على مستوى الماضي والحاضر في متاهة الفرق واعتمدوا هذه الكتب كمراجع معصومة عند الحكم على الشيعة أو أي فرقة مخالفة لأهل السنة..

- أصول الشيعة

يعتقد الشيعة أن أصول الدين خمسة هى:

التوحيد..

النبوة..

العدل..

المعاد..

الإمامة..

أما التوحيد فيعني لا إله إلا الله وعدم وجود شريك له في الربوبية وإخلاص العبادة له فمن أشرك في عبادته أحدا من خلقه كفر

قال الصدوق: إعلم أن اعتقادنا في التوحيد: إن الله تعالى واحداً أحد،ليس كمثله شيء،قديم لم يزل،ولا يزال،سميعاً بصيراً ،عليماً حكيماً ،حياً قيوماً ،عزيزاً قدوساً ،عالماً قادراً ،غنياً ،لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض.. وأنه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه،خارج عن الحدين:حد

الإبطال،وحد التشبيه،وأنه تعالى شيء لا كالأشياء،أحد حمد، لم يلد فيورث،ولم يولد فيشارك،ولم يكن له كفواً أحد،ولا ند ولا ضد ولا شبه ولا صاحبة،ولا مثل ولا نظير،ولا شريك له،لا تدركه الأبصاروهو يدرك الأبصار،ولا الأوهام وهو يدركها،لا تأخذه سنة ولا نوم وهو اللطيف الخبير،خالق كل شيء لا إله إلا هو،له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين،ومن قال بالتشبيه فهو مشرك،ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب،وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع،وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل،وإن وجد في كتب علمائنا فهو مدلس..[1]

(١)انظر رسالة الصدوق في عقائد الإمامية..

وقال المظفر:ونعتقد بأنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات،فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد بأنه واحد في ذاته ووجوب وجوده، كذلك يجب ثانياً توحيده في الصفات، وذلك بالاعتقاد بأن صفاته عين ذاته،وبالاعتقاد بأنه لا شبه له في صفاته الذاتية،فهو في العلم والقدرة لا نظير له،وفي الخلق والرزق لا شريك له،وفي كل كمال لا ند له،وكذلك يجب ثالثاً توحيده في العبادة،فلا تجوزعبادة غيره بوجه من الوجوه،وكذا إشراكه في العبادة في أي نوع من أنواع العبادة،واجبة أوغير واجبة،في الصلاة وغيرها من العبادات..(١)

وقل الشيرازي:إن للتوحيد شعباً كثيرة من أهمها:

توحيد الذات،بمعني إن ذاته عز وجل واحدة لا نظير لها ولا مثيل ولا شبيه،وتوحيد الصفات،بمعني أن صفات العلم والقدرة الأزلية ونحوها مجموعة في ذاته وعين ذاته الواحدة،وهي ليست كصفات المخلوقات المستقلة عن بعضها،والمنفصلة عن ذواتهم، وبطبيعة الحال فإن عينيه ذاته تعالى مع صفاته تتطلب نوعاً من الدقة الفكرية،وتوحيد الأفعال بمعني أن أي فعلوحر كة وأثر في عالم الوجود ناجم عن إرادة الله ومشيئته..(٢)

وكون الشيعة تبيح التبرك بأئمة آل البيت والتوسل إلى الله بمنزلتهم لا يتناقض هذا مع مفهوم إخلاص العبادة لله أو التوحيد..

وقضية التوسل وشد الرحال والقبور التي فجرها بعض الحنابلة والفقهاء المتطرفين وعلى رأسهم ابن تيمية وتلقفها منه ابن عبد الوهاب فيما بعد، هى قضية لا وجود لها في عقائد السلف..(٣)

وروى عن الإمام علي قوله: وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه،لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف،وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة،فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه،ومن ثناه فقد جزأه،ومن جزأه فقد جهله..(٤)

(١)انظر عقائد الإمامية..

(٢) انظرعقيدتنا..

(٣) انظركمثال : عقيدة ابن حنبل واعتقاد عبد الله بن المبارك واعتقاد المديني والعقيدة الواسطية لابنتيمية..
(٤) انظر نهج البلاغة ج١ \ الخطبة الأولى..

وأما النبوة فتعني شهادة أن محمدا رسول الله ، وتعني الإيمان بجميع الأنبياءو الرسل..
وتعني الإيمان بعصمة الرسول عصمة كلية من الخطأ والخطيئة طوال حياته..
وتؤمن الشيعة أنالكتاب الذي أنزل على محمد لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة و هو ما عليه الإجماع عندهم..
ومن اعتقد أو ادعى النبوة أو نزول وحي أو كتاب عليه بعد النبي فهو كافر..

قال المظفر: نعتقد أن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية،يجعلها الله تعالى لمن ينتخبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم،فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة،لغرض تنزيههم وتزكيتهم من دون مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات،وتعليمهم الحكمة والمعرفة،وبيان طريق السعادة والخير،لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها،فترتفع إلى درجاتها الرفيعة في الدارين: دار الدنيا ودار الآخرة..

ونعتقد أن النبوة لطف من الله يرشد العباد إليها بالحجة والدليل الذي فوق مستوى البشر (أي المعجزات وخوارق العادات)..

ونعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة،عن الذنوب والمعاصي،وعن الخطأ والنسيان،وإن صفاتهم أكمل الصفات الخلقية والعقلية وأفضلها،كذلك يجب الإيمان بكتبهم وما نزل عليهم..(١)

وقال الشيرازي:نعتقد أن جميع الأنبياء معصومون على مدى أعمارهم (قبل النبوة وبعدها) ومصونين من الخطأ والاشتباه بالذنب بالتأييد الإلهي،لأن النبي إذا ارتكب الخطأ أو الذنب سلبت

منه الثقة اللازمة لمنصب النبوة،وعندئذ لا يمكن للناس أن يثقوا بوساطته بينهم وبين الله،ويعتبروه أسوة لهم وإماماً في كل أعمالهم وسلوكياتهم،ولهذا فإننا نعتقد أن ما يبدو من ظواهر بعض الآيات القرآنية من أن بعض الأنبياء ارتكبوا المعاصي،هو من قبيل ترك الأولى (بمعني اختيار العمل الأقل صلاحاً من بين عملين صالحين،في حين كان من الأولى اختيار الأصلح) أو بتعبير آخر هو من قبيل (حسنات الأبرار سيئات المقربين) لأنه ينتظر من كل شخص أن يقوم بالعمل الذي يناسب مقامه..(٢)

(١)انظر عقائد الإمامية..

(٢)انظر عقيدتنا..

وقال كاشف الغطاء:يعتقد الشيعة الإمامية أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله وعباد مكرمون،بعثوا لدعوة الخلق إلى الحق،وأن محمداً خاتم الأنبياء وسيد الرسل،وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة،وأنه ما ارتكب المعصية مدة عمره،وما فعل إلا ما يوافق رضا الله سبحانه حتى قبضه الله إليه..(١)

وعلي أساس ما سبق يرفض الشيعة فكرة تكفير أبو طالب وأبوي الرسول وأجداده وتعد هؤلاء جميعاً من المؤمنين الموحدين..

ثالثاً:العدل

وهو من ملحقات التوحيد..

وهو مبدأ عقدي برز في مواجهة الذين يجوزون على الله سبحانه فعل القبيح ومعاقبة المطيع،ومكافأة العاصي،وتكليف العباد فوق طاقتهم،وصدور الفعل منه تعالى بلا حكمة أو مصلحة،مستندين إلى قوله تعالى:[لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ] الأنبياء / ٢٣

قال المظفر:ونعتقد أن من صفاته سبحانه وتعالى الثبوتيه الكمالية أنه عادل غير ظالم، فلا يجور في قضائه،ولا يحيف في حكمه،يثيب المطيعين،وله أن يجازي العاصين،ولا يكلف عباده ما لا يطيقون،ولا يعاقبهم زيادة علي ما يستحقون،وهو تعالى لا يكلف عباده إلا بعد إقامة الحجة عليهم..(٢)

وقال الشيرازي:إن من المستحيل أن يظلم الله عبادة أو يعاقب أحداً أو يعفو عن آخر دون دليل،ومن المستحيل ألا يفي الله بوعده أوأن يصطفي للنبوة والرسالة شخصاً طالحاً كذاباً،ومن المستحيل أيضاً أن يترك عباده الذين خلقهم لإيصالهم إلى السعادة وشأنهم دون مرشد وقائد،لأن كل هذه الأفعال قبيحة،ولا يمكن لله تعالى أن يأتي بالقبيح..(٣)

(١)انظر أصل السيعة وأصولها..

(٢)انظر عقائد الإمامية..

(٣)انظر عقيدتنا..

وقال السبحاني:ومن أبرز مصاديق حكمته – تعالى – هو عدله،بمعني قيامه بالقسط،وأنه لا يجور ولا يظلم،ويترتب عليه بعض النتائج منها قبح العقاب بلا بيان،إذا كان الله تعالى عادلاً ، فإنه لا يعاقب عبادة دون أن يبين لهم تكاليفهم،لحكم العقل بقبح العقاب بلا صدور بيان،أو مع صدوره دون أن يقع في متناول العباد،ولزوم تنزه الواجب عنه،وقبح التكليف بما لا يطاق من نتائج حكم العقل بعدله تعالى،حكمه بلزوم تكليفه بما يطيقه العبد،وأن تكليفه وإلزامه بما هو فوق طاقته ظلم وقبيح لا يصدر عن الحكيم..[١]

رابعاً :المعاد

وهو يعني الإيمان بالبعث والنشور والحسابوالصراط والميزان والجنة و النار، بالإضافة إلى الشفاعة..

قال الشيرازي:والأنبياء وأئمة أهل البيت وأولياء الله يشفعون بإذن الله لبعض المذنبين ليشملهم العفو الإلهي،وهذا الإذن يخصص فقط لمن لم يقطع أواصر علاقته بالله و أوليائه..

وعليه فإن الشفاعة ليست مطلقة وإنما مقيدة بشروط ترتبط نوعاً ما بأعمالنا ونياتنا..

[ولا يشفعون إلا لمن ارتضى] الأنبياء / ٢٨

ولا شك في أن مقام الشفاعة العظمي هو لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ويأتي بعده سائر الأنبياء وأئمة أهل البيت،وحتى العلماء والشهداء والمؤمنون،بل حتى القرآن والعمل الصالح يشفع للبعض..[٢]

وقال المظفر:نعتقد أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده،فيثيب المطيعين،ويعذب العاصين،ولا يجب الاعتقاد في تفصيلات المعاد الجسماني أكثر من هذه العقيدة على بساطتها التي نادي بها القرآن،وأكثر مما يتبعها من الحساب والصراط،والميزان والجنة والنار، والثواب والعقاب،بمقدار ما جاءت به التفصيلات القرآنية..[٣]

(١)انظر مع الشيعة الإمامية في عقائدهم وأحكامهم..

(٢) انظر عقيدتنا..

(٣) نظر عقائد الإمامية..

وقال كاشف الغطاء:يعتقد الإمامية كما يعتقد سائر المسلمين أن الله سبحانه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء،والمعاد هوالشخص بعينه وبجسده وروحه،بحيث لو رآه الرائي لقال هذا فلان،ولا يجب أن تعرف كيف تكون الإعادة،وهل هي من قبيل إعادة المعدوم أو ظهور الموجود أو غير ذلك،ويؤمنون بجميع ما في القرآن والسنة القطعية من الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها،وأن الناس مجزون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شراً فشر..

[ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] إلى غير ذلك من التفاصيل المذكورة في محلها من كل ما صدع به الوحي المبين، وأخبر به الصادق الأمين..[١]

خامساً :الإمامة

وهى المحور الرئيس في الخلاف بين الشيعة والسنة،فعلى ضوء هذه القضية تولدت العديد من المواقف التي انعكست على الصحابة والروايات وصورة الحكم والجهاد وتلقي الدين بشكل عام..

والخلاف بين الشيعة والسنة في محيط الأصول السابقة أشبه بالخلاف السائد بين المذاهب الأربعة، فمن ثم هو خلاف لا يشكل فجوة كبيرة كتلك الفجوة التي تشكلها قضية الإمامة،حيث تعتقد الشيعة أن الإمامة محصورة في دائرة أهل البيت بداية من الإمام علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي

بن الحسين(زين العابدين) ثم محمد بن علي(الباقر) ثم جعفر بن محمد (الصادق) ثم موسى بن جعفر (الكاظم) ثم علي بن موسى (الرضا) ثم محمد بن علي (الجواد) ثم علي بن محمد (الهادي) ثم الحسن بن علي (العسكري) ثم محمد بن الحسن وهو المهدي المنتظر..

وهؤلاء هم الأئمة الإثني عشر الذين تعتقد في إمامتهم الشيعة من بعد لرسول ولأجل ذلك أطلقت عليهم تسمية:الشيعة الإمامية..

أما أهل السنة ففكرة الإمامة عندهم مفتوحة بلا حدود لتشمل جميع الحكام والخلفاء الذين تولوا أمور الحكم في تاريخ المسلمين،بداية من أبي بكر وحتى عصرنا الحاضر،فجميع هؤلاء أئمة تجب طاعتهم والحج والجهاد معهم والصلاة من خلفهم وتسليم زكاة الأموال لهم، وأن لم يكونوا على الدرجة الكافية من الكفاءة والتقوى والعدل..(٢)

(١)انظر أصل السيعة وأصولها..

(٢)انظر كتب عقائد أهل السنة..

وهذا يعني عدم الاعتراف بالجهاد من ورائهم وحركة الفتوحات التي قادوها،وكذلك الروايات التي نسبت إليهم وإلى غيرهم من الصحابة الذين تحالفوا معهم..

والاعتقاد في الإمامة عند الشيعة يعني حصر مصدر تلقي الدين من بعد لرسول في دائرة أهل البيت وحدهم..

وعلي هذا الأساس فإن الروايات التي تأتي من خارج حدود هذا المصدر لا يعترف بها من قبلهم وفكرة الإمامة التي يتميز بها الشيعة عن غيرهم هى التي جرت البلاء وصور لبطش والتنكيل والإرهاب التي حاصرتهم طوال التاريخ،فهذه الفكرة لم تكن مقبولة من الحكام ولا من الفقهاء..

وينقل عن الإمام الرضا – الإمام الثامن عند الشيعة – قوله:إن الإمامة منزلة خص الله بها إبراهيم الخليل بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة،وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال عز وجل: [**وإذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتهمن قال إنى جاعلك للناس إماماً**] قال الخليل مسروراً بها: [**ومن ذريتي. قال لا ينال عهدي الظالمين**] فأبطلت هذه الأمة إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة،وأبقتها في الصفوة..[١]

وقال المظفر:نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين،ولا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها،ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا،بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد

والنبوة،..كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى،فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هادٍ يخلف النبي (صلى الله عليه وآله) في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين – الدنيا والآخرة – وله ما للنبي من الولاية العامة علي الناس،لتدبير شؤونهم ومصالحهم،وإقامة العدل بينهم،ورفع الظلم والعدوان من بينهم..

وعلي هذا،فالإمامة استمرار النبوة،والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول،فلذلك نقول أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله،وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس..

(١) انظر أصول الكافي..

ونعتقد أن لإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش،ما ظهر منها وما بطن،من سن الطفولة إلى الموت،عمداً أو سهواً،كما يجب ان يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان،لأن الأئمة حفظة للشرع والقوامون عليه،حالهم في ذلك حال النبي،والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق..

و لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقده الغلاة والحلوليون..

[كبرت كلمة تخرج من افواهم..] الكهف / ٥

بل عقيدتنا الخاصة أنهم بشر مثلنا،لهم ما لنا،وعليهم ما علينا،وإنما هم عباد مكرمون، اختصهم الله تعالى بكرامته،وحباهم بولايته،إذ كانوا في أعلي درجات الكمال اللائقة في البشر: من العلم والتقوى والشجاعة والكرم والعفة،وجميع الأخلاق الفاضلة،والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به..

وبهذا استحقوا أن يكونوا أئمة وهداة،ومرجعاً بعد النبي في كل ما يعود للناس من أحكام وحكم،وما يرجع للدين من بيان وتشريع،وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل.. (١)

والخلاصة أن عقائد السنة تتلاقى مع عقائد الشيعة في جوانب وتتصادم في جوانب أخرى..

(١) انظر عقائد الإمامية والمراجع السابقة..

تأريخ المذاهب في مصر

التشيع هو السابق والمذاهب لاحقة..

لم تكن الفكرة المذهبية بارزة في مصر طوال فترة الحكم الأموي والعباسي..

والظاهر أنه كانت هناك محاولات حكومية طوال فترة القرن الثاني لتسويق مذهب مالك عن طريف جلب عناصر خارجية لتولي القضاء والمناصب الشرعية قبل وصول الشافعي لمصر في أواخر القرن الثاني..

وكان الدور الذي لعبته القبائل العربية الموالية للإمام علي التي استقرت بمصر..

ووصول السيدة زينب إلى مصر في النصف الثاني من القرن الأول، ثم السيدة نفيسة في القرن الثاني، وتتابع الطالبيين من ذرية أهل البيت واستقرارهم بها، قد أحدثتغيراً كبيراً في الساحة الإسلامية ودعم فكرة الولاء والتبعية لأهل البيت..

و على ضوء هذه المقدمة يمكن تقسيم فترة الحركة المذهبية في مصر إلى ثلاث فترات:

الأولى فترة القرون الثلاثة..

الثانية الفترة الفاطمية..

الثالثة الفترة الأيوبية والمملوكية والعثمانية..

من خلال الفترة الأولى برزت السيدة زينب والسيدة نفيسة والكثير من الطالبيين..

و الكثير من أتباع المذهب المالكي الذين تولوا منصب القضاء من قبل الولاة..

ثم الشافعي و أتباعه..

وفي الفترة الثانية ساد نهج أهل البيت وانتشر بين المصريين مع وجود المذاهب الأخرى بصورة محدودة..

وفي الفترة الثالثة بدأت عملية توطين المذاهب في مصر عن طريق الحكومات التي استولت عليها..

– شهادة المقريزي

وقد جسد لنا المقريزي الحركة المذهبية في مصر بقوله:

وأما مذاهب أهل مصر: فقال أبو سعيد بن يونس: إن عبيد بن مخمرالمغافي ّ يكنى أبا أمية، رجل من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، شهد فتح مصر، روى عنه أبو قبيل. يقال أنه كان أو ّل من أقرأ القرآن بمصر..

وذكر أبو عمرو الكندي ّ أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامسلحضرمي ّ كان فقيهاً عفيفاً شريفاً، ولد سنة عشر ومائة..

وكان أو ّل الناس إقراء بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة..

وذكر عن أبي قبيل وغيره أن يزيد بن أبي حبيب أو ّل من نشر العلم بمصر في الحلال و الحرام ، وكانوا قبل ذلك إنما يتحدّثون في الفتن والترغيب..

وكان عمر بن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر إلى ثلاثة رجال، رجلان من الموالي و رجل من العرب..

فأما العربي ّ فجعفر بن ربيعة، وأما الموليان فيزيد بن أبي حبيب، وعبد الله بن أبي جعفر، فكأن العرب انكروا ذلك..

فقال عمر بن عبد العزيز: ما ذنبي إن كانت الموالي تسمو بأنفسها صعداً و أنتم لا تسمون..

وكانت البيعة إذا جاءت للخليفة أو ّل من يبايع عبد الله بن أبي جعفر و يزيد بن أبي حبيب ثم الناس بعد..

وذكر أبو عمرو الكندي ّ أن أبا سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق، أو ّل من رحل من أهل مصر إلى العراق في طلب الحديث، توفي سنة أربع وثمانين ومائة..

وكان حال أهل الإسلام من أهل مصر وغيرها من الأمصار في أحكام الشريعة على ما تقدّم ذكره، ثم كثر الترحل إلى الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديثلنبلوي ّ وتقييده..

فلما قام هارون الرشيد في الخلافة، وولى القضاء أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة بعد سنة سبعين ومائة، فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام و مصرلإّ من أشار به القاضي أبو يوسف..

أو ّل من قدم بعلم مالك: إلى مصر عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح، وكانفقيهاً روى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد، وتوفي بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة..

ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم، فاشتهر مذهب مالك بمصر أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر اصحاب مالك بمصر..

ولم يكن مذهب أبي حنيفة يعرف بمصر..

قال ابن يونس: وقدم إسماعيل بن اليسالكوفي ّ قاضياً بعد ابن لهيعة، وكان من خير قضاتنا، غير أنه كان يذهب إلى قول أبي حنيفة، ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة..

وكان مذهبه إبطال الأحباس، فثقل أمره على أهل مصر وسئموه، ولم يزل مذهب مالكمشتهراً بمصر حتى قالشافعي ّ في سنة ثمان وتسعين ومائة..

فصحبه من أهل مصر جماعة من أعيانها كبني عبد الحكم والربيع بن سليمانو أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيىالبويطي ّ ، وكتبوا عن الشافعي ّ ما ألفه، وعملوا بما ذهب إليه، ولم يزل أمر مذهبه يقوى بمصر وذكره ينتشر..

قال أبو عمروالكندي ّ في كتاب أمراء مصر: ولم يزل أهل مصر على الجهر بالبسملة في الجامع العتيق إلى سنة ثلاث وخمسين ومائتين..

ومنع أرجون صاحب شرطة مزاحم بن خاقان أمير مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع، وأمر الحسين بن الربيع إمام المسجد الجامع بتركها، وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين..

ولم يزل أهل مصر على الجهر بها في المسجد الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها أرجون..

وما زال مذهب مالك ومذهبالشافعي ّ يعمل بهما أهل مصر، ويولى القضاء من كان يذهب إليهما أو إلى مذهب أبي حنيفة ، إلى أن جاء القائد جوهر من بلاد إفريقية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميمهعد ّ وبنى مدينة القاهرة..

فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ما خالفه، ولم يبق مذهب سواه، وقد كان التشيع بأرض مصر معروفاً قبل ذلك..

قال أبو عمروالكندي ّ في كتاب الموالي عن عبد الله بن لهيعة: قال يزيد بن أبي حبيب: نشأت بمصر وهي علوية، فقلبتها عثمانية..(١)

ويبدو لنا أن المقريزي أغفل دور السيدة زينب التي وفدت إلى مصر بعد فاجعة كربلاء عام ٦١هـ..

والسيدة نفيسة التي وفدت في أواخر القرن الثاني..

وهما رمزان بارزان في عالم التشيع بمصر التفت من حولهما جماهير مصر وفقهائها..

كذلك العديد من رموز الأشراف من أبناء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)..

إلا أن المقريزي يقر بأن التشيع كان فاشياً في مصر قبل ظهور هذه المذاهب..

والجهر بالبسملة في الصلاة هى ما يقول به أهل البيت..

ومنع أرجون لها يكشف لنا محاولات الحكام الدائمة للتعتيم على أهل البيت وعلومهم..

- مذاهب وشخصيات

ويظهر لنا من خلال هذه الفترات أن شخصيات المذهب المالكي والشافعي كانت وافدة من الخارج وتم دعمها من قبل الحكام..

وحتى تتضح الصورة لابد لنا من قراءة نماذج من هذه الشخصيات..

شخصيات الفترة الأولى:

- سليم بن عتر التجيبي المصري أبو سلمة. قاضي مصر وقاضيها وناسكها. من الطبقة الأولى من التابعين. شهد خطبة عمر بالجابية، وكان يُسمى الناسك لكثرة فضله وشدة عبادته، وكان يختم في كل ليلة ثلاثة ختمات، وهو أول من قص بمصر سنة ثلاثين، وولاه معاوية القضاء بها سنة أربعين، فأقام قاضياً بها عشرين سنة. وهو أول من أسجل بمصر سجلاً في المواريث، مات بدمياط سنة خمس وسبعين..

(١)انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٤ ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم..

-عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني أبو عبد الله المصري "الأربعة" قاضي مصر. روى عن ابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة، وكان عبد العزيز بن مروان يرزقه في السنة ألف دينار فلا يدخرها..

- أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني الحميري. روى عن ثابت وابن عمرو وأبي أمامة، وعقبة بن عامر الجهني، وعنه يزيد بن أبي حبيب وجعفر بن ربيعة وآخرون..

قال ابن يونس: كان مفتي أهل مصر في زمانه، وكان عبد العزيز بن مروان يحضره فيجلسه للفتيا..

وقال الذهبي في العبر: تفقه على عقبة بن عامر، وكان مفتي أهل مصر في وقته..

مات سنة تسعين من الهجرة..

– ثوبة بن نمر بن حومل الحضرمي أبو محجن المصري. قاضي مصر. روى عن ابن عفير عريف بن سريع، وعنه الليث وطائفة قال الدارقطني: جمع له القضاء والقصص بمصر. وكان فاضلاً عابداً. توفي سنة عشرين ومائة..

– بكير بن عبد الله الأشج المدني الفقهيه نزيل مصر..

قال ابن المديني: لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى الأنصاري وبكير بن الأشج..

وقال ابن حبان: من ثقات أهل مصر وقرائهم..

قال الذهبي: مات سنة اثنتين وعشرين ومائة..

– يزيد بن أبي حبيب، واسمه سويد الأزدي، أبو رجاء المصري فقيه مصر وشيخها ومفتيها،روى عن سالم ونافع وعكرمة وعطاء وخلق، وعنه ابن لهيعة والليث وآخرون.

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث..

وقال ابن يونس: كان مفتي أهل مصر، وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل في الحلال والحرام، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن ،وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر..

وقال الليث: هو سيدنا وعالمنا..

مات سنة ثمان وعشرين ومائة..

– أبو القاسم عبد الرحمن بن الحكم المولود بالفسطاط عام ١٨٧هـ صاحب كتاب (فتوح مصر وأخبارها) وهو أقدم كتاب مدون في تاريخ العهد الإسلامي بمصر..

وكشف لنا السيوطي اتصاله بالحكام وحصوله على أسناد الحكومة وأسرارها وكذا الاستماع إلى أخبار وروايات الصحابة والتابعين الذين كانوا قد جاؤوا إلى مصر، مما مهّد له أرضية التوجه إلى التاريخ حتى كتب مما حصل عليه من معلومات كتاب «فتوح مصر وأخبارها»..

- عبيد الله بن أبي جعفر المصري الفقيه أبو بكر، مولى بني أمية. عن أبي عبد الرحمن الحبلي والشعبي وعطاء ونافع وعدة، وعنه ابن لهيعة والليث..

قال ابن سعد: وكان ثقة فقيه زمانه..

وقال الذهبي في العبر: أحد العلماء والزهاد، ولد سنة ستين، ومات سنة اثنتين -وقيل خمس، أو ست وثلاثين- ومائة..

- جبر بن نعيم بن مرة الحضرمي المصري قاضي مصر، روى عن عطاء وأبي الزبير، وعنه الليث وابن لهيعة. قال الدارقطني: ولي القضاء والقصص بمصر..

وقال يزيد بن أبي حبيب: ما أدركت من قضاة مصر أفقه منه..

مات سنة سبع وثلاثين ومائة..

- خالد بن يزيد الجمحي مولاهم أبو عبد الرحيم المصري الفقيه روى عن عطاء والزهري، وعنه الليث..

مات سنة تسع وثلاثين ومائة..

- عمرو بن الحارث بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري مولاهم أبو أمية المصري روى عن أبيه والزهري، وعنه مجاهد، وهو أكبر منه، وبكير بن الأشج وقتادة وهما من شيوخه، ومالك وابن وهب، وهو راويته..

قال أبو حاتم: كان أحفظ أهل زمانه..

وقال ابن وهب: ما رأيت أحفظ منه..

مات سنة سبع -أو ثمان- وأربعين ومائة..

- ابن لهيعة عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمي المصري. أبو عبد الرحمن الفقيه، قاضي مصر ومسندها، روى عن عطاء وعمرو بن دينار والأعرج وخلق، وعنه الثوري والأوزاعي وشعبة، وماتوا قبله وابن المبارك وخلق..

وثقه أحمد وغيره، وضعفه يحيى القطان وغيره..

مات بمصر يوم الأحد نصف ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة..

– الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري أحد الأعلام، ولد بقلقشندة سنة أربع وتسعين، وروى عن الزهري وعطاء ونافع وخلق، وعنه ابنه شعيب وابن المبارك وآخرون..

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث صحيحه، وكان قد اشتغل بالفتوى في زمانه بمصر..

وقال يحيى بن بكير: ما رأيت أحداً أكمل من الليث، كان فقيه النفس، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، ويحفظ الحديث والشعر، حسن الذاكرة..

وقال الشافعي: كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه..

وقال الذهبي في العبر: كان نائب مصر وقاضيها من تحت أوامر الليث، وإذا رابه من أحد شيء كاتب فيه فيُعزل، وقد أراده المنصور أن يلي إمرة مصر فامتنع..

مات يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة، كذا ذكره غير واحد..

وقال ابن سعد: سنة خمس وستين..

– عثمان بن الحكم الجذامي. قال ابن فرحون: مشهور من أصحاب مالك المصريين، وهو أول من أدخل علم مالك مصر..

روى عن مالك وابن جريج وموسى بن عقبة وسعيد بن أبي مريم. مات سنة ثلاثين وستين ومائة..

– المفضل بن فضالة بن عبيد الرعيني أبو معاوية المصري الفقيه قاضي مصر،روى عن يزيد بن أبي حبيب وخلق، وروىعنه قتيبة وغيره. وكان زاهداً ورعاً ناقداً مجاب الدعوة.. مات سنة إحدى وثمانين ومائة عن أربع وسبعين سنة..

- عبد الله بن وهب بن مسلمة المصري الفهري مولاهم أبو محمد الخير. أحد الأعلام. ولد في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة، وروى عن مالك والسفيانين وغيرهم..

قال ابن عدي: من جلة الناس وثقاتهم، لا أعلم له حديثاً منكراً، تفقه بمالك والليث..

وقال ابن يونس: جمع بين الفقيه والرواية والعبادة، وله تصانيف كثيرة، وكانوا أرادوه على القضاء فتغيب..

وقال ابن فرحون. قالوا: لم يكتب مالك لأحد بالفقه إلا إلى ابن وهب، فكان يكتب إليه: إلى عبد الله بن وهب فقيه مصر، وإلى أبي محمد المفتي؛و لم يكن يفعل هذا لغيره..

وقال أحمد بن صالح. ما رأيت أكثر حديثاً منه، حدث بمائة ألف حديث،قرئ عليه كتابه في أهوال القيامة، فخر مغشيًّا عليه، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام وذلك في شعبان سنة سبع وتسعين ومائة..

- عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي المصري أبو عبد الله الفقيه المسائل عن مالك، روى عن أبي عيينة وغيره، وعنه أصبغ وسحنون وآخرون..

قال ابن حبان: كان حبراً فاضلاً، تفقه على مذهب مالك، وفرع على أصوله، ولد سنة ثمان وعشرين ومائة، ومات في صفر سنة إحدى وتسعين ومائة و كان زهداً صبوراً مجانباً للسلطان..

- إسحاق بن الفرات أبو نعيم التجيبي صاحب مالك، قاضي ديار مصر. قال الشافعي: ما رأيت بمصر أعلم باختلاف الناس من إسحاق بن الفرات. روى عن الليث وغيره. مات بمصر سنة أربع ومائتين..

- أشهب بن عبد العزيز العامري أبو عمرو فقيه ديار مصر، صاحب مالك، انتهت إليه الرياسة بمصر بعد ابن القاسم..

قال الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه..

وقال ابن عبد البر: كان فقيهاً حسن الرأي والنظر، ولد سنة أربعين ومائة، ومات سنة أربع ومائتين، قيل: اسمه مسكين، وأشهب لقب..

- عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصري أبو محمد كان من جلة أصحاب مالك، ألقيت إليه الرياسة بمصر بعد أشهب، وله مصنفات في الفقه وغيره.. وقال ابن حبان: كان ممن عقد على مذهب مالك وفرع على أصوله، روى عن مالك وابن لهيعة والليث، وعنه بنوه: محمد وعبد الرحمن وسعد ومحمد بن عبد الله بن نمير وآخرون..

وثقه أبو زرعة وغيره. ولد سنة خمس وخمسين ومائة ومات في رمضان سنة خمس عشرة، وقيل: أربع عشرة ومائتين، ودفن إلى جانب الشافعي..

- إسحاق بن بكر بن مضر المصري الفقيه، قال ابن يونس: كانفقيهاً مفتياً وكان يجلس في حلقة الليث، ويفتي بقوله ويحدث. قال في العبر: لا أعلمه روى عن غير أبيه. مات بمصر سنة ثماني عشرة ومائتين..

- عثمان بن صالح بن صفوان السهمي أبو يحيى المصري قاضي مصر، روى عن مالك والليث وابن وهب، وعنه البخاري وابن معين وأبو حاتم وخلق، مات في المحرم سنة تسع عشرة ومائتين..

- أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الأموي أبو عبد الله المصري. الفقيه مفتي أهل مصر، روى عن عبد الرحمن بن القاسم وابن وهب، وعنه البخاري وأبو حاتم..

قال ابن معين: كان من أعلم خلق الله كلهم برأي مالك..

وقال أبو حاتم: كان من أجل أصحاب ابن وهب..

وقال ابن يونس: كان مضطلعًا بالفقه والنظر. وله تصانيف حسان..

وقال بعضهم: ما أخرجت مصر مثل أصبغ، وقال ابن اللباد: ما انفتح لي طريق الفقه إلا من أصول أصبغ. ولد بعد الخمسين ومائة، ومات يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين..

- أحمد بن صالح المصري أبو جعفر، أحد الحفاظ المبرزين، والأئمة المذكورين؛ كان إمامًا فقيهًا نظارًا متقنًا، رأسًا في الحديث وعلله، إمامًا في القراءات والفقه والنحو..

قرأ على ورش وقالون، وسمع من ابن وهب وغيره،روى عنه البخاري وأبو داود، وكان يرى في الجنب إذا لم يقدرعلىالماء لبرد أنه يتوضّأ ويجزئه، ولد سنة سبعين ومائة، ومات في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين ومائتين..

- سعيد بن كثير بن عفير أبو عثمان المصري الحافظ العلامة قاضي الديار المصرية، روى عن مالك والليث، وكان فقيهًا نسابة إخباريًّا، شاعرًا كثير الاطلاع قليل المثل، صحيح النقل. ولد سنة ست وأربعين ومائة، ومات سنة ست وعشرين ومائتين..

- الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي أبو عمرو المصري الحافظ الفقيه العلامة، روى عنه أبو داود والنسائي. قال الخطيب: كان فقيهًا على مذهب مالك. ثقة في الحديث، ثبتا. وله تصانيف. ولد سنة أربع وخمسين ومائة، ومات ليلة الأحد لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين..

- أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح الأموي مولاهم المصري الحافظ الفقيه العلامة روى عن ابن عيينة وابن وهب، وعنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، والسرح هو طاهر بن وهب..

قال أبو حاتم: كان ثقة فهمًا من الصالحين الأثبات..

مات يوم الاثنين رابع عشرة ذي القعدة سنة خمسين ومائتين..

وذكره ابن فرحون في طبقات المالكية، وقال: كان فقيهاً ثقة صوفياً..

– محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري أبو عبد الله ولد سنة اثنتين وثمانين ومائة، وأخذ مذهب مالك عن ابن وهب، وأشهب، فلما قدم الشافعي مصر صحبه، وتفقه به، فلما مات الشافعي رجع إلى مذهب مالك. وانتهت إليه الرياسة بمصر..

قال ابن يونس: كان المفتي بمصر في أيامه..

وقال غيره: كان من العلماء الفقهاء، مبرزاً، من أهل النظر والمناظرة والحجة، وإليه كانت الرحلة من الغرب والأندلس في العلم والفقه، وكان فقيه مصر في عصره على مذهب مالك، ورسخ في مذهب الشافعي، وربما تخير قوله عند ظهور الحجة، وكان أفقه أهل زمانه؛ له مصنفات كثيرة. مات يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة سنة ثمان وستين ومائتين..

ابن الموّاز العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإسكندراني. صاحب التصانيف، أخذ عن أصبغ بن الفرج وعبد الله بن عبد الحكم، وانتهت إليه الرياسة في مذهب مالك، وإليه كان المنتهى في تفريع المسائل، وله اختيارات خارجة عن مذهب مالك؛ منها وجوب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَه وَسَلَّمَ في الصلاة. مات سنة إحدى وثمانين ومائتين..(١)

ويظهر لنا من خلال عرض هذه الشخصيات أن المالكية هم أول الوافدين لمصر..

وأن وفادتهم كانت في العصر العباسي و كانت محل ترحاب من قبل الحكام حيث تولوا القضاء ومناصب أخرى..

وهذا يعني أن فترة العصر الأموي لم يكن هناك وجود لرموز المذاهب المعروفة آنذاك وهي الحنفية والمالكية..

وحسب قول المقريزي : لم يكن مذهب أبي حنيفة يعرف بمصر..

وكما ذكر قد بدأ في الظهور بمصر في عصر هارون الرشيد وعن طريق أبي يوسف الذي ولي القضاء في عصره أي بعد سنة سبعين ومائة..

(١)انظر تراجم هؤلاء وغيرهم في حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة للسيوطي باب في ذكر من كان بمصر من الأئمة المجتهدين،و الولاة والقضاة للكندي والعبر في خبر من غبر للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات ابن سعد وكتب التراجم..

– شخصيتان بارزتان

كان وصول السيدة زينب إلى مصر قد أحدث انقلاباً في النفسية المصرية المحبة لأهل البيت..

وكان التفاف الناس من حولها رعية وحكاماً والحفاوة البالغة بها قد كشف لنا مدى الحالة الولائية الكامنة في نفوس المصريين تجاه أهل البيت..

وهو ما جعلها تتخذ من مصر مقراً لها وتدفن في رحابها، لتعيش في قلوب المصريين ووجدانهم حتى قيام الساعة..

ثم جاءت السيدة نفيسة من بعدها لتتم دورها وتسير على خطاها..

إلا أن المصادر التأريخية لم تركز كثيراً على دور السيدة زينب في مصر وذلك لأسباب سياسية تتعلق بحادثة كربلاء ومقتل الحسين، إذ أن إثارة هذا الأمر حينها كان يمثل عدواناً على بني أمية ودولتهم التي كانت مصر تخضع لسلطانها..

أما السيدة نفيسة فقد برزت بعد زوال حكم الأمويين، وكان دورها بعيداً عن السياسة..

قال ابن الجوزي في المنتظم تحت عنوان ذكر من توفي من الأكابر في تأريخ الملوك والأمم حوادث سنة ثمان وستين ومائة عن والد السيدة نفيسة:الحسن بن زيد بْن الْحَسَن بْن عَلِيّ بْن أبي طالب أَبُو مُحَمَّد الهاشمي الْعَلَوِيّ ..

حدث عَنْ أبيه، وعن عكرمة، روى عنه: ابْن إِسْحَاق، ومالك وابْن أبي ذئب وابْن أبي الزناد. وَكَانَ أحد الأجواد، وولاه المنصور خمس سنين، ثمُّ غضب عليه فعزله واستصفى كل شيء له وحبسه ببغداد فلم يزل محبوسا حَتَّى مات المنصور، فأخرجه المهدي ورد عليه مَا أخذ منه ولم يزل معه..

تُوُفِّيَ الْحَسَن بالحاجر عَلَى خمسة أميال من المدينة وَهُوَ يريد مكة من العراق في هذه السنة وَهُوَ ابْن خمس وثمانين سنة وصلى عليه المهدي..

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: الْحَسَن بْن مُؤَمِّل الْعَلَوِيّ بْن أَبِي طَالِب الْهَاشِمِيّ، وَالِدُ أَمِيرِ الْمَدِينَةِ الْحَسَنِ بْن زَيْد ..

سَمِعَ: أَبَاهُ، وَابْنَ عَبَّاسٍ ..

وَعَنْهُ: ابْنُهُ حَسَنٌ وَالسَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِ، وَأَبُو مَعْشَرٍ السِّنْدِيُّ ..

ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ ..

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ فِي حَقِّ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هَاشِمٍ، فَأَدُّوا إِلَيْهِ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَيْ هَذَا عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ ..

وَقِيلَ: كَانَ النَّاسُ يعجبون من عظم خلقته..

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: عَنْ فَدَاةُ السَّفِيسَةِ عَامِ ٢٠٨ هـ: نَفِيسَةُ بِنْتُ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، الْقُرَشِيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ، كَانَ

ا نَائِبًا لِلْمَنْصُورِ عَلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ خَمْسَ سِنِينَ ثم غضب المنصور عليه فَعَزَلَهُ
كُلَّ مَا كَانَ يملكه وَمَا كَانَ جَمَعَهُ مِنْهَا، وَأَوْدَعَهُ السِّجْنَ بِبَغْدَادَ..
يَزَلْ بِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ الْمَنْصُورُ فَأَطْلَقَهُ الْمَهْدِيُّ وَأَطْلَقَ لَهُ كُلَّ مَا كَانَ أَخَذَ، وَخَرَجَ
مَعَهُ إِلَى الْحَجِّ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وستين ومائة، فلما كان بالحاجر توفي عَنْ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ
سَنَةً..
قَدْ رَوَى لَهُ النَّسَائِيُّ حَدِيثَهُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ"..
ضَعَّفَهُ ابْنُ مَعِينٍ وَابْنُ عَدِيٍّ، وَوَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ.
رَوَاهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي رِسَامَتِهِ..
وَالْمَقْصُودُ أَنَّ ابْنَتَهُ نَفِيسَةَ دَخَلَتْ دِيَارَ الْمِصْرِيَّةِ مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر،
فأقامت بها وكانت فأحسنت إِلَى النَّاسِ وَالْجَذْمَى وَالزَّمْنَى وَالْعُمُومِ
النَّاسِ، وَكَانَتْ عَابِدَةً زَاهِدَةً كَثِيرَةَ الْخَيْرِ..
وَلَمَّا وَرَدَ الشَّافِعِيُّ مِصْرَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ حَتَّى مَا أَخْرَجَتْ مِنْ خَزَانَتِهِ فَأَدَّتْ إِلَيْهَا الْمَنْزِلَ
فَصَلَّتْ عَلَيْهِ..
وُفِّيَتْ عَزَمَ زَوْجُهَا إِسْحَاقُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنْ يَقُولَ لَهَا بِالْبَوِيَّةِ فَقَدْ مَنَعَهُ أَهْلُ
مِصْرَ أَوْ مَنْ يَلِيهَا وَعِنْدَهُمْ، فَدُفِنَتْ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي كَتَسْكُنُهُ
مَحَلَّةٍ كَانَتْ تُعْرَفُ قَدِيمًا بِدَرْبِ السِّبَاعِ مِنْ مَصْرَ وَالْقَاهِرَةِ وَفَاتُهَا فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السنة فيما ذكره ابن خلكان..
قَالَ مِنْ وَصَلَ لَأَرْهَفِيهَا اعْتِقَادٌ..
قُلْتُ: وَإِلَى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً، ولا سيما عوام
مصر..

وقال المقريزي في اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا في حوادث سنة تسعين وأربعمائة:وفيها تجمع الرعاع والعامة في يوم عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة وجهروا بسب الصحابة، وهدموا عدة قبور، فسير الأفضل إليهم ومنعهم من ذلك؛ وأدب ذخيرة الملك ابن علوان، والي القاهرة، جماعة وضربهم..

وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة حوادث عام ٢٠٨هـ :فيها توفيت السيدة نفيسة ابنة الأمين الحسن بن زيد بن السيد الحسن بن علي بن أبي طالب، الهاشمية الحسنية الحسيبة النسيبة صاحبة المشهد بين مصر والقاهرة، وقد ولي أبوها إمرة المدينة لأبي جعفر المنصور مدة، ثم قبض عليه وحبسه، إلى أن أطلقه المهدي لما تخلف ورد عليه جميع ما كان أخذه أبوه المنصور منه..

وتحولت السيدة نفيسة مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق من المدينة إلى مصر، فأقامت بها إلى أن ماتت في شهر رمضان من هذه السنة من غير خلف في وفاتها.. وهي صاحبة الكرامات والبرهان، وقد شاع ذكرها شرقاً وغرباً..

وقال السيوطي في حسن المحاضرة: السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،كان أبوها أمير المدينة للمنصور، وله رواية في سنن النسائي، ودخلت هي مصر مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق، فأقامت بها، وكانت عابدة زاهدة، كثيرة الخير. وكانت ذات مال؛ فكانت تحُسن إلى الأيتام والمرضى وعموم الناس..

ولما ورد الشافعي مصر كانت تحسن إليه،ولما توفي أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل، فصلت عليه..

ماتت في رمضان سنة ثمان ومائتين..

وكان عزم زوجها على أن ينقلها فيدفنها بالمدينة النبوية؛ فسأله أهل مصر أن يدفنها عندهم، فدفنت بمنزلها بدرب السباع محلة بين مصر والقاهرة..

وقال ابن العماد في شذرات الذهب في أخبار من ذهب حوادث عام ٢٠٨هـ:فيها توفيت السيدة نفيسة بنت الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسنيّة، صاحبة المشهد بمصر. ولي أبوها إمرة المدينة للمنصور، ثم حبسه دهرا.. ودخلت هي مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصّادق، وتوفيت في شهر رمضان.. سمع عليها الشّافعيّ ، وحملت جنازته يوم مات فصلت عليه. ولما ماتتهّ زوجها إسحاق بحملها إلى المدينة فأبى أهل مصر فدفنت بين القاهرة ومصر..

يقال: إن الدعاء مستجاب عند قبرها..

قال الذّهبيّ : ولم يبلغنا شيء من مناقبها..

وكان أخوها القاسم بن حسن زاهداً عابداً ..

قلت: وسلسلتها في النسب وسماع الشّافعيّ منها وعليها، وحمله ميتاً إلى بيتها، أعظم منقبة، فلم يكن ذلك إلا عن قبول وإقبال وصيت وإجلال، نفع الله بها ومبلغها..

أما الشافعي فقد ولد سنة خمسين ومائة بغزة أو بعسقلان أو اليمن ولازم مالكًا بالمدينة،وهو العام الذي توفي فيه أبو حنيفة..

وقدم بغداد سنة خمس وتسعين، فاجتمع عليه علماؤها، وأخذوا عنه وصنف بها كتابه القديم، ثم عاد إلى مكة، ثم خرج إلى بغداد سنة خمس وتسعين، فأقام بها شهراً، ثم خرج إلى مصر، وصنف بها كتبه الجديدة كالأم والأمالي الكبرى والإملاء الصغير ومختصر البويطي ومختصر المزني ومختصر الربيع والرسالة والسنن..

قال ابن زولاقصنف الشافعي نحواً من مائتي جزء،ولم يزل بهشزاً للعلم، ملازماً للإشغال بجامع عمرو إلى أن أصابته شديدة فمرض بسببها أياماً، ثم مات يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين..

قال الإسنوي: الشافعي أول من صنف في أصول الفقه بالإجماع، وأول من قرر ناسخ الحديث من منسوخه، وأول من صنف في أبواب كثيرة من الفقه معروفة..

إلا أن الفقهاء والمؤرخين لا يشخصون لنا بدقة الأسباب والعوامل التي جعلت الشافعي يتخلى عن مذهبه القديم ويخط مذهبه الجديد بمصر..؟

وهل يعود ذلك لتأثره بالسيدة نفيسة التي تتلمذ على يدها في مصر..؟

وما الذي يجعل فقيهاً بهذا القدر يسلم نفسه للسيدة نفيسة ثم يتخلى عن مذهبه ويعيد صياغته من جديد..؟

وما هى العوامل التي ساعدت الشافعي على التغلغل بين المصريين في تلك الفترة ونشر أفكاره على حساب المذاهب الأخرى..؟

هل لارتباطه بأهل البيت..؟

أم لحالة الفراغ المذهبي التي كانت تعيشها مصر في تلك الفترة..؟

والراجح أن انتشار الشافعية كان للسببين معاً..

والكثير من القرائن تشير لارتباط الشافعي بأهل البيت وميله نحوهم حتى أنه اتهم بالتشيع لهم، وكاد أن يقتل على يد هارون الرشيد..

والمتأمل في شعر الشافعي يجد ذلك واضحاً..

والمصنفات التي صنفها الشافعي وكان له قدم السبق فيها هى من علوم أهل البيت، و أول من خطها هم تلاميذهم في الفترة السابقة للشافعي..(١)

إلا أن التيار الذي ساد واقع المسلمين كان مخاصماً لأهل البيت معتماً عليهم وعلى علومهم..

والأمر كما ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة أبان بن تغلب : أن التشيع في التابعين وتابعيهم كثير ، مع الدين والورع والصدق..

فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية ، وهذا مفسدة بينة..

و أول من صنف في الإسلام أمير المؤمنين علي ، ثم سلمان الفارسي، ثم أبو ذر الغفاري ، ثم أصبغ بن نباتة ، ثم عبيد الله بن أبي رافع ، ثم الصحيفة الكاملة عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين..

(١)انظر سيرة الشافعي في كتب التراجم والتأريخ وانظر ديوانه..

ويعد أبو عبد الله الحاكم النيشابوري صاحب المستدرك على البخاري و مسلم، المتوفى سنة خمس وأربع مائة هـ ، أول من صنف في معرفة علوم الحديث في خمسة أجزاء ، ونوع فيه الحديث إلى خمسين نوعاً ، وقد نص على تقدمه في ذلك صاحب كشف الظنون..

قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ عن ابن طاهر أنه قال : سألت أبا إسماعيل الأنصاري عن الحاكم فقال : ثقة في الحديث ، رافضي خبيث ..

و من أوائل من صنف في علم الفقه علي بن أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و هو تابعي كانت له صحبة مع أمير المؤمنين علي ، وكان كتباً له وحفظ كثيراً ، وجمع كتاباً في فنون الفقه : الوضوء والصلاة وسائر الأبو اب ، تفقه على أمير المؤمنين، وجمعه في أيامه أوله (باب الوضوء)..

و سعيد بن المسيب الفقيه القرشي المدني ، أحد الفقهاء الستة المتوفى سنة أربع وتسعين ، وكانت ولادته أيام خلافة عمر بن الخطاب..

روى الكليني في الكافي في باب مولد أبي عبد الله الصادق عن يحيى بن جر ير قال : قال أبو عبد الله الصادق: كان سعيد ابن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين..

وفي رواية أنهما من حواري علي بن الحسين..

و أول من صنف الطبقات أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، المتولد سنة ثلاث ومائة ، ونص على تصنيفه الطبقات ابن النديم في الفهرست ..

وقد كثر الفقهاء و المصنفين في الصدر الأول الناقلين عن الإمام جعفر بن محمد الصادق المتوفي في سنة (١٤٨هـ)..

ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلاد ،و لم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه..

ومن مشاهير أئمة اللغة ابن السكيت الذي قتله المتوكل العباسي لأجل التشيع ، وأمره مشهور..

و قال ابن الأنباري أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي..

وقال أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري في كتاب الأوائل : أول من وضع النحو علي بن أبي طالب..

وقال عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب عند ذكره لأبي الأسود : وهو واضع علم النحو بتعليم علي..

ومثله الدميري في حياة الحيوان في دئل قال : إنه أول من وضع النحو بتعليم علي ابن أبي طالب..

وقال ابن النديم في الفهرست قال أبو جعفر بن رستم الطبري : إنما سمى النحو نحوا لأن أبا الأسود الدؤلي قال لعليوقد ألقى عليه شيئاً من أصول النحو..

قال أبو الأسود : واستأذنته أن أضع نحو ما وضع فسمى ذلك نحواً ..

وقال ابن الأنباري في النزه والصحيح: أن أول من وضع النحو علي ابن أبي طالب ،لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود وأبو الأسود يسند إلى علي، فإنه روى عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له من أين لك هذا النحو ؟

فقال : لفقت حدوده من علي بن أبي طالب..(١)

وهذا قليل من كثير مما تكتظ به المصادر في شتى العلوم وتشهد بعلو علوم أهل البيت وكو نهم مراجع الأمة ومصدر تلقي الدين..

ولا يعقل أن هذا العلم الجم والوفير النابع من مدرسة أهل البيت لم يعلم به الشافعي ولم يرتو منه، وهو علم قد فرض نفسه على كل المسلمين بشتى مشاربهم، إذ لم يكن أمامهم باب يوصلهم لعلوم الدين غير باب أهل البيت..

(١)للتوسع في هذا الأمر انظر الشيعة وفنون الإسلام للصدر..

وإن لم يكن الشافعي قد وصل لعلوم أهل البيت وتعرف عليها من قبل فعلى الراجح بل على اليقين أنه قد وصل إليها ونهل منها عن طريق السيدة نفيسة..

والظاهر أن مذهب الشافعي تم التلاعب به من بعده وتفريغه من حالة الولاء والاقتداء بأهل البيت ليلائم توجه الحكام ويخدم مصالحهم..

من هنا يمكن القول أن الشافعي شئ ومذهبه السائد شئ آخر..

– توطين المذاهب

كان دخول الفاطميين مصر من العوامل التي ساعدت على انتشار نهج أهل البيت وتمكنه فيها بعد زوال المانع المتمثل في حكم بني العباس..

ولولا كون الفاطميين من ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان من الممكن أن يتعاطف معهم المصريون وأن يكتب لحكمهم الدوام لأكثر من قرنين..

قال المقريزي في إتعاظ الحنفا حوادث سنة خمس وثمانين وثلاثمائة:وجلس في ربيع الأول القاضي محمد بن النعمان على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت، و حضره الناس، فمات في الزحام أحد عشر رجلا..

وقد استمر تواجد المذاهب الأخرى في ظل الحكم الفاطمي وإن كان هذا الو جود ضعيفاً ..

وضعف هذه المذاهب لا يعود لتضييق الفاطميين عليها كما يدعي الخصوم من الفقهاء والمؤرخين وإنما لتفاعل المصريين مع نهج أهل البيت..

وقد كان الوجود المذهبي في مصر ضعيفاً قبل دخول الفاطميين وطول القرون الثلاثة الأولى رغم دعم الحكام كما هو واضح من خلال ماسبق..

أما الحنابلة فكان وجودهم ضعيفاً ..

قال السيوطي: هم بالديار المصرية قليل جدًّا، ولم أسمع بخبرهم فيها إلا في القرن السابع وما بعده؛ وذلك إن ابن حنبل كان في القرن الثالث، ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن الرابع..(١)

– نماذج من أئمة المذاهب التي تواجدت أيام الفاطميين وهى من الشواهد التي تدل على تسامحهم وقبولهم للآخر:

قال ابن الأثير في الكامل: هذه السَّنَةِ (٤٠٩هـ) الْمَعَايِيَ عَبْنُ سَعِيدِ بْنِ بِشْرِ
مَرْوَانَ الْحَافِظُ الْمِصْرِيُّ، صَاحِبُ "الْمُؤْتَلِفِ" وَخَالِفَ وِلْدُهُ سَاثْنَتَيْنِ
وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثَمِائَةٍ ..
فِيِّ رَجَاءُ بْنُ عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو الْعَسَّايِ الْأَصْوَنَ أَنْقُرِنَا مِنْ مِصْرَ، وَهُوَ
نَ الْفُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ..

وقال الذهبي في العبر حوادث سنة٤٢٢هـ عن القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر، أبو محمد البغدادي المالكي: أحد الأعلام، سمع من عمر بن سنبك وجماعة،

وتفقه على ابن القصّار، وابن الجلاب، ورأى أبا بكر الأبهري، وانتهت إليه رئاسة المذهب. قال الخطيب: لم ألق في المالكية أفقه منه، ولي قضاء بادرايا ونحوها، وتحوّل في آخر أيامه إلى مصر، فمات بها في شعبان، وقد ساق القاضي ابن خلكان، نسب القاضي عبد الوهاب،إلى مالك بن طوق التغلبي، صاحب الرَّحبة. قال أبو إسحاق الشيرازي: سمعت كلامه في النظر، وكان فقيهاً متأدباً شاعراً، له كتب كثيرة، في كل فن..

(١)انظر حسن المحاضرة فصل ذكر من كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة..

وقال السيوطي عنه في حسن المحاضرة : القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر أبو محمد البغدادي أحد الأعلام، وأحد أئمة المالكية المجتهدين في المذهب، له أقوال وترجيحات. تفقه على ابن القصار وابن الجلاب، وانتهت إليه رياسة المذهب. قال الخطيب: لم أر في المالكية مثله، ولا أفقه منه. ولي قضاء داريا و نحوها، وتحول إلى مصر لضيق حاله ببغداد، فأكرم بها، وتمول وسعد جدا فأدركه الموت، فكان يقول في مرضه: لا إله إلا الله، عندما عشنا متنا! مات بمصر في شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة عن ستين سنة..

وروى المقريزي:وفي تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بمحو ما هو مكتوب على المساجد والأبواب وغيرها من سب السلف، فمحي بأسره، وطاف متولي الشرطة حتى أزال سائر ما كان منه..

وروى عن أبو الفضل عبد الله بن الحسين: أبو الفضل عبد الله بن الحسين بن بشرى، المعروف بابن الجوهري، الواعظ المصري في العشر الأواخر من شوال؛ وهو

أحد أكابر شيوخ مصر، وتصدى سنين للوعظ بجامع عمرو بن العاص. حدث عن جماعة؛ وله كلام في الزهد والمواعظ؛ وهو من بيت علم وأسرة وعظ..

وروى : رتب أبو علي بن الأفضل في الحكم أربعة قضاة، فصار كل قاض يحكم بمذهبه ويورث بمذهبه؛ فكان قاضي الشافعية سلطان بن إبراهيم بن المسلم بن رشا، وقاضي المالكية أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد المولى بن أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللبني المغربي، وقاضي الإسماعيلية أبو الفضائل هبة الله بن عبد الله بن حسن بن محمد القاضي فخر الأمناء الأنصاري المعروف بابن الأزرق، وقاضي الإمامية القاضي المفضل أبو القاسم ابن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن أبي كامل. ولم يسمع بمثله هنا في الملة الإسلامية قبل ذلك..(١)

(١)انظر إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ج ٢حوادث سنة سبع وتسعين وثلثمائة، وسنة ثمانين وأربعمائة ، و ج ٣ سنة خمس وعشرين وخمسمائة..

وقال : كذلك كان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر حنفياً فيه تعصب، فنشر مذهب أبي حنيفة ببلاد الشام، ومنه كثرت الحنفية بمصر..

وقدم إليها أيضاً عدّة من بلاد الشرق، وبنى لهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المدرسة السيوفية بالقاهرة، وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ..

وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن عليّ إسماعيل الأشعريّ ، تلميذ أبي علي الجبائيّ ، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر..

كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعي ّ من القرافة، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر، والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر، وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة..

فاستمر ّ الحال على عقيدة الأشعري ّ بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضاً، لإدخال محمد بن تومرت أي الأشعري ّ إليها، حتى أنه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد، بحيث أن من خالفه ضرب عنقه..

والأمر على ذلك إلى اليوم، ولم يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل، ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في آخرها..

فلما كانت سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري ّ، ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة، وهم شافعي ّ ومالكي ّ وحنفي ّ وحنبلي ّ. فاستمر ّ ذلك من سنة خمس وستين وستمائة، حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعري ّ..

وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الإسلام، وعودي من تمذهب بغيرها، وأنكر عليه، ولم يول ّ قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا ق ّم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول هذه المد ّة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها، والعمل على هذا إلى اليوم..(١)

وقال عن الفاطميين: لا شك في أن القوم كانوا شيعةً يرون تفضيل علي بن أبي طالب على من عداه من الصحابة، وكانوا ينتحلون من مذاهب الشيعة مذهب الإسماعيلية وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وتنقلها في أولاده الأئمة المستورين إلى عبيد الله المهدي، أول من قام منهم بالمغرب، وبقية الشيعة لا يقولون بإمامة إسماعيل، وينكرون عليهم ذلك أشد الإنكار..

وكانوا مع انتحالهم مذهب التشيع غلاةً في الرفض؛ إلا أن أولهم كانوا أكابر صانوا أنفسهم عما تحرف به آخرهم..

ثم إن الحاكم بأمر الله أكثر من النظر في العقائد، وكان قليل الثبات سريع الاستمالة، إذا مال إلى اعتقاد شيء أظهره وحمل الناس عليه، ثم لا يلبث أن يرجع عنه إلى غيره فيريد من الناس ترك ما كان قد أهم به والمصير إلى ما استحدثه ومال إليه..

(١١) انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٤ ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم..

واقترن به رجل يعرف باللباد والزوزني فأظهر مذاهب الباطنية، وقد كان عند أولهم منها طرف، فأنكر الناس هذا المذهب لما يشتمل عليه مما لم يعرف عند سلف الأمة وتابعيهم ولما فيه من مخالفة الشرائع..

فلما كانت أيام المستنصر وفد إليه الحسن بن الصباح، فأشاع هذا المذهب في الأقطار ودعا الكافة إليه، واستباح الدماء بمخالفته؛ فاشتد النكير، وكثر الصائح عليهم من كل ناحية حتى أخرجوهم عن الإسلام ونفوهم عن الملة..

ووجد بنو العباس السبيل إلى الغض منهم لما مكنوا من البغض فيهم وقاسوه من الألم بأخذه ما كان بأيديهم من ممالك القيروان وديار مصر والشام والحجاز واليمن وبغداد أيضاً، فنفوهم عن الانتساب إلى علي بن أبي طالب، بل وقالوا إنما هم من أولاد اليهود؛ وتناولت الألسنة ذلك، فملئوا به كتب الأخبار..

ثم لما اتصل بهم الغز ووزر لهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين، وهم من صنائع دولة بني العباس الذين ربوا في أبوابها وغذوا بنعمها ونشئوا على اعتقاد موالاتها ومعاداة أعدائها، لم يزدهم قربهم من الدولة الفاطمية إلا نفوراً، ولا ملأهم إحسانها إليهم إلا حقداً وعداوة لها، حتى قووا بنعمتها على زوالها، واقتدوا بها على محوها..

وكانت أساسات دولتهم راسخة في التخوم، وسيادة شرفهم قد أنافت على النجوم، وأتباعهم وأولياؤهم لا يحصى لهم عدد، وأنصارهم وأعوانهم قد ملئوا كل قطر وبلد؛ فأحبوا طمس أنوارهم، وتغيير منارهم، وإلصاق الفساد والقبيح بهم، شأن العدو وعادته في عدوه..

فتفطن، رحمك الله، إلى أسرار الوجود، وميز الأخبار كتمييزك الجيد من النقود، تعثر إن سلمت من الهوى بالصواب..

ومما يدلك على كثرة الحمل عليهم أن الأخبار الشنيعة، لا سيما التي فيها إخراجهم من ملة الإسلام، لا تكاد تجدها إلا في كتب المشارقة من البغداديين والشاميين، كالمنتظم لابن الجوزي، والكامل لابن الأثير، وتاريخ حلب لابن أبي طي، وتاريخ العماد لابن كثير، وكتاب ابن واصل الحموي، وكتاب ابن شداد، و كتاب العماد الأصفهاني، ونحو هؤلاء..

أما كتب المصريين الذين اعتنوا بتدوين أخبارها فلا تكاد تجد في شيء منها ذلك ألبتة، فحكم العقل واهزم جيوش الهوى، وأعط كل ذي حق حقه، ترشد إن شاء الله تعالى..(١)

ويكفي القول أن مصر كانت متبوعة في ظل الفاطميين ولها كيانها وقوتها ، وقد فقدت هذه القوة والمكانة في ظل الحكومات المذهبية من الأيوبيين وحتى العثمانيين وعادت لتكون تابعة كما كان حالها قبل الفاطميين..

وفرض صلاح الدين مذهب الشافعي وعقيدة الأشعري على المصريين بالقوة

ووضع بذرة التصوف في مصر كبديل عن التشيع..

ثم جاء المماليك من بعده فدعموا المذاهب الأربعة ومذهب التصوف..

وجاء الأتراك العثمانيون من بعدهم ففرضوا المذهب الحنفي..

لقد خسرت مصر كثيراً منذ سقوط الفاطميين وسيادة المذاهب الدخيلة..

وهى لازالت تخسر بعد أن ساد فيها اليوم المذهب السلفي الوهابي..
من هنا يمكن القول أن المذاهب لم تسد مصر إلا بعد سقوط الفاطميين وبدعم من الحكومات الغازية..

(١)انظر إتعاظ الحنفا ج٣ ذكر ما عيب على الفاطميين..

ورغم سيادتها ظلت محصورة في دائرة المدارس ومؤسسة الأزهر ولم يتشبع بها المصريون كحال البلاد الأخرى التي تفوح منها رائحة المذهبية بقوة..
وظلوا على ولائهم وحبهم لأهل البيت وهو ما ساعد التصوف المتلحف بأهل البيت على الانتشار في مصر ليصبح التيار الإسلامي الأول فيها..

— نماذج من رموز المذاهب والتصوف في العصر الأيوبي والمملوكي الذين استخدمتهم الحكومات في ضرب التشيع وتفريغه من مضمونه:

- صالح بن المبارك القزاز..

روى الذهبي في حوادث سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة:
فيها توفي أبو محمد صالح بن المبارك بن الرخلة الكرخي المقرئ القزاز..
سمع من النعالي وغيره وتوفي في صفر..
والعثماني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى الأموي الديباجي محدث الاسكندرية بعد السلفي في الرتبة..
روى عن أبي القاسم بن الفحام والطرطوشي وخلق..
ويعرف بابن أبي اليابس..
وكان ثقة صالحاً متعففاً يقرىء النحو واللغة والحديث..
وكان السلفي يؤذيه ويرميه بالكذب..

فكان يقول: كل من بيني وبينه شيء فهو في حل إلا السلفي فبيني وبينه وقفة بين يدي الله تعالى..

- أحمد بن إبراهيم الجرواني السلفي..

قال الذهبي: أبو طاهر السلفي الحافظ العلامة الكبير مسند الدنيا و معمر الحفاظ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الإصبهاني الجرواني.

وجروان محلة بإصبهان وسلفة لقب جده أحمد ومعناه غليظ الشفة..

سمع من أبي عبد الله الثقفي وأحمد بن عبد الغفار بن اشته ومكي السلارو خلق كثير بإصبهان خرج عنهم في معجم وحدث بإصبهان في سنة اثنتين وتسعين..

وتفقه فأتقن مذهب الشافعي وبرع في الأدب وجود القرآن بالروايات واستوطن الاسكندرية بضعًا وستين سنة مكبًا على الاشتغال والمطالعة والنسخ وتحصيل الكتب..

ومكث نيفًا وثمانين سنة يسمع عليه.

ولا أعلم أحدًا مثله في هذا ومات ست وسبعين وخمس مائة في الأسكندرية..

وروى عنه في أبو حوادث سنة اثْنَتَيْنِ وَسبعين وَخمْسمائة في خُرُوج السُّلْطَان صلاح الدين إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّة: ثمَّ وصلنا إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّة وَاتَّفَقَ السُّلْطَان إِلَى الشَّيْخ الحَافِظ أبي طَاهِر أَحْمَد بن مُحَمَّد السلَفِي..

وداومنا الحُضُور عِنْده واجتلينا من وَجهه نور الايمان وسَمِعْنَا عَلَيْهِ ثَلاَثَة أَيَّام الخَمِيس وَالجُمُعَة والسبت رَابِع شهر رَمَضَان..

- نجم الدين الخبوشاني الشافعي كان سند صلاح الدين في ضرب التشيع في مصر..

قال عنه الذهبي في تاريخه: محمد بن الموفق الصوفي الزاهد الفقيه الشافعي الذي توفي في سنة سبع وثمانين وخمس مائة..

تفقه على ابن يحيى..

وكان يستحضر كتاب المحيط ويحفظه..

ألف كتاب تحقيق المحيط في ستة عشرمجلداً..

روى عن هبة الرحمن القشيري وقدم مصر وسكن بتربة الشافعي ودرس وأفتى وكان صلاح الدين يعتقد فيه ويبالغ في احترامه..

وعمر له مدرسة الشافعي..

وكان كالسكة المحماة في الذم لبني عبيد..

ولما تهيب صلاح الدين من الإقدام على قطع خطبة العاضد وقف الخبوشاني قدام المنبر وأمر الخطيب أن يخطب الخطبة لبني العباس ففعل ولم يتم إلا الخير..

فَأَمَّا صَلَاح الدِّين فَإِنَّ الدولة العلوية الْقَبْضَ عَلَيْهِمْ كَانَ نجم الدِّين الخوبشاني من جملَة من بَالغ بالإفتاء بمساويهم وسلب الْإِيمَان عنهم..

وقال ابن كثير في البداية والنهاية حوادث سنة ٥٧٢هـ: وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشَّافِعِيِّ جَعَلَ الشَّيْخَ نَجْمَ الدِّين الْخُوشَانِيَّ مُدَرِّسَهَا وَنَاظِرَهَا..

وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة حوادث عام ٥٨٧هـ : وفيها توفّى الشيخ نجم الدين الخبوشانى الشافعى ، وكان يصوم ويفطر على خبز الشعير، فلمّا مات وجد له ألوف الدنانير، وبلغ صلاح الدين فقال: يا خيبة المسعى..

عبد الرَّحِيم بن أَحْمَد بن حجون بن مُحَمَّد بن حَمْزَة بن جَعْفَر بن إِسْمَاعِيل بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن جَعْفَر الصَّادِق السبتي، شيخ مَشَايِخ الْإِسْلَام وَإِمَام من الائمة العارفين، بمكة سبع سنين ثمَّ قَدِمَ إِلَيْنَا من صَعِيد مصر وَأَقَام بهَا سِنِين إِلَى أَن توفيّ سنة اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِيْن وَخَمْس مائَة، يكَاد قَبره بقنا يخْلُو من زائر وقاصد وزعاوج، بقنا وجاءته الأَوْلَاد وانتفع النَّاس بِهِ وأشرق نوره عَلَيْهِم من أَصْحَاب الشَّيْخ أَبُو الْحَسن عَلِيّ بن حميد بن الصبّاغ ذكره الْحَافِظ الْمُنْذِرِيّ فِي وفياته وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً كثيراً لَهُ مقالات فِي حِلِّ اليَّد منقولة عَنْهُ ومسائل فِي عُلُوم الْقَوْم كَانَ مالكي الْمَذْهَب..

– علي بن حميد بن إسماعيل بن يوسف، الشيخ أبو الحسن ابن الضباغ،القوصي، ذو الكرامات والأحوال ومن سره ظهر سر الشيخ عبد الرحيم والشيخ أبي يحيى بن شافع، وغيرهما من الأعيان..

توفي بقنا من صعيد مصر سنة اثْنَتَيْ عشرة وست مائة ودفن برباطه..

– المنذري الحافظ الكبير الإمام شيخ الإسلام زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المصري الشافعي، ولد بمصر في غرة شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وتفقه، وطلب هذا الشأن فبرع فيه، وتخرج بالحافظ أبي الحسن بن المفضل، وولي مشيخة الكاملية، وانقطع بها عشرين سنة، وكان عديم النظير في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه، متبحرا في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله، قيما بمعرفة غريبه، إماما حجة بارعا في الفقه والعربية والقراءات، ورعا متبحرا. قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في حقه: كان أدين مني، وأنا أعلم منه. ألف الترغيب والترهيب، وشرح التنبيه، وغير ذلك. مات يوم السبت رابع ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة..

– الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي أبو محمد. شيخ الإسلام، سلطان العلماء. ولد سنة سبع – أو ثمان – وسبعين وخمسمائة، وتفقه على الفخر بن عساكر، وأخذ الأصول عن السيف الأبذي، وسمع الحديث من عمر بن طبرزد وغيره، وبرع في الفقه والأصول العربية..

قال الذهبي في العبر: انتهت إليه معرفة المذهب، مع الزهد والورع، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقدم مصر، فأقام بها أكثر من عشرين سنة؛ ناشرا العلم، آمرا بالمعروف، ناهيا للمنكر، يغلظ على الملوك فمن دونهم. ولما دخل مصر بالغ الشيخ زكي الدين المنذري في الأدب معه، وامتنع من الإفتاء لأجله، وقال: كنا نفتي قبل حضوره، وأما

بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه، وألقى التفسير بمصر دروسا، وهو أول من فعل ذلك..

وله من المصنفات: تفسير القرآن، ومجاز الفرسان، والفتاوي الموصلية، ومختصر النهاية، وشجرة المعارف، والقواعد الكبرى والصغرى، وبيان أحوال الناس يوم القيامة.

وله كرامات كثيرة، ولبس خرقة التصوف من الشهاب السهروردي. وكان يحضر عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي: قيل لي: ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك..

وقال ابن كثير في تاريخه: انتهت إليه رياسة المذهب، وقصد بالفتاوي من الآفاق، ثم كان في آخر عمره لا يتقيد بالمذهب، بل اتسع نطاقه، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده..

وقال تلميذه ابن دقيق العيد: كان ابن عبد السلام أحد سلاطين العلماء..

وقال الشيخ جمال الدين بن الحاجب: ابن عبد السلام أفقه من الغزالي..

وحكى القاضي عز الدين البكاري أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أفتى مرة بشيء، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى في مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له ابن عبد السلام بكذا، فلا يعمل به،فإنه خطأ. قال القطب اليونيني: وكان مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار، يحضر السماع ويرقص فيه..

وقال ابن كثير: كان لطيفاً يستشهد بالأشعار، توفي بمصر عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة..

- ابن المنير العلامة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني، أحد الأئمة المتبحرين في العلوم من التفسير والفقه والأصلين والنظر والعربية والبلاغة والأنساب. أخذ عن جماعة منهم ابن الحاجب. وكان الشيخ عز

الدين بن عبد السلام يقول: الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها: ابن دقيق العيد بقوص وابن المنير بالإسكندرية. ومن تصانيفه تفسير القرآن والانتصاف من الكشاف وأسرار الإسراء، ومناسبات تراجم البخاري، ومختصر التهذيب في الفقه. ولد سنة عشرين وستمائة. ومات في أول ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين بالإسكندرية..

– القرافي العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي البهنسي المصري. أحد الأعلام. انتهت إليه رياسة المالكية في عصره، وبرع في الفقه وأصوله والعلوم العقلية، ولازم الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي، وأخذ عنه أكثر فنونه..

وألف التصانيف الشهيرة كالذخيرة والقواعد وشرح المحصول والتنقيح في الأصول وشرحه وغير ذلك. قال القاضي تقي الدين بن شكر: أجمع المالكية والشافعية على أن أفضل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي، وناصر الدين بن المنير وابن دقيق العيد. مات في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بالقرافة..

– علي بن وهب بن دقيق العيد القشيري..

قال عنه الذهبي في تأريخه: علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة الإمام العلامة، مجد الدين، أبو الحسن، والد شيخ الإسلام قاضي القضاة أبي الفتح ابن دقيق العيد القشيري، البهزي، بن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، المنفلوطي المالكي، نزيل قوص..

ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. وتفقه على أبي الحسن بن المفضل الحافظ، وسمع منه ومن غيره..

ودرس وأفتى، وصنَّف في المذهب، وانتفع به أهل الصعيد.

وكان شيخ تلك الديار تفقه عليه ولده وغيره واحد..

قال الأدفوي في ترجمته بالطالع السعيد : أتى إلى الصعيد في طالع لأهله سعيد فتمت عليهم بركاته وعمتهم علونه ودعواته، وكان مذهب الشيعة فاشياً في ذلك الإقليم ، فأجرى مذهب السنة على اسلوب حكيم، وزال الرفض وانجاب ، و ثبت الحق حتى لم يبق فيه شك ولا ارتياب..

عبد الوهّاب بن خَلَف بن بلعلامي ، قاضي القُضاة،جتاُ الدّين أبو محمد ابن بنت الأعزّ ، الشّافعيّ ..

وُلِد سنة أربع عشرة وستمائة،ولي المناصب الجليلة كنظر الدّواوين والوزارة والقضاء، ودرّس بالصّالحيّة، ودرّس بمدرسة الشّافعيّ بالقرافة..

وتقدَّم في الدّولة. وكانت له الحُرْمة الوافرة عند الملك الظّاهر..

وهو والد القاضي الكبير صدر الدّين عمر قاضي الدّيار المصريّة، ووالد قاضي القُضاة تقيّ الدّين عبد الرحمن الّذي وَزَرَ أيضاً ، ووالد القاضي علاّمة، علاء الدّين أحمد الّذي دخل اليمن والشّام..

والأعزّ وزير الملك الكامل بن أبي بكر بن أيوب وهم ينسبون إليه..

وفي سنة سنة خمس وتسعين وست مائة توفي ابن بنت الأعز قاضي الديار المصرية تقي الدين عبد الرحيم ابن قاض القضاة تاج الدين عبد الوهاب الشافعي، وولي بعده الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد..

- تقي الدين أبو الفتح محمد بن الشيخ مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري القوصي..

قال ابن السبكي في الطبقات: شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة، الجامع بين العلم والدين، والسالك سبيل السادة الأقدمين..

أكمل المتأخرين،ولد بظهر البحر الملح قريباً من ساحل الينبع وأبواه متوجهان من قوص للحج يوم السبت خامس عشرين شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة، ونشأ بقوص وتفقه بها، ثم رحل إلى مصر والشام، وسمع الكثير..

وأخذ من الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وحقق العلوم، ووصل إلىدر جة الاجتهاد، وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه، وشدت إليه الرحال..

قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس: لم أر مثله فيمن رأيت،و لا حملت عن أجل منه فيمن رويت. وكان للعلوم جامعا، وفي فنونها بارعاً؛ مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانه، منفرداً بهذاالفن النفيس في زمانه، بصيراً بذلك، شديد النظر في تلك المسالك، أذكى ألمعية، وأزكى لوذعية، لا يشق له غبار، ولا يجري معه سواه في مضمار..

وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعاني من السنة والكتاب، بنُكَت تسحر الألباب، وفكر تستفتح له ما استغلق على غيره من الأبواب، مستعينا على ذلك بما رواه من العلوم،مبينا ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم، مبرزاً في لعلوم

النقلية والعقلية، والمسالك الأثرية والمدارك النظرية، بحيث يقضى له من كل علم بالجميع..

وسمع بمصر والشام والحجاز، على تحر في ذلك واحتراز، ولم يزل حافظا للسانه، مقبلا على شأنه، وقف نفسه على العلوم وقصرها، ولو شاء العاد أن يحصر كلماته لحصرها، ومع ذلك فله بالتجريد تخلق، وبكرامات الصالحين تحقق، وله مع ذلك في الأدب باع، وكرم طباع، لم يخل في بعضها من حسن انطباع، حتى لقد كان الشهاب محمود الكاتب المحمود في تلك المذاهب، يقول: لم تر عيني آدب منه..

وقال أبو حيان: هو أشبه من رأيناه يميل إلى الاجتهاد..

قال الشيخ تاج الدين السبكي: ولم أر أحدا من أشياخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة، المشار إليه في الحديث؛ فإنه أستاذ زمانه علماً وديناً ..

وله مصنفات، منها الإلمام في الحديث وشرحه الذي لم يؤلف أعظم منه لما فيه من الاستنباطات العظيمة، وشرح العمدة، والاقتراح في مصطلح الحديث، و شرح العنوان في أصول الفقه، وكتاب في أصول الدين، وله ديوان خطب، وشعر حسن..

مات يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبعمائة..

– ابن الرفعة الإمام نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع الأنصاري واحد مصر، وثالث الشيخين: الرافعي والنووي في الاعتماد عليه في الترجيح..

قال الإسنوي: كان إمام مصر بل سائر الأمصار، وفقيه عصره في جميع الأقطار، لم يخُرج إقليم مصر بعد ابن الحَدَاد يدانيه، ولا يُعلم في الشافعية مطلقاً بعد الرافعي من يساويه؛ كان أعجوبة في استحضار كلام الأصحاب؛ لا سيما من غير مظانه، وأعجوبة في معرفة نصوص الشافعي، وأعجوبة في قوة التخريج..

ولد بالفسطاط سنة خمس وأربعين وستمائة، وتفقه على السديد والظهيرالتزمنتي وعلى الشريف العباسي، ودرس بالمعزية بمصر، وولي حسبة مصر، وصنف التصنيفين العظيمين: الكفاية في عشرين مجلداً، والمطلب في ستين مجلداً ، وله النفائس في هدم الكنائس، وتأليف في المكيال والميزان..

مات بمصر في ثاني عشر رجب سنة عشر وسبع مائة..

– ابن الزملكاني العلامة كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري. قال الذهبي: كان عالم العصر، وكان من بقايا المجتهدين، ومن أذكياء أهل زمانه، تخرج به الأصحاب. مولده بدمشق في شوال سنة سبع وستين وستمائة، وقرأ الأصول على الصفي الهندي، والنحو على بدر الدين بن مالك، وألف عدة تصانيف،

وطلب لقضاء مصر، فقدم: فمات ببلبيس في سادس عشر رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وحمل إلى القاهرة ميتا، ودفن قريباً من قبر الإمام الشافعي..

– محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر، الإمام العالم قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية..

حدث بالشام ومصر والحجاز، وخرج له المحدثون عوالي ومشيخات بمصر وبدمشق، وخرج هو لنفسه أربعين حديثاً من الأحاديث التساعيات العوالي..

كان إمام زمانه، وصدر أوانه، وانتهت إليه رياسة الدين والدنيا رقى بسيادته في مراتب العليا، وجمع له من المناصب ما لم يجمع في وقته لسواه، وترك كل عدو له وحاسد ينطوي على نيران جواه، اشتغل بالعلم من صغره، واستمر على ذلك فيمدة كبره..

وباشر القضاء والحكم..

وتوفي ليلة الاثنين بعد العشاء الآخرة الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة..

وكان قد درس أولاً بدمشق في المدرسة القيمرية مضافاً إلى الخطابة في أول دولة لاجين. ثم إنه نقل إلى قضاء القدس مع الخطابة به في شوال سنة سبع وثمانين وست مئة عوضاً عن فخر الدين الزرعي، ثم إنه طلب لقضاء الديار المصرية فتوجه إليها في شهر رمضان سنة تسعين بدل ابن بنت الأعز، وجمع له بين قضاء البلدين، فأحسن السيرة هناك، وأقام مدة، وتجمعت له هناك مناصب جليلة..

أقام بالقاهرة على حاله، إلى أن قتل الأشرف، وأمسك الصاحب بن السلعوس، فصرف القاضي بدر الدين بن جماعة وأعيد قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعز إلى ما كان عليه..

واستقر ابن جماعة هناك في تدريس وكفاية؛ إلى أن توفي قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن الخوبي، فنقل إلى قضاء الشام، ووصل إلى دمشق رابع عشر ذي الحجة من السنة قاضي قضاة الشام، وجمع له مع القضاء الخطابة – وليها بعد الشيخ شرف الدين المقدسي في شوال سنة أربع وتسعين وست مئة – ومشيخة الشيوخ،و أقام على ذلك مدة، ولم يتفق هذا لغيره، وازداد على ذلك التداريس الكبار ونظر الأوقاف وغير ذلك..

ولم يزل على ذلك إلى أن طلب ثانياً لقضاء الديار المصرية في شعبان سنة اثنتين وسبع مئة عوضاً عن ابن دقيق العيد، فأقام على ذلك إلى أن حضر السلطان من الكرك في سنة تسع وسبع مئة، فعزله، وولى مكانه قاضي القضاة جمال الدين الزرعي في شهر ربيع الأول سنة عشر وسبع مئة مستهل الشهر. وعزل أيضاً شمس الدين السروجي قاضي القضاة الحنفي، وطلب ابن الحريري، فولاه مكانه، وتولى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في هذه العطلة تدريس المدرسة الناصرية في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وسبع مئة..

ثم إنه أعيد إلى منصبه قضاء القضاة بالديار المصرية عوضاً عن القاضي جمال الدين الزرعي في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة و سبع مئة واستقر له مع الحكم مشيخة الحديث بالكاملية وجامع ابن طولون، وتدريس الصالحية والناصرية..

ولم يزل على حاله إلى أن استعفى من القضاء في جمادى الآخرة – فيما أظن – سنة سبع وعشرين وسبع مئة، فاستمرت بيده الزاوية المنسوبة إلى الشافعي بجامع مصر، وقرر له السلطان الملك الناصر راتباً في الشهر مبلغ ألف درهم وعشرة أرادب قمحاً، وكان قد ترك تناول المعلوم قبل انفصاله عن القضاء بمدة..

- السبكي العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام بن حماد بن يحيى بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم الأنصاري. قال ولده في الطبقات: الإمام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي المتكلم النحوي اللغوي الأديب الجدلي الخلافي النظار، شيخ الإسلام بقية المجتهدين، المجتهد المطلق. ولد بسبك من أعمال المنوفية في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وتفقه على ابن الرفعة، وأخذ الحديث عن الشرف الدمياطي، والتفسير عن العلم العارقي، والقراءات عن التقي بن الصائغ، و الأصول والمعقول عن العلاء الباجي، والنحو عن أبي حيان. وصحب في التصوف الشيخ تاج الدين بن عطاء الله، وانتهت إليه رياسة العلم بمصر..

قال الإسنوي: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلاما في الأشياء الدقيقة وأجلدهم على ذلك. وقال الصلاح الصفدي: الناس يقولون: ما جاء بعد الغزالي مثله، وعندي أنهم يظلمونه بهذا و ما هو عندي إلا مثل سفيان الثوري..

وقال ابنه في الترشيح: قال الشيخ شهاب الدين بن النقيب، صاحب مختصر الكفاية وغيرها من المصنفات: جلست بمكة بين طائفة من العلماء وقعدنا نقول: لو قدر الله تعالى بعد الأئمة الأربعة في هذا الزمان مجتهدا عارفا بمذاهبهم أجمعين يركب لنفسه مذهبا من الربعة، بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها، لازدان الزمان به، وانقاد الناس، فاتفق رأينا على أن هذه الرتبة لا تعدو الشيخ تقي الدين السبكي، ولا ينتهي لها سواه..

وله من المصنفات الجليلة الفائقة التي حقها أن تكتب بماء الذهب، لما فيها من النفائس البديعة، والتدقيقات النفيسة، منها الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم، تكملة شرح المهذب للنووي وصل فيه إلى أثناء التفليس، الابتهاج في شرح المنهاج وصل فيه إلى الطلاق، الرقم الإبريزي شرح مختصر التبريزي..

التحقيق في مسألة التعليق، رفع الشقاق في مسألة الطلاق، أحكام كل وما عليه تدل، بيان حكم الربط في اعتراض الشرط، شفاء السقام في زيارة خير الأنام، السيف المسلول على من سب الرسول، التعظيم والمنة، في "لتؤمنن به ولتنصرنه"، منية الباحث عن حكم دين الوارث، الرياض الأنيقة وقسمة الحديقة وغير ذلك..

وله فتاوى كثيرة جمعها ولده في ثلاثة مجلدات..

توفي بجزيرة الفيل على شاطئ النيل، يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة..

– الحافظ ابن جماعة قاضي القضاة الشيخ عز الدين أبو عمر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الشافعي، ولد في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة، وأكثر السماع، فبلغت شيوخه ألفاً وثلاثمائة نفس،وعُني بالشأن، وصنف تخريج أحاديث الرافعي وغيره، وولي القضاء بالدار المصرية، وتدريس الخشابية، وكانت معرفته بالحديث أمثل من معرفته بالفقه. مات بمكة في جمادى الأولى سنة سبع وستين وسبعمائة..

–أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي الشيخ شرف الدين المالكي نزيل القاهرة، كان فاضلاً، قدم دمشق فولي قضاء المالكية بها، ثم قدم القاهرة في دولة يلبغا فعظمه وولاه قضاء العسكر ونظر خزانة الخاص، وقد ولي قضاء دمياط مدة، وحدث عن أبيه وابن الطبال وغيرهما، ولم يكن بيده وظيفة إلا نظر الخزانة فانتزعها منه علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة فتألم من ذلك ولزم منزله إلى أن كف بصره، فكان جماعة من تجار بغداد يقومون بأمره إلى أن مات في سادس عشر شعبان وله أربع وثمانون سنة،سنة ٧٨١هـ..

– البلقيني شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، مجتهد عصره، وعالم المائة الثامنة..

ولد في ثاني عشر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة، وأخذ الفقه عن ابن عدلان والتقي والسبكي، والنحو عن أبي حيان، وبرع في الفقه والحديث والأصول، وانتهت إليه رياسة المذاهب والإفتاء، وبلغ رتبة الاجتهاد. وله ترجيحات في المذهب خلاف ما رجحه النووي، وله اختيارات خارجة عن المذهب، وأفتى بجواز إخراج الفلوس في الزكاة، وقال: إنه خارج عن مذهب الشافعي..

وله تصانيف في الفقه والحديث والتفسير منها، حواشي الروضة، وشرح للبخاري، وشرح الترمذي، وحواشي الكشاف..

وولي تدريس الخشابية وغيرها، وتدريس التفسير بالجامع الطولوني.وكان البهاء ابن عقيل يقول: هو أحق الناس بالفتوى في زمانه، مات في عاشر ذي القعدة سنة خمس وثمانمائة..

وسمعت ولده شيخنا قاضي القضاة علم الدين يقول: ذكر الشيخ كمال الدين الدميري أن بعض الأولياء قال له: إنه رأى قائلا يقول: إن الله يبعث على رأس كل مائة لهذه الأمة من يجدد لها دينها، بدئت بعمر، وختمت بعمر.قلت: ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رءوس القرون مصريون: عمر بن عبد العزيز في الأولى، والشافعي في الثانية، وابن دقيق العيد في السابعة، والبلقيني في الثامنة؛ وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر..

-علي بن يوسف بن مكي بن عبد الله الدميري ثم المصري نور الدين ابن الجلال أصله من حلب وكان جده مكي يعرف بابن نصر ثم قدم مصر وسكن دميرة فولد له بها يوسف فاشتغل بفقه المالكية، ثم سكن القاهرة وناب عن البرهان الأخناي وعرف بجلال الدميري وولد له هذا فاشتغل حتى برع في مذهب مالك ولم يكن يدري من العلوم شيئاً سوى الفقه وكان كثير النقل لغرائب مذهبه شديد المخالفة لأصحابه إلى أن اشتهر صيته بذلك، وناب في الحكم مدة ثم ولي القضاء استقلالاً في أوائل سنة

ثلاث وعيب، بذلك لأنه اقترض مالاً بفائدة حتى بذله للولاية وكان حنق من ابن خلدون في شيء فحمله ذلك على هلاك نفسه بما صنعه من بذل الرشوة ليلي الحكم، وكان منحرف المزاج مع المعرفة التامة بالأحكام فاتفق أنه حضر مع القاضي صدر الدين المناوي مجلساً فعرضه في قضية فغضب الصدر وكلمه بكلام فاحش فتأثر منه ولم يقدر على أن يجاوبه فحصل له انكسار ٨٠٣هـ..

– العراقي الحافظ الإمام الكبير، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن حافظ العصر، ولد بمنشاة المهراني بالقاهرة في جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وعُني بالفن فبرع فيه وتقدم بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة، كالسبكي والعلائي وابن كثير وغيرهم؛ ونقل عن الإسنوي في المهمات، ووصفه بحافظ العصر، وكذلك وصفه في الترجمة ابن سيد الناس..

وله مؤلفات في الفن بديعة، كالألفية التي اشتهرت في الآفاق و شرحها ونظم الاقتراح، وتخريج أحاديث الإحياء، وتكملة شرح الترمذي لابن سيد الناس؛ و شرع في إملاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله تعالى به سنة الإملاء بعد أن كانت دائرة، فأملى أكثر من أربعمائة مجلس. وكان صالحاً متواضعاً ضيق المعيشة، مات في ثامن شعبان سنة ست وثمانمائة..

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي المغربي المالكي المعروف بابن خلدون، ولد سنة ٧٣٣هـ، وسمع من الواد ياشي وغيره وقرأ القرآن على أبي عبد الله بن محمد بن سعد بن بزال إفراداً وجمعاً، وأخذ العربية عن أبيه وأبي عبد الله محمد الخضائري وأبي عبد الله بن بحر..

وأخذ الفقه عن محمد بن عبد الله الحياني وقاضي الجماعة ابن عبد السلام، وأخذ عن عبد المهيمن الحضرمي ومحمد بن إبراهيم الإربلي شيخ المعقول بالمغرب، وبرع في العلوم

وتقدم في الفنون ومهر في الأدب والكتابة، وولي كتابة السر بمدينة فاس لأبي عنان ولأخيه أبي سالم ورحل إلى غرناطة في الرسلية سنة تسع وستين..

كان ولي بتونس كتابة العلامة، ثم ولي الكتابة بفاس، ثم اعتقل سنة ثمان وخمسين نحو عامين، ودخل بجاية بمراسلة صاحبها فدبّر أموره، ثم رحل بعد أن مات إلى تلمسان باستدعاء صاحبها فلم يقم بها، ثم استدعاه عبد العزيز بفاس فمات قبل قدومه فقبض عليه، ثم تخلّص فسار إلى مراكش..

وتنقّلت به الأحوال إلى أن رجع إلى تونس سنة ثمانين فأكرمه سلطانها فسعوا به عند السلطان إلى أن وجد غفلة ففرّ إلى المشرق، وذلك في شعبان سنة أربع وثمانين، ثم ولي قضاء المالكية بالقاهرة، ثم عزل وولي مشيخة البيبرسية ثم عزل عنها ثم ولي القضاء ثانياً كان آخرها في رمضان من هذه السنة فباشره ثمانية أيام فأدركه أجله..

وكان ممن رافق العسكر إلى تمرلنك وهو مفصول عن القضاء، واجتمع بتمرلنك فأعجبه كلامه وبلاغته وحسن ترسّله إلى أن خلّصه الله من يده، وصنّف للتاريخ الكبير في سبع مجلّدات ضخمة ظهرت فيه فضائله وأبان فيه عن براعته، ولم يكن مطّلعاً على الأخبار على جليّتها لا سيما أخبار المشرق وهو بين لمن نظر في كلامه..

وكان لا يتزيّا بزيّ القضاة بل هو مستمر على طريقته في بلاده..

قال لسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة: رجل فاضل جمّ الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس عالي الهمّة قويّ الجأش متقدّم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصوّر بارع الخط حسن العشرة مفخر من مفاخر المغرب..

قال: هذا كله في ترجمته والمذكور في حد الكهولة: وقال العينتابي في ترجمة ابن خلدون: مات فجأة بعد أن أعيد إلى القضاء بثلاثة أيام وكان فاضلاً صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة حسنة وله تاريخ مليح، وكان يتهم بأمور قبيحة، مات في سنة ٨٠٨هـ..

وعاش ابن خلدون بعد ذلك مدة طويلة ارتحل خلالها الى الشام ومصر حيث ولي منصب قاضي القضاة المالكية، في مصر عدة مرات..

-ابن حجر، إمام الحفاظ في زمانه، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني ثم المصري. ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وعانى أولاً الأدب وعلم الشعر فبلغ فيه الغاية، ثم طلب الحديث، فسمع الكثير، ورحل وتخرج بالحافظ أبي الفضل العراقي، وبرع فيه، وتقدم في جميع فنونه، وانتهت إليه الرحلة والرياسة في الحديث في الدنيا بأسرها، فلم يكن في عصره حافظ سواه، وألف كتباً كثيرة، وأملى أكثر من ألف مجلس، توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة..(١)

ولم يؤثر عن واحد من هؤلاء أي ذكر لأئمة أهل البيت، أو أي شئ يتعلق بعلومهم ، فقط كان تركيزهم على مذاهبهم ونشرها بين الناس، وكما هو واضح من سيرتهم كانوا على صلة وثيقة بالأيوبيين والمماليك، وكانوا يتولون المناصب ويجمعون الأموال..

ومن ابتعد عن الحكام منهم انشغل بمذهبه وتوسيع دائرة أتباعه..

(١) انظر تراجم هؤلاء وغيرهم في حسن المحاضرة وتأريخ الذهبي والعبر في خبر من غبر و عيون الروضتين و البداية والنهاية والوافي بالوفيات و الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة وكتب التراجم الأخرى..

ويلاحظ أن المؤرخين وأصحاب التراجم يضخمون من هؤلاء ويكثرون من الثناء عليهم وتبجيلهم بينما يعتمون على أئمة أهل البيت ورموز التشيع..(١)

- صور من فتن المذاهب في مصر

في سنة سبع وستين وخمسمائة عمد الفقيه الخبوشاني إلى قبر أبي الكيزان الظاهري وكان من غلاة السنة وأهل الأثر فنبشه وقال: لايكون صديق وزنديق في موضع واحد..

يعني هو والشافعي فثارت حنابلة مصر عليه وقويت الفتنة وصار بينهم حملات حربية..(٢)

ونقل ابن تغري بردي قول صاحب المرآة عنه :قدم إلى الديار المصرية وأظهر الناموس وتزهد، وكان يركب الحمار فيقف على السلطان صلاح الدين وأهله، وأعطاه السلطان مالا فبنى به المدرسة التي بجانب الشافعي ، وكان كثير الفتن منذ دخل مصر إلى أن مات..

وظلت الفتنة قائمة بينه وبين الحنابلة وابن الصابوني وزين الدين بن نجية ، يكفرونه ويكفرهم؛ وكان طائشاً متهوراً ..(٣)

(١)انظر مثال ذلك ابن كثير الذي كتب الكثير والكثير عن هؤلاء وعن إماميه ابن حنبل وابن تيمية بينما ذكر في ترجمة جعفر الصادق سطراً واحداً ، انظر ج ١٠حوادث عام ١٤٨هـ في البداية والنهاية، وعلى هذا سار بقيتهم..

(٢)انظر العبر في خبر من غبر ج٣

(٣)انظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٦ ما وقع من الحوادث سنة ٥٨٧هـ..

وقال الذهبي في ترجمةالموفَّق بن شوعة اليهودي المصري : الطّبيب المقّب بالقيثارة، من أعيان الأطباء والكحالين. وكان ظريفاً، شاعراً ، ماجناً ،خدم السلطانصلاح الدين بالطّب ،وكان الشَّيْخ نجم الدّين الخَبُوشاني لَهُ صورة بمصر، وفيه صلاح و دين ، فإذا رَأَى ذِميًا راكباً قصد قتْله، فكانوا يتحامونه، فرأى الموفّق راكباً فضربه بشيء أصاب عينه، فقلعها وراحت هدْراً..(١)

وروى ابن كثير في حوادث سنة خمس وتسعين وخمسمائة: فيها كانت وفاة عبد العزيز صاحب مراكش وقد كان عزم في هذه السنة على الحج من بلده، ويكتب إلى بقية إخوته بإخراجهم من البلاد، وشاع ذلك عنه وذاع، وسمع ذلك منه وعشرائه من الجهمية، وقلة علمه بالحديث، وكل ذلك من معلميه وخلطائه فلما وقع منه هذا ونوى هذه النية القبيحة الفاسدة أهلكه الله ودمره سريعاً، وعظم قدر الحنابلة بين الخاص والعام..

قال: إن بعض صالحيهم دعا عليه، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد فكان هلاكه سريعاً ..(٢)

وروى الذهبي في سنة واحد وخمسين وستمائة وفيها منعوا الوعاظ بالقاهرة من الوعظ لكون العماد الواعظ قال على المنبر: خلق الله آدم بيده. وأشار إلى يده، فعزروه وعزموا على عقد مجلس فلم يتفق..(٣)

(١)انظر تأريخ الإسلام حرف الميم ترجمة رقم٣٢٦

(٢)انظر البداية والنهاية ج١٣

(٣)انظر تأريخ الذهبي..

وروى في سنة ثلاث وستين وستمائة :وفيها جدد بالديار المصرية القضاة الأربعة ، من كل مذهب قاض ، وسبب ذلك توقف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز عن تنفيذ كثير من الأحكام، وكثر توقفه، فكثرت الشكاوى منه، وتعطلت الأمور..

فوقع الكلام في ذي الحجة بين يدي السلطان، وكان الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي يكره القاضي تاج الدين، فقال له: نترك لك مذهب الشافعي ويولى معك من كل مذهب قاض، فمال السلطان إلى هذا..

وكان الأيدغدي العزيزي محلٌّ عظيمٌ عند السلطان، فولي قضاء الحنفية الصدر سليمان، وقضاء المالكية شرف الدين علي السبكي، وقضاء الحنبلية شمس الدين محمد بن العماد..

واستنابوا النُّواب وأبقى على الشافعي النظر في أموال الأيتام، وأمور بيت المال ثم فُعِل ذلك بدمشق..(١)

وروى ابن كثير في حوادث السنة السابقة: فيها ولي الظاهر قضاة من بقية المذاهب في مصر مستقلين بالحكم يُوَلُّونَ مِنْ جِهَتِهِمْ فِي الْبُلْدَانِ أَيْضًا كَمَا يولى الشافعي..

فتولى قضاء الشافعية التاج عبد الوهاب ابن بنت الأعز، والحنفية شمس الدين سليمان، والمالكية شَمْسُ الدِّينِ السُّبْكِيُّ، وَالْحَنَابِلَةَ شَمْسُ الدِّينِ الْمُقَدَّسِيُّ..

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْعَوْدَ كَانَ سَبَبَ ذلك القاضي كثرة توقفت الأَعَزِّ فِي أُمُورٍ تُخَالِفُ مَذْهَبَهُ، وَالشَّافِعِيُّ يَفْرِقُهُ عَنْ الْمَذَاهِبِ..

فَأَشَارَ الأَمِيرُ جمال الدين أيدغدي الْعَزِيزِيُّ عَلَى يَطُولُ لِي بِأَنْ مِنْ كُلِّ مذهب قاضياً مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه، فأجابه إلى ذلك، وكان يحب رأيه ومشورته، فَأَخْشَابٍ وَرَصَاصٍ وَآلاتٍ كَثِيرَةٍ لِعِمَارَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَأَرْسَلَ مِنْ بَلَدٍ مُسْلِمًا) فَنُصِبَ هُنَالِكَ.. (٢)

(١)انظر المرجع السابق ، وانظر تأريخ الخلفاء ترجمة الحاكم بأمر الله أبو العباس بن الحسن..

(٢)انظر البداية والنهاية ج١٣

وروى في ذيل مرآة الزمان حوادث السنة الخامسة والستون وستمائة: أقيمت الجمعة والخطبة بالجامع الأزهر بالقاهرة وهذا الجامع بني لما بنيت القاهرة لإقامة الجمعة فلما بنى الحاكم الجامع الأنور نقل الخطبة إليه وبقي الجامع الأزهر تقام فيه الصلوات الخمس فقط فلما عمر الحلى داره إلى جانبه رمه وبيضه وعمل فيه منبراً ومقصورة فتنازع الناس في جواز الجمعة فيه وكتب في ذلك فتاوى فممن منع الجواز القاضي تاج

الدين ابن بنت الأعز وجماعة وممن أجازها الشيخ شمس الدين الحنبلي وجماعة فعمل بقول من جوز ذلك وحضر الصلاة الصاحب وجماعة كثيرة من العلماء والأمراء..(١)

وفي عصر المماليك تلاعب الحكام بالمذاهب على حساب مصر والمصريين..

وهو ما نراه بوضوح من خلال تنصيب أولاد العباسيين الفارين من التتار بعد أن سقطت دولتهم خلفاء في مصر صورياً بدعم من المماليك وبمباركة أصحاب المذاهب والإنفاق عليهم من مال الشعب المغلوب على أمره..

وقد رصد لنا ذلك السيوطي في تأريخ الخلفاء..

وروى: كان أولهم الملقب بالمستنصر بالله: أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد الذي تولى الخلافة ٦٥٩هـ وحتى ٦٦١هـ..

قال الشيخ قطب الدين: كان محبوساً ببغداد، فلما أخذت التتار بغداد أطلق فهرب، وصار إلى عرب العراق، فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس، وفد عليه في رجب ومعه عشرة من بني مهارش، فركب السلطان للقائه ومعه القضاة والدولة، فشق القاهرة، ثم أثبت نسبه على يد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، ثم بويع له بالخلافة، فأول من بايعه السلطان، ثم قاضي القضاة تاج الدين، ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الكبار على مراتبهم، وذلك في ثالث عشر رجب، ونقش اسمه على السكة، وخطب له..

(١)انظر ج٢ متجددات الأحوال..

وحضر القضاة والأمراء والوزير، فألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه، ونصب منبر فصعد عليه فخر الدين بن لقمان فقرأ التقليد، ثم ركب السلطان بالخلعة، ودخل من باب النصر، وزينت القاهرة، وحمل الصاحب التقليد على رأسه راكباً والأمراء مشاة.

ورتب السلطان للخيفة أتابكًا، واستادارًا، وشرابيًا، وخازندارًا وحاجبًا، وتبكًا، وعين له خزانة، وجملة مماليك، مائة فرس، وثلاثين بغلاً، وعشرة قطارات جمال، إلى مثل ذلك..

ثم إن المستنصر هذا عزم على التوجه إلى العراق، فخرج معه السلطان يشيعه إلى أن دخلوا دمشق، ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل، وغرم عليه وعليهم من الذهب ألف ألف دينار وستين درهم..

وفي سنة تسع وسبعمائة لما عاد ابن قلاوون تكلم الوزير ابن الخليلي في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض بالعلائم، وأنهم قد التزموا للديوان بسبعمائة ألف في كل سنة زيادة على الجالية، فسكت أهل المجلس، وقام الشيخ تقي الدين بن تيمية، وتكلم كلاماً عظيماً، ورد على الوزير مقالته، وقال للسلطان: حاشاك أن تكون ممن ينصر أهل الذمة..

فأصغى إليه السلطان، واستمر لبسهم للأصفر والأزرق..

وفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة حضر السلطان القاسم بن قلاوون عند قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، فسمع عليه عشرين حديثا من تساعياته،وخلع عليه خلعة عظيمة، وفرق من الذهب والفضة على الفقراء نحو ثلاثين ألف درهم..

ومنهم الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفي الذي تولى الخلافة سنة ٧٤٢هـ وحتى ٧٥٣هـ..

كان أبوه لما مات بقوص عهد إليه بالخلافة، فقدم الملك الناصر عليه إبراهيم بن عمه، لما كان في نفسه من المستكفي، وكانت سيرة إبراهيم قبيحة، وكان القاضي عز الدين بن جماعة قد جهد كل الجهد في صرف السلطان عنه فلم يفعل، فلما حضرته الوفاة أوصى الأمراء برد الأمر إلى ولي عهد المستكفي ولده أحمد، فلما تسلطن المنصور أبو

بكر بن الناصر عقد مجلسا يوم الخميس حادي عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين، وطلب الخليفة إبراهيم وولي العهد أحمد والقضاة، وقال من يستحق الخلافة شرعا..؟

فقال ابن جماعة: إن الخليفة المستكفي المتوفى بمدينة قوص أوصى بالخلافة من بعده لولده أحمد، وأشهد عليه أربعين عدلا بمدينة قوص، وثبت ذلك عندي بعد ثبوته عند نائبي بمدينة قوص..

فخلع السلطان حينئذ، إبراهيم، وبايع أحمد، وبايعه القضاة، ولقب الحاكم بأمر الله لقب جده..

ومنهم المتوكل على الله أبو عبد الله بن المعتضد الذي تولى الخلافة سنة ٧٦٣هـ، وحتى ٨٠٥هـ..

وهو المتوكل على الله: أبو عبد الله محمد بن المعتضد، والد خلفاء العصر.

ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد موته في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وامتدت أيامه خمسا وأربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس..

وأعقب أولاد كثيرة، يقال: إنه جاء له مائة ولد ما بين مولود وسقط، ومات عن عدة ذكور وإناث، وولي الخلافة منهم خمسة، ولا نظير لذلك، المستعين العباس، والمعتضد داود، والمستكفي سليمان، والقائم حمزة، والمستنجد يوسف، وبقي من أولاده الآن واحد، يسمى موسى، ما أشبه بإبراهيم بن المستكفي، والموجود الآن من العباسيين كلهم من ذرية المتوكل هذا، أكثر الله عددهم، وزاد مددهم..

ومن الحوادث في أيامه: في سنة أربع وستين خلع المنصور محمد، وولي شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون، ولقب بالأشرف..

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أحدثت العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء ليتميزوا بها بأمر السلطان، وهذا أول ما أحدث..

وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة وقعت صاعقة على القلعة، فأحرقت منها شيئاً كثيراً ، واستمر الحريق أياماً ، وفي هذه السنة عقد الجائي مجلساً بالعلماء في إقامة خطبة بالمنصورية، فأفتاه البلقيني وابن الصائغ بالجواز، وخالف الباقون، وصف البلقيني كتاباً في الجواز، وصنف العراقي كتاباً في المنع، وجمع أيضاً القاضي برهان الدين بن جماعة جزءاً في المنع..

وترجم السيوطي لخمسة عشر خليفة من هؤلاء الذين كانوا لا يحكمون ويعيشون في ترف على حساب الشعب الذي كان يعاني من الفقر والحرمان..

وقد جعلهم المماليك صورة يضللون بها الناس ويضفون على أنفسهم المشروعية من خلالها، ومن خلال أصحاب المذاهب الذين باركوهم ودعموهم باسم الدين..

وكانوا لا يتورعون عن قتلهم أو الإطاحة بهم إذا تصادم وجودهم مع مصالحهم..

وروى ابن حجر في عصر المماليك أيضاً اشْتَدَّ الأمر على الحَنَابِلَة بمصر بسبب فتنة ابن تيمية بالشَّامِ صفع بَعْضُهُم وجه القَاضِي وَابن تيمية فِي الْقَرَاحَة ومعهما جَمَاعَة فَصَلا فِي رَمَضَان..

وَعقد مجْلِس فِي ثَالِث عشر مِنْهُ بعد صَلَاة الْجُمُعَة فَادَّعَى على ابْن تَيْمِيَّة عِنْد الْمَالِكِيّ أَنه هَذَا عدوي..

وَلم يجب عَن الدَّعْوَى..

فكرر عَلَيْهِ فَحكم الْمَالِكِيّ بحبسه فأقيم من الْمَجْلِس وَحبس فِي برج..

ثمَّ بلغ الْمَالِكِيّ أَن النَّاس يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يجب التَّضْيِيق عَلَيْهِ إِن لم يقتل إِلَّا فقد ثَبت كفره..

فنقلوه لَيْلَة عيد الْفطر إِلَى زُوِيلَة بِدِمَشْق من اعتقد عقيدة ابْن تَيْمِيَّة حل دَمه وَمَاله خُصُوصًا الْحَنَابِلَة فَنُودِيَ بذلك وقرىء المرسوم..

وَقرأَهَا ابْن الشهَاب محَمُود في الجَامِع ثمَّ جمعُ الحَنَابِلَة من الحيضة وَغَيرهَا واشهدوا على أنفسهم أَنهم على مُعْتَقد الإِمَام الشَّافِعِي..

وَذكر ولد الشَّيْخ جمال الدّين ابْن الظَّاهِرِيّ في كتاب كتبه بَعض معارفه بِمَشْق أَن جمَيع من بمِصْر من الْقُضَاة والشيوخ والفقراء وَالْعُلَمَاء والعوام يحطون على ابْن تَيْمِية، إِلاَّ الحَنَفِيّ فَإِنَّهُ يتعصب لَهُ وَإِلاَّ الشَّافِعِي فَإِنَّهُ سَاكت عَنهُ وَكَانَ من أعظم القائمين عَلَيْهِ الشَّيْخ نصر الله المنبجي كَانَ بلغ ابْن تَيْمِية أَن يتعصب لابْن الْعَرَبِيّ فَكتب إِلَيْهِ كتاباً يعاتبه على ذَلِك أعجبه لكَونه بَالغ في الحَطّ على ابْن الْعَرَبِيّ وتكفيره فَصَارَ هُوَ يحط على ابْن تَيْمِية ويغري بِهِ بيبرس الجاشنكير كَانَ بيبرس فرط في محبَّة نصر ويعظمه..

وَقَامَ القَاضِي زين الدّين ابْن مخلوف قَاضِي الْمَالِكِيَّة مَعَ الشَّيْخ نصر بَالغ في أذية الحَنَابِلَة..

وَاتفقَ أَن قَاضِي الحَنَابِلَة شرف الدّين الحَرَّانِي كَانَ قَلِيل البضاعة في الْعلم فبادر إِلَى إجابتهم في المعتقد واستكتبوه خطه بذلك..

وتعصب سلار لابْن تَيْمِية وأحضر الْقُضَاة الثَّلاَثَة الشَّافِعِي والمالكي والحنفي وَتكلم مَعَهم في إِخْرَاجه فَاتفقوا على أَنهم يشترطون فِيهِ شُرُوطاً أَن يرجع عَن بعض العقيدة إِلَيْهِ مَا فَرَّ امْتنع من الحُضُور إِلَيْهِ واستمرّ..

وَلم يزل ابْن تَيْمِية في الجَب إِلَى أَن شفع فِيهِ مهنا أَمِيل آفضل فَأخرج في ربيع الأول في الثَّالِث وَعشْرين مِنْهُ وأحضر إِلَى القلعة..

وَوَقع الْبَحْث مَعَ بعض الْفُقَهَاء فَكتب عَلَيْهِ محْضر بِأَنَّهُ قَالَ أَنا أشعري، ثمَّ وجد خطه بِمَا نَصه الَّذِي اعْتقد أَن الْقُرْآن معنى قَائِم بِذَات الله وَهُوَ صفة من صِفَات ذَاته الْقَدِيمَة وَغَيْر مخَ بحِرف وَلاَ صَوت..

و أَلزَّحْمَن{على الْعَرْش اسْتَوَى} فَهُوَ على ظَاهره لَانه أَعلم كرَاد به ،بل لَا يُعلمه إِلَّا الله وَالْقَوْل فِي النُّزُول كالقول فِي سَائِر الْآيَات..

وَكتبه أَحْمَد بن تَيْمِية ثمَّ أشهدوا عَلَيْهِ أَنه تَابَ مِمَّا فِي ذَلِك فِي خَامِس عشرى ربيع الأول سنة ٧٠٧هـ..

وَشهد عَلَيْهِ بذلك جمع جم من الْعلمَاء وَغَيرهم وَسكن الْحَال الْفَرَج عَنْهُ وَسكن الْقَاهِرَة ثمَّ اجْتمع جمع من الصُّوفِيَّة عِنْد تَاج الدِّين إِبْن عَطاء فَطلبني الْعشْر الأَوْسَط من شَوَّال إِلَى وَالْقلعَة من ابْن تَيْمِية فَكَلَّمَ فِي حق مَشَايِخ الطَّرِيق وَأَنا لَا يستغاث بِي فَاقْتضى الْحَال أَن أَمر بتيمم إِلَى الشَّام فَتوجه على خيل الْبَرِيد..(١)

وروى ابن حجر في سنة إحدى وثماني وسبعمائة : فيها عزر جمال الدين عبد الرحيم بن الوراق وعزل من نيابة الحكم للحنفية، وذلك أن امرأة أقرت عنده بانقضاء عدتها بسقط مخلق فحكم بذلك، ثم ادعت أنها حامل فكتب لها فرض حمل، فاستفتى عليه فأفتى علماء مذهبه بأن ذلك مخالف لهم فأمر برقوق بعزله وتعزيره..

وفيها أحضر قاضي الحنفية جار الله إبراهيم الحلواني الواعظ فعزره وسجنه ومنعه من الكلام..

وذلك أنه كان يوماً في ميعاده يقرأ بالجامع الأزهر فأحضر له شخص يقال له القدسي كتاباً فيه من مناقب الشافعي..

(١)انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج١ ذكر من اسمه أحمد ترجمة رقم٤٠٩..

فقال له: أمرك القاضي برهان الدين بن جماعة أن تقرأ هذا الكتب على الناس، فقرأه فمر فيه أن شخصاً رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام وهو يقرأ هذه الآية: " فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين "..

وأشار عند قوله: " هؤلاء " إلى أبي حنيفة وأصحابه،
وبقية الآية إلى الشافعي وأصحابه..
فبلغ ذلك بعض الحنفية ،فشكوه إلى جار الله، فأحضره وعزره ،وأحضر القدسي فحلف أن ابن جماعة لم يأمره بشيء من ذلك ،وإنما اقترح هو ذلك من قبل نفسه ،وأراد أن تسمع الناس مناقب الشافعي ،ولم يعرف أن فيها هذه القصة ،فعزره الحنفي أيضاً وسجنه..
ثم سعى الشيخ سراج الدين البلقيني في أمر الحلواني إلى أن اخرج من السجن ،وأقام في منزله ممنوعاً من قراءة البخاري، ثم سعى هو حتى أذن له في الكلام على عادته، وأعانه برهان الدين بن جماعة..(١)
وروى ابن العماد في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة : فيها توفي برهان الدّين أبو إسحاق إبراهيم بن الأمير ناصر الدّين محمد بن أبي بكر بن علي بن أيوب، المعروف بابن أبي شريف المقدسي المصري الشافعي الشيخ الإمام والحبر الهمام العلاّمة المحقّق والفهّامة المدقّق شيخ مشايخ الإسلام ومرجع الخاص والعام..
قدم من القاهرة إلى بيت المقدس سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بعد غيبة طويلة، ثم عاد القاهرة..

(١)انظر إنباء الغمر بأبناء العمر

أنعم عليه الغوري بمشيخة قبته الكائنة قبالة مدرسته الغورية بمصر واستمرّ في المشيخة إلى سنة تسع عشرة فوقعت حادثة بمصر وهي أن رجلاً اتّهم أنه زنى بامرأة، فرفع أمرهما إلى حاجب الحجاب بالدّيار المصرية الأمير انسباي فضربهما فاعترفا

بالزّنا، ثم بعد ذلك رفع أمرهما إلى السلطان الغوري فاحضرا بين يديه، فذكر أنهما رجعا عن ما أقرّا به من الزّنا قبل..

فعقد السلطان لذلك مجلساً جمع فيه العلماء والقضاة الأربع، فأفتى صاحب الترجمة بصحة الرجوع، فغضب السلطان لذلك..

وكان المستفتي القاضي شمس الدّين الزّنكلوني الحنفي وولده، فأمر السلطان بهما فضربا في المجلس حتّى ماتا تحت الضّرب، وأمر بشنق المتهمين بالزّنا على باب صاحب الترجمة فشنقا..

وعزل صاحب الترجمة من مشيخة القبّة الغورية والقضاة الأربعة: الكمال الطّويل الشافعي، والسّري بن الشّحنة الحنفي، والشّرف الدّميري المالكي، والشّهاب الشّيشني الحنبلي..(١)

ولما ظهر السلطان العثماني سليم الأول راسله فقهاء المذاهب وطالبوه بغزو مصر وطرد المماليك ، ولما أتاها جعل عاليها سافلها وحولها لولاية تابعة لسلطانه..

وفقهاء المذاهب والمؤرخون تغاضوا عن جرائم العثمانيين وسليم خاصة في مصر بسبب عداوتهم للمماليك، تماماً كما تغاضوا من قبل عن جرائم صلاح الدين بسبب عداوتهم للفاطميين على ما سوف نبين..

روى الجبرتي في حوادث سنة ١١٠١ هـ: توفي الشيخ الخرشي المالكي وتولى بعده مشيخة الأزهر الشيخ محمد النشرتي المالكي وتوفي في ثامن عشري الحجة سنة ١١٢٠ هـ..

(١)انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب..

ووقع بعد موته فتنة بالجامع الأزهر بسبب المشيخة والتدريس بالأقبغاوية وافترق المجاورون فرقتين:فرقة تريد الشيخ أحمد النفراوي، والأخرى تريد الشيخ عبد الباقي القليني..

ولم يكن حاضراً بمصر فتعصب له جماعة النشرتي وأرسلوا يستعجلونه للحضور ،فقبل حضوره تصدر الشيخ أحمد النفراوي وحضر للدتريس بالاقبغاوية فمنعه القاطنون بها..

وحضر القليني فانضم إليه جماعة النشرتي وتعصبوا له ،فحضر جماعة النفراوي إلى الجامع ليلاً ومعهم بنادق و أسلحة وضربوا بالبنادق في الجامع، وأخرجوا جماعة القليني وكسروا باب الاقبغاوية و أجلسوا النفراوي مكان النشرتي..

فاجتمعت جماعة القليني في يومها بعد العصر وكبسوا الجامع وقفلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفراوي فقتلوا منهم نحو العشرة أنفار وانجرح بينهم جرحى كثيرة، وانتهبت الخزائن وتكسرت القناديل..

وحضر الوالي فأخرج القتلى وتفرق المجاورون ولم يبق بالجامع أحد..

ولم يصل فيه ذلك اليوم..

وفي ثاني يوم طلع الشيخ أحمد النفراوي إلى الديوان ومعه حجة الكشف على المقتولين ،فلم يلتفت الباشا إلى دعواه لعلمه بتعديه وأمره بلزوم بيته..

وأمر بنفي الشيخ محمد شنن إلى بلده الجدية وقبضوا على من كان بصحبته وحبسوهم في العرقانة وكانوا اثنى عشر رجلاً ..

واستقر القليني في المشيخة والتدريس..(١)

(١)انظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج١ ذكر حوادث مصر وتراجم أعيانها

وروى سنة ١١٦٦هـ: ومن الحوادث في نحو هذا التاريخ أن نصارى الاقباط قصدوا الحج إلى بيت المقدس وكان كبيرهم إذ ذاك نوروز كاتب رضوان كتخدا فكلم الشيخ عبد الله الشبراوي في ذلك وقدم له هدية وألف دينار..

فكتب له فتوى وجوابا ملخصه أن أهل الذمة لا يمنعون من دياناتهم و زياراتهم، فلما تم لهم ما أرادوا شرعوا في قضاء أشغالهم وتشهيل أغراضهم وخرجوا في هيئة وابهة واحمال ومواهي وتختروانات فيها نساؤهم وأولادهم ومعهم طبول وزمور ونصبوا لهم عضياً عند قبة العزب..

واحضروا العربان ليسيروا في خفارتهم واعطوهم أموالاً وخلعاً و كساوي وانعامات، وشاع أمر هذه القضية في البلد واستنكرها الناس..

فحضر الشيخ عبد الله الشبراوي إلى بيت الشيخ البكري كعادته كان علي افندي نحو سيدي بكري متمرضاً ،فدخل إليه بعوده فقال له: أي شيء هذا الحال يا شيخ الإسلام –على سبيل التبكيت– كيف ترضي وتفتي النصارى وتأذن لهم بهذه الافعال لكونهم رشوك وهادوك..؟

فقال: لم يكن ذلك..

قال: بل رشوك بألف دينار وهدية وعلى هذا تصير لهم سنة ،ويخرجون في العام القابل بأزيد من ذلك ويصنعون لهم محملاً ،ويقال حج النصارى و حج المسلمين ،وتصير سنة عليك وزرها إلى يوم القيامة..

فقام الشيخ وخرج من عنده مغتاظاً ،وأذن للعامة في الخروج عليهم و نهب ما معهم ،خرج كذلك معهم طائفة من مجاوري الأزهر فاجتمعوا عليهم ورجموهم و ضربوهم بالعصي والمساوق ،ونهبوا ما معهم وجرسوهم..

ونهبوا أيضاً الكنيسة القريبة من دمرداش وانعكس النصارى في هذه الحادثة عكسة بليغة وراحت عليهم وذهب ما صرفوه وانفقوه في الهباء..(١)

(١)انظر المرجع السابق..

و روى في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف: وقعت حادثة بالجامع الأزهر بين طائفة الشوام وطائفة الاتراك بين المغرب والعشاء ،فهجم الشوام

على الاتراك وضربوهم فقتلوا منهم شخصاً وجرحوا منهم جماعة ،فلما أصبحوا ذهب الاتراك إلى إبراهيم بك وأخبروه بذلك..

فطلب الشيخ عبد الرحمن العريشي مفتي الحنفية والمتكلم على طائفة الشوام وسأله عن ذلك ، فأخبره عن أسماء جماعة وكتبهم في ورقة وعرفه أن القاتلين تغيوا وهربوا ومتى ظهروا أحضرهم إليه..

ولما توجه من عنده تفحص إبراهيم بك عن مسميات الأسماء فلم يجد لهم حقيقة ،فأرسل إلى الشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر ،وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب،ولم يجدوه فاغتاظ إبراهيم بك ومراد بك وعزلوه عن الافتاء..

وأحضروا الشيخ محمد الحريرى وألبسوه خلعة ليكون مفتي الحنفية عوضاً عن الشيخ عبد الرحمن ،وحثوا خلفه بالطلب ليخرجوه من البلدة منفياً ،فشفع فيه شيخ السادات..

وهرب طائفة الشوام بأجمعهم وسمر الأغا رواقهم ونادوا عليهم، واستمر الأمر على ذلك أياماً ،ثم منعوا المجادلة والطبرية من دخول الرواق ،ويقطع من خبزهم مائة رغيف تعطى للاتراك دية المقتول..

وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمراء وفتحوا الرواق ومرض الشيخ العريشي من قهره وتوفي رابع جمادى الأولى..(١)

(١)انظر المرجع السابق..

وروى في نفس السنة: مات الشيخ الفقيه الإمام الفاضل شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن عمر العريشي الحنفي الأزهرى..

ولما توفي مفتي الحنفية الشيخ أحمد الحماقي تعين في الافتاء وعظم صيته و تميز على أقرانه واشترى داراً حسنة بالقرب من الجامع الأزهر ،وهي التي كانت سكن الشيخ الحفني في السابق ،وتعرف بدار القطرسي..

وتردد الأكابر والأعيان إليه وانكبت عليه أصحاب الدعاوى والمستفتون و صار له خدم واتباع وفراشون وغير ذلك، وسافر إلى اسلامبول بعد موت الأمير محمد بك لقضاء بعض الأغراض ،وقرأ هناك كتاب الشفاء ورجع إلى مصر..

ولما زاد انحطاط الشيخ أحمد الدمنهورى وتبين قرب وفاته وفراغ اجله تاقت نفس المترجم لمشيخة الأزهر ،إذ هي أعظم مناصب العلماء ،فأحب الأستيلاء عليها والتوصل إليها بكيفية وطريقة..

فحضر مع شيخ البلد إبراهيم بك إلى الجامع الأزهر وجمع الفقهاء و المشايخ وعرفهم أن الشيخ أحمد الدمنهورىقأمه وكيلاً عنه..

وبعد أيام توفي الشيخ الدمنهورى فتعين هو للمشيخة بتلك الطر يقة ،وساعده استمالة الأمراء وكبار الأشياخ والشيخ أبو الأنوار السادات..

فأنتدب لنقض ذلك بعض الشافعية الخاملين وذهبوا إلى الشيخ محمد الجوهرى وساعدهم ،وركب معهم إلى بيت الشيخ البكرى ،وجمعوا عليهم جملة من أكابر الشافعية مثل الشيخ أحمد العروسي والشيخ أحمد السمنودى والشيخ حسن الكفراوى وغيرهم..

وكتبوا عرضحال إلى الأمراء مضمونه أن مشيخة الأز هر من مناصب الشافعية و ليس للحنفية فيها قديم عهد أبداً وخصوصا إذا كان آفاقياً وليس من أهل البلدة و الشيخ عبد الرحمن كذلك..

وموجود في العلماء الشافعية من هو أهل لذلك في العلم والسن وإنهم اتفقوا على أن يكون المتعين لذلك الشيخ أحمد العروسي ،وختم الحاضرون على ذلك العرضحال وأرسلوه إلى إبراهيم بك ومراد بك..

فتوقفوا وأبوا وثارت فيهم العصبية وشددوا في عدم النقض ورجع الجواب للمشايخ بذلك فقاموا على ساق ،وشدد الشيخ محمد الجوهري في ذلك وركبوا بأجمعهم و خرجوا إلى القرافة ،وجلسوا بجامع الشافعي وباتوا به..

وكان ذلك ليلة الجمعة واجتماع الناس للزيارة فهرعت الناس واجتمع الكثير من العامة ينظرون فيما يؤول إليه هذا الأمر ،وكان للأمراء اعتقاد وميل للشيخ محمد بن الجوهرى وكذلك نساؤهم وأغواتهم بسبب تعففه عنهم وعدم دخول بيوتهم ور د صلاتهم..

وتميزه بذلك عن جميع المتعممين،فسعى أكثرهم في نفاذ غرضه وراجعوا مراد بك وأوهموه حصول العطب له ولهم ،أو ثوران فتنة في البلد..(١)

و روى في سنة عشرين ومائتين وألف: و في هذه الأيام وقع بين أهل الأزهر منافسات بسبب أمور واغراض نفسانية يطول شرحها ،وتحزبوا حزبين حزب مع الشيخ عبد الله الشرقاوي..

وحزب مع الشيخ محمد الأمير..

وهم الأكثر وجعلوا الأمير ناظراً على الجامع وكتبوا له تقريراً بذلك من القاضي ،وختم عليه المشايخ والشيخ السادات والسيد عمر أفندي النقيب..

(١)انظر المرجع السابق..

وكانت النظارة شاغرة من أيام الفرنسيس وكان يتقلدها أحد الأمراء فلما خرج الأمراء من مصر صارت تابعة للمشيخة لوقت تاريخه ،فانفعل لذلك الشيخ الشرقاوي ولما فعلوا ذلك اجتهد الشيخ الأمير في النظر لخدمة الجامع بنفسه وبابنه..

وأحضر الخدمة وكنسوا الجامع وغسلوا صحنه ومسحوه وفرشوا المقصورة بالحصر الجدد ،وعلقوا قناديل البوائك ،وصار كل يوم يقف على الخدمة ويأمرهم بالتنظيف وغسل الميضاة والمراحيض..

وأمر بغلق الأبواب من بعد صلاة العشاء ما عدا الباب الكبير ورتبوا له بواباً وطردوا من يبيت به من الاغراب الذين يتلفون بالحصر ويلوثونها ببولهم وغائطهم ونحو ذلك..(١)

(١)انظر المرجع السابق ج٣

الصفحة السوداء

السلفية الوهابية..

كانت الساحة المصرية هادئة طوال فترة الحكم المملوكي والعثماني وفترة الخديويات وحتى نهاية العصر الملكي وحكم عبد الناصر..

ولم تكن هناك صراعات مذهبية أو طائفية تذكر إلا في محيط أصحاب المذاهب ورجال الأزهر..

واستمر هذا الحال حتى مجئ السادات الذي فتح أبواب مصر على مصارعهاللفرقة السلفية الوهابية الوافدة من صحراء جزيرة العرب والتي كانت محظورة أيام عبد الناصر..

وأعاد فرقة الإخوان إلى الساحة من جديد..

ونشأت من خلال هاتين الفرقتين العديد من الفرق على رأسها فرقة القطبيين والتكفير والجهاد..

تلك الفرق المتطرفة والمتخلفة التي تعيش بعقل الماضي والتي تعاني منها مصر حتى اليوم..(١)

ودخلت هذه الفرق في صدام مع الواقع ومع الحكومة والمسيحيين والمخالفين من المسلمين وحتى العامة من الناس..

وعم الإرهاب والفوضى الساحة الإسلامية في ظل عجز المؤسسة الحكومية الأزهرية عن التأثير في المسلمين أو تغيير واقعهم..

وازداد الأمر سوءاً بعد سقوط النظام حيث برزت الفرق السلفية الوهابية بقوة وفرضت نفسه على الواقع والحكم تحت مظلة الإخوان الذين تمكنوا من الوصول لحكم مصر..

ووجدت في الحرب على الشيعة وسيلتها لكسب تعاطف المسلمين المضللين بتأثير الدعاية الكاذبة والشائعات التي تقود في النهاية إلى تكفيرهم وتصورهم كخطر داهم يتهدد أمن مصر واستقرارها..

(١) انظر قصة هذه الفرق وتفاصيل هذه الصراعات في كتابنا: السيف والطاغوت..

والحقيقة التي يقرها التأريخ ويشهد بها الواقع هى غير ذلك..

التأريخ يشهد أن هذه الفرق المختلفة والمتناقضة هى الوافد على مصر وليس له جذور فيها..

والواقع يشهد بأن الفتن التي تعيشها مصر والتطرف والإرهاب الذي ساد ساحتها هو من صنعها..

والدماء البريئة التي أريقت كانت على يدها..

– البداية

بدات مسيرة الدماء والإرهاب في جزيرة العرب على يد الفرقة الوهابية البدوية التي تزعمها محمد عبد الوهاب(١١١٥ – ١٢٠٦هـ)

وشريكه محمد بن سعود اللذين تعاهدا على سفك دماء المخالفين وتدميرهم..

وتمكن الوهابيون بمشاركة آل سعود من السيطرة على جزيرة العرب وفرض مذهبهم بالقوة على المسلمين..

وعلى يدهم وقعت العديد من المذابح والجرائم والمنكرات التي رصدتها لنا مصادرهم..

وهو ما دفع بالخليفة العثماني إلى طلب تدخل محمد علي لتأديب من كانوا يسمونهم آنذاك البدو الوهابيون.

ودخلت القوات المصرية تساندها قوة تركية جزيرة العرب وبعد معارك طويلة تمكن محمد علي من القضاء على الوهابيين وتشتيتهم وتدمير عاصمتهم الدرعية، وأخذ أئمتهم وبقايا آل سعود أسارى إلى مصر ووضعهم فيها تحت الإقامة الجبرية..

وبهذا تم تدمير دولتهم الأولى..

إلا أنهم تمكنوا من إقامة دولتهم الثانية في أواخر عصر الدولة العثمانية وبمساعدة الإنكليز ثم الأمريكان من بعدهم بقيادة عبد العزيز بن سعود في عام ١٩٣٢م..(١)

(١) للتوسع في تاريخ الوهابية وآل سعود أنظر تاريخ الجزيرة العربية لخزعل وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر والسعوديون والحل الإسلامي لجلال كشك وتأريخ آل سعود لناصر السيعد وانظر لنا أئمة الوهابية وثقافة الإرهاب..

من هنا فإن الوهابيون يكنون عداءاً شديداً لمصر وينعتونها في مصادرهم ببلاد الشرك لكثرة المراقد فيها والتي يعدونها في معتقدهم أصناماً..

كان ابن عبد الوهاب قد أحيا أفكار الحنابلة القدامى المتطرفين وعلى رأسهم ابن تيمية والتي تم ضربها واستئصالها من واقع المسلمين لتغيب عن الواقع قروناً طويلة..

ثم تسلح بفكرة التوحيد وتلحف بالسلف حتى يمكنه تمرير أفكاره المنحرفة و المخالفة للمذاهب الأخرى وجميع المسلمين..

والحق أن الوهابية لا تمثل السلف ولا الحنابلة ولا صلة لها بفكرةالتو حيد..(١)

وحتى القرن الماضي كانت الوهابية تنحصر في محيط جزيرة العرب و لا تأثير لها خارجها حتى ظهر النفط وامتلكت المال الذي أعانها على التغلغل في واقع المسلمين واستقطاب العناصر الداعمة لأفكارها..

ومكنها من وضع نواة لها في مصر في النصف الثاني من العشرينيات تحت مسمى :جماعة أنصار السنة..

واستمرت هذه الجماعة طوال الفترة الملكية دون تأثير في الساحة حتى جاء عبد الناصر الذي كان على صدام بآل سعود فأوقف نشاطها..

إلا أن عودتها على يد السادات في فترة السبعينيات أعطاها الدفعة الكبرى لتستقطب الشباب الناشئ وطلاب الجامعات بواسطة المنشورات الوهابية المجانية التي أغرقت الساحة المصرية آنذاك..

ووضع هؤلاء الشباب والطلاب بتوجيه من فقهاء الوهابية البذرة الأولى للفرق السلفية في مصر تلك الفرق التي تولدت منها الفرق التكفيرية والجهادية..(٢)

(١)انظر تفاصيل هذه المسائل في كتبنا : أئمة الوهابية وأكاذيب الوهابية وثقافة الإرهاب..

(٢)انظر تفاصيل نشأة هذه الفرق في السيف والطاغوت..

وكانت فرقة الإخوان التي تربى عناصرها في أحضان الوهابية قبل عودتهم إلى مصر على وفاق مع السادات وعلى صدام مع هذه الفرق..

وهذا الصدام لا يعود لاختلاف العقيدة إنما لاختلاف الطريقة ، فالإخوان والسلفية وجهين لعملة واحدة..

– فتن السلفية

ومنذ أن برزت الفرق السلفية الوهابية على أرض مصر وهى تحدث الفتن وتفرق بين المسلمين وتقنن للإرهاب ، وتريق الدماء، وتستحل الأموال باسم الدين..؟

والسؤال هنا هل حققت هذه الفرق الأمن والسلام لمصر والمصريين..؟

هل احترمت هذا الوطن..؟

هل قدمت له شيئاً ..؟

هل استطاعت أن تقدم خطاباً معتدلاً جاذباً للناس..؟

لقد سقطت مصر عبر تاريخها مع المذاهب ضحية حكامها الذين كانوا يفرضون عليها المذاهب التي تخدم مصالحهم وتدعم نفوذهم..

وسقطت ضحية السادات الذي استورد لها الوهابيون من صحراء جزيرة العرب وأعاد لها الإخوان ليستخدمهم لدعم حكمه ليسقط في النهاية على أيديهم وضحية سياسته..

وتدفع مصر ولازالت تدفع ثمن هذه السياسة من أمنها واقتصادها وعزتها..

ولا تزال تعيش في الذاكرة قتل السادات وحوادث الاعتداء على المسيحيين وحرق كنائسهم ومتاجرهم..

وعلى المساجد والمنشآت..

وعلى الكتاب والسائحين ورجال الأمن..

واليوم أصبحوا يهددن الجميع مسلمين وغير مسلمين..

والمتأمل في منشوراتهم وفتاويهم يكتشف مدى تطرف هؤلاء واعوجاجهم وعدم انسجامهم مع هذا الوطن ومع أهله..

وهذا يعود لكونهم يعبرون عن فكر وافد دخيل على مصر والمصريين..

و لا يقتدون بأحد من فقهاء مصر ورموزها ولا يعتدون بهم..

ولا يعرفون سوى ابن عبد الوهاب وابن باز وابن عثيمين وابن فوزان وابن بابطين وغيرهم من بدو الصحراء..

وليس من المعقول على مصر صاحبة التأريخ والدور والقيمة أن تتدنى لهذا الحد وتقتدي ببدو الصحراء وتتلقى منهم الدين والتعاليم..

ومثل الذين يدعون لهذا لايحبون مصر ولا يحترمونها ولا ينتمون إليها..

وليس أدل على ذلك من كون جهودهم وطاقاتهم وفتاويهم موجهة ضد أبناء هذا الوطن..

وهم ليس لهم أى دور أو جهد في مواجهة أعدائه وأعداء الإسلام..

هم جعلوا أعدائهم الناس والمخالفين وهذا قمة الانحراف عن حقيقة الدينو جوهره..

وهم قد استغلوا حالة الفراغ والفوضى السائدة بعد سقوط النظام ليعلنوا أنفسهم قادة وأئمة وثواراً يتحدثون باسم الدين والشعب بينما أيديهم لازالت تقطر بدماء الأبرياء..

وقد كانوا بالأمس عملاء النظام ويعدون الخروج على مبارك من الكبائر ويحرمون ممارسة السياسة ويعتبرون دخول مجلس الشعب مناف للتوحيد..

وهذا يكشف لنا أن هذه الفرق تتلاعب بالدين وتستغله من أجل مصالحها لا مصالح الوطن..

وحتى تتضح الصورة سوف نعرض هنا نماذج من فتاويهم ومنشوراتهم الوافدة من صحراء جزيرة العرب التي وطنت للفتن والفرقة والتخلف والإرهاب بين أبناء مصر..

وهذه نماذج من فتاوى أئمتهم:

* فتوى بوجوب هجران المخالفين ومقاطعتهم و إحراق كتبهم..
* فتوى بالحكم بالشرك على من استغاث بالنبي (ص) أو الأولياء .
* فتوى بكفر من حلف بغير الله ..
* فتوى بكفر الذين يأتون العرافين والمنجمين والسحرة وما شابههم
* فتوى بكفر الذين يتعاملون مع أبراج الحظ والطالع ..
* فتو ى بوجوب إزالة الكنائس..
* فتوى بتحريم دراسة القوانين الوضعية أو تدريسها ..
* فتوى بحرمة حلق اللحية ..
* فتوى بحرمة الإحتفالات الدينية كالموالد والمناسبات الأخرى ..
* فتوى بوجوب التحاكم لشرع الله ونبذ ما خالفه ..
* فتوى بحرمة الأسورة النحاسية التي يعالج بها مرض الر وماتيزم ..
* فتوى بكفر من أنكر سنة الرسول (ص) ..
* فتوى بحرمة الاختلاط بأهل الكتاب أو التشبه بهم ..
* فتوى بكفر من دعا أو طالب بتحكيم المبادئ الاشتر اكية ..
* فتوى بحرمة عمل المرأة ..
* فتوى بحرمة قيادة المرأة السيارة ..
* فتوى بحرمة تعظيم الآثار..
* فتوى بحرمة الأغاني والموسيقى ..
* فتوى بحرمة الإحداد على الملوك والزعماء ..

* فتوى بحرمة التمثيل ..

* فتوى بحرمة الصور والمجلات المصورة ..

* فتوى بحرمة ارتداء المرأة للساعة في فترة العدة لمتو فى عنها زوجها

* فتوى بحرمة بناء المساجد على القبور أو زيارتهاو الصلاة فيها ..

* فتوى بعدم جواز الصلاة وراء المدخن أو مرتدي الملابس العصرية

* فتوى بجواز الصلح مع إسرائيل ..

* فتوى بجواز الاستعانة بالمشركين (الأمريكان) ..

* فتوى بثبوت الأرض وعدم دورانها وبطلان الادعاء بصعود القمر والكواكب..

* فتوى بحرمة ذهاب المرأة إلى الكوافير..

و نماذج من منشوراتهم:

- الأسماء والصفات..

أهوال يوم القيامة.. -

منهاج الفرقة الناجية..-

تحريم مصافحة الأجنبية..-

- رسالة في التحاكم لشرع الله..

ـ عبادة الأوثان: الأصنام والتماثيل والتصوير..

ـ السحر والسحرة والوقاية من الفجرة..

ـ عذاب القبر ونعيمه..

ـ حكم السفر إلي بلاد الكفار..

ـ رسالة في بيان الشرك..

ـ حماية الدين والوطن من غزو الخلاعة والفتن..

ـ النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار..

ـ وجوب إعفاء اللحية..

ـ تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن..

ـ إعلان النكير علي المفتونين بالتصوير..

ـ حكم الإسلام في التجنس بالجنسية الأجنبية..

ـ الاستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب..

ـ تطهير الجنان واللسان من دون الشرك والكفران..

– التحذير من تعظيم الآثار..

– الصواعق النارية في حياة المبتدع اليومية..

– الفرقان في بيان حقيقة التقارب والتسامح بين الفرق والأديان..

– الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين..

–الفرقان في بيان حقيقة التقارب والتسامح بين الفرق والأديان..

وما سبق يتبين لنا هذا الفكر السلفي الوافد الدخيل يمثل صفحة سوداء في تأريخ مصر..

وهو لا يعبر عن مصر والمصريين..

والمصريون رغم كل هذه الضغوط والمذاهب الوافدة لم يتخلوا عن حب أهل البيت وإحياء مناسباتهم وتقديس رموزهم..

من هنا لا يمكن القول أن مصر سنية المذهب فهذا الإدعاء مخالف للواقع و التأريخ لكون مذاهب السنة قد ذهبت بذهاب الحكام الذين دعموها وروجوا لها بين المصريين، ولا وجود لها إلا في صفحات الكتب التي تدرس بالأزهر..

أما التيار الوحيد الباق فهو تيار أهل البيت..

والمذهب السني ينحصر في محيط الأزهر والفرق السلفية الوهابية التي لا تمثل شيئاً و لا تشكل وزناً ..

مصر والتشيع

البصمة الثابتة..

هل التشيع في مصر بدأ مع الفاطميين . . ؟

يجيب المقريزي بقوله:كان التشييع معروفا بأر ض مصر قبل ذلك..

روى المقريزي: كانت مصر لا تخلو من الفتن في يوم عاشوراء عند قبر كلثم وقبر نفيسة بنت الحسن في الأيام الإخشيدية والكافورية، وكان سودان كافور يتعصبون على الشيعة، ويتعلق السودان في الطرق بالناس ويقولون للرجل: من خالك..؟

فإن قال: معاوية أكرموه، وإن سكت لقي المكروه، وأخذت ثيابه وما معه..(١)

ورو ى: فلما مات يزيد بن معاوية وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة صار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف، علوية وعثمانية وخوارج..

فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذي القعدة سنة أربع وستين..

من حينئذ غلبت العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علي ّ ، و انكفت السنة العلوية والخوارج..

– في العصر العباسي

ولما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية ببني العباس في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، خمدت جمرة أصحاب المذهب المرواني ّوهم الذين كانوا يسبون علي ّ بن أبي طالب يقبر ّؤون منه..

وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد إلا ّ طائفة كانت بناحية الواحات وغيرها، فإنهم أقاموا على مذهب المروانية دهراً حتى فنوا، ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة..

(١)انظر إتعاظ الحنفا ج١ سنة ثلاث وستين وثلاثمائة..

فلما كان في إمارة حميد بن قحطبة على مصر من قبل أبي جعفر المصور، قدم إلى مصر علي ّ بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ّ بن أبي طالب داعية لأبيه وعمه..

فذكر ذلك لحميد فقال: هذا كذب، ودس ّ إليه أن تغيّب، ثم بعث إليه من الغد فلم يجده، فكتب بذلك إلى أبي جعفر المنصور فعزل حميداً وسخط عليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة..

وولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، فظهرت دعوة بني حسن بن علي ّ بمصر، وتكلم الناس بها وبايع كثير منهم لعلي ّ بن محمد بن عبد الله وهو أو ّل علوي ّ قدم مصر، وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي ّ..

وكان جد ّه ربيعة بن حبيش من خاصة علي ّ بن أبي طالب وشيعته، وحضر الدار في قتل عثمان..

ثم قدمت الخطباء برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في ذي الحجة من سنة خمس وأربعين ومائة إلى مصر ونصبوه في المسجد الجامع، وقامت الخطباء فذكروا أمره..

وما زالت شيعة علي ّ بمصر إلى أن ورد كتاب المتوكل يأمر فيه بإخراج آل أبي طالب من مصر إلى العراق فخرجوا لعشر خلون من رجب سنة ست وثلاثين ومائتين..

واستتر من كان بمصر على رأي العلوية، حتى أن يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلاً من الجند في شيء وجب عليه فأقسم عليه بحق الحسن والحسين إلا عفا عنه، فزاده ثلاثين درة..

ورفع ذلك صاحب البريد إلى المتوكل، فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجنديّ مائة سوط، فضربها وحمل بعد ذلك إلى العراق في شو ّال سنة ثلاث وأربعين ومائتين..

وتتبع يزيد الروافض فحملهم إلى العراق، ودل في شعبان على رجل يقال له محمد بن علي ّ بن الحسن بن علي ّ بن الحسين بن علي ّ بن أبي طالب، أنه بويع له، فأحرق الموضع الذي كان به، وأخذه فأقر ّ على جمع من الناس بايعوه، فضرب بعضهم بالسياط، وأخرج العلوي هو وجمع من آل أبي طالب إلى العراق في شهر رمضان..

ومات المتوكل في شو ّال، فقام من بعده ابنه محمد المستنصر، فورد كتابه إلى مصر بأن لا يقبل علوي ّ ضيعة، ولا يركب فرساً، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها..

وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا ّ العبد الواحد، ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينة..

وكتب إلى العمال بذلك، ومات المستنصر في ربيع الآخر، وقام المستعين، فأخرج يزيد ستة رجال من الطالبيين إلى العراق في رمضان سنة خمسين ومائتين، ثم أخرج ثمانية منهم في رجب سنة إحدى وخمسين..

وفي إمارة هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون أنكر رجل من أهل مصر أن يكون أحد خير ّا من أهل البيت، فوثبت إليه العام ّة فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين..

وفي إمارة ذكا الأعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون، فاجتمع الناس في رمضان سنة خمس وثلاثمائة إلى دار ذكا يتشكرونه على ما أذن لهم فيه..

فوثب الجند بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحي ما كتب على أبواب الجامع، ونهب الناس في المسجد والأسواق، وأفطر الجند يومئذ..

وما زال أمر الشيعة يقوى بمصر إلى أن دخلت سنة خمسين وثلاثمائة، ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح، قتل فيها جماعة من الفريقين..

وتعصب السودان على الرعية، فكانوا إذا لقوا أحدا قالوا له: من خالك..؟

فإن لم يقل معاوية وإلاّ بطشوا به وشلحوه، ثم كثر القول معاوية خالي علاّ ..

وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامّة يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام: معاوية خالي وخال المؤمنين، وكاتب الوحي، ورديف رسول الله..

وكان هذا أحسن ما يقولونه، وإلاّ فقد كانوا يقولون معاوية خالي علاّ من هاهنا، ويشيرون إلى أن أصل الإذن..

ويلقون أبا جعفر مسلماً الحسيني فيقولون له ذلك في وجهه..

وكان بمصر أسود يصيح دائماً معاوية خال علي ، فقتل بتنيس أيام القائد جوهر..

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم، خرج خلق من المصريين في شوّال فلقوا كافور الإخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا معاوية خال علي ، وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين..

وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبي الليث الملطي ينسب إلى التشيع فضرب مائتي سوط ودرة، ثم ضرب في شوّال خمسمائة سوط ودرة، وجعل في عنقه غل وحبس..

وكان يتفقد في كل يوم لئلا يخفف عنه ويبصق في وجهه، فمات في محبسه فحمل ليلاً ودفن، فمضت جماعة إلى قبره لينبشوه وبلغوا إلى القبر فمنعهم جماعة من الإخشيدية والكافورية، فأبوا وقالوا هذا قبر رافضي ، فثارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيراً حتى تفرّق الناس..

وفي سنة ست وخمسين كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل، فأمر الأستاذ كافور الإخشيدي ّ بإزالته، فحد ّثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال:ما أحدث في أيامي ما لم يكن وما كان في أيام غيري فلا أزيله، وما كتب في أيامي أزيله..

ثم أمر من طاف وأزاله من المساجد كلها..

– ظهور الشيعة

ولما دخل جوهر القائد بعساكر المعز لدين الله إلى مصر وبنى القاهرة أظهر مذهب الشيعة وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حي ّ على خير العمل، وأعلن بتفضيل علي ّ بن أبي طالب على غيره، وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء..

فشكا إليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عمياء تنشد في الطريق، فأمر بها فحبست..

فسر ّ الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا معاوية خالي عل ّ و خال المؤمنين..

فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلاً إلى الجامع فنادى: أيها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول، فإنما حبسنا العجوز صيانة لها، فلا ينطقن أحد إلا ّ حلّت به العقوبة الموجعة، ثم أطلق العجوز..

وفي ربيع الأو ّل سنة اثنتين وستين عزر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال علي ّ بن أبي طالب، فهم ّ جوهر أن يحرق ر حبة الصيارفة، لكن خشي على الجامع..

وأمر الإمام بجامع مصر أن يجهر بالبسملة في الصلاة وكانوا لا يفعلون ذلك، وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية..

وأمر في المواريث بالردّ على ذوي الأرحام، وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جدّ ولا ابن أخ ولا ابن عم..

ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى إلاّ الزوج أو الزوجة والأبوان والجدّة، ولا يرث مع الأمّ إلاّ من يرث مع الولد..

وخاطب أبو الطاهر محمد بن أحمد قاضي مصر القائد جوهراً في بنت وأخ، وأنه كان حكم قديماً للبنت بالنصف وللأخ بالباقي..

فقال لا أفعل، فلما ألح عليه قال: يا قاضي هذا عداوة لفاطمة عليها السلام..

فأمسك أبو الطاهر ولم يراجعه بعد في ذلك، وصار صوم شهر رمضان والفطر على حساب لهم، فأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر أن لا يطلب الهلال لأنّ الصوم والفطر على الرؤية قد زال، فانقطع طلب الهلال من مصر..

وصام القاضي وغيره مع القائد جوهر كما يصوم، وأفطروا كما يفطر..

ولما دخل المعز لدين الله إلى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية، أمر في رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فكتب على سائر الأماكن بمدينة مصر خير الناس بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)..

وفي صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة جلس عليّ بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت، ويعرف هذا المختصر بالاقتصار، وكان جمعاً عظيماً وأثبت أسماء الحاضرين..

ولما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزيز بالله نزار بن المعز رتب في داره العلماء من الأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين، وأجرى لجميعهم الأرزاق..

وألف كتاباً في الفقه ونصب له مجلساً وهو يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل، وتجري بينهم المناظرات..

وكان يجلس أيضاً في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه، و يحضر عنده القضاة والفقهاء والقر ّاء والنحاة وأصحاب الحديث ووجوه أهل العلم والشهود، فإذا انقضى المجلس من القراءة قام الشعراء لإنشاد مدائحهم فيه..

وجعل للفقهاء في شهر رمضان الأطعمة، وألف كتاباً في الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله، وهو مبو ّب على أبواب الفقه يكون قدره مثل نصف صحيح البخاري ّ ، ملكته ووقفت عليه..

وهو يشتمل على فقه الطائفة الإسماعيلية، وكان يجلس لقراءة هذا الكتاب على الناس بنفسه وبين يديه خواص الناس وعوام ّهم وسائر الفقهاء والقضاة و الأدباء..

وأفتى الناس به ودر ّسوا فيه بالجامع العتيق، وأجرى العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقاً تكفيهم في كل ّ شهر..

وأمر لهم ببناء دار إلى جانب الجامع الأزهر، فإذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلّى صلاة العصر، وكان لهم من مال الوزير أيضاً صلة في كل ّ سنة، وعد ّتهم خمسة وثلاثون رجلاً ، وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر و حملهم على بغال..

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة أمر العزيز بن المعز بقطع صلاة التروايح من جميع البلاد المصرية..

وفي شهر ربيع الأو ّل سنة خمس وثمانين وثلاثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسي ّ بالقصر في القاهرة لقراءة علوم أهل البيت على الرسم المقد ّم له ولأخيه بمصر، ولأبيه بالمغرب..

فمات في الزحمة أحد عشر رجلاً ..

وتسارع الناس إلى الدخول في الدعوة، فجلس لهم قاضي القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان، فقدموا من سائر النواحي والضياع، فكان للرجال يوم الأحد، وللنساء يوم الأربعاء، وللأشراف وذوي الأقدار يوم الثلاثاء..

وازدحم الناس على الدخول في الدعوة، فمات عدّة من الرجال والنساء..

وفي جمادى الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها للقرّاء، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور، ودخل الناس إليها وجلس فيها للقرّاء والفقهاء والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والأطباء، وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعاً..

وأجرى على من فيها من الخدّام والفقهاء الأرزاق السنية، وجعل فيها ما يحتاج إليه من الحبر والأقلام والمحابر والورق..

وفي يوم عاشوراء من سنة ست وتسعين وثلاثمائة كان من اجتماع الناس ما جرت به العادة، وأعلن بسبّ السلف فيه، فقبض على رجل نودي عليه هذا جزاء من سبّ عائشة، ومعه من الرعاع ما لا يقع عليه حصر هم يسبون السلف، فلما تمّ النداء عليه ضرب عنقه..

واستهل شهر رجب من هذه السنة بيوم الأربعاء، فخرج أمر الحاكم بأمر الله أن يؤرّخ بيوم الثلاثاء..

وفي تاسع ربيع الآخر أمر الحاكم بأمر الله بمحو ما كتب على المساجد وغيرها من سبّ السلف، وطاف متولي الشرطة وألزم كل أحد بمحو ما كتب على المساجد من ذلك..

ثم قريء سجل في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بأن لا يحمل شيء من النبيذ والمزر، ولا يتظاهر به ولا بشيء من الفقاع والدلينس والسمك الذي لا قشر له والترمس العفن..

وقريء سجل في رمضان على سائر المنابر بأنه يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون، صلاة الخمس الدين، فبما جاءهم فيها يصلون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها..

ولا هم عنها يدفعون، يخمّس في التكبير على الجنائز المخمسون، ولا يمنع من التربيع عليها المربّعون، يؤذن بحيّ على خير العمل المؤذنون، ولا يؤذى من بها لايؤذنون، و لا يسب أحد من السلف، ولا يحتسب على الواصف فيهم بما وصف، والحالف منهم بما حلف، لكلّ مسلم مجتهد في دينه اجتهاده، وإلى الله ربه معاده عده كتابه وعليه حسابه..

وفي تاسع عشر شهر شوّال أمر الحاكم بأمر الله برفع ما كان يؤخذ من الخمس والزكاة والفطرة والنجوى، وأبطل قراءة مجالس الحكمة في القصر، وأمر بردّ التثويب في الأذان..

وأذّن للناس في صلاة الضحى وصلاة التراويح، وأمر المؤذنين بأسرهم في الأذان بأن لا يقولوا حيّ على خير العمل، وأن يقولوا في الأذان للفجر الصلاة خير من النوم..

ثم أمر في ثاني عشري ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بإعادة قولهم حيّ على خير العمل في الأذان، وقطع التثويب وترك قولهم الصلاة خير من النوم، ومنع من صلاة الضحى، وصلاة التراويح..

وفتح باب الدعوة، وأعيدت قراءة المجالس بالقصر على ما كانت، وكان بين المنع من ذلك والأذن فيه خمسة أشهر..

وفي شوّال اعتقل رجل ثم شهر ونودي عليه هذا جزاء من سبّ أبا بكر وعمر ويثير الفتن، فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا، لا طاقة لنا بمخالفة المصريين ولا بمخالفة الحشوية من العوام، ولا صبر لنا على ما جرى..

وكتبوا قصصاً فصرفوا ووعدوا بالمجيء في غد، فبات كثير منهم بباب القصر، واجتمعوا من الغد فصاحوا وضجوا فخرج إليهم قائد القوّاد غين، فنهاهم وأمرهم عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا إلى معايشهم..

فانصرفوا إلى قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقيّ وشكوا إليه فتبرّم من ذلك فمضوا ،وفيهم من يسب السلف ويعرّض بالناس، فقريء سجل في القصر بالترحم على السلف من الصحابة، والنهي عن الخوض في ذلك..

وركب مرّة – أي الحاكم– فرأى لوحاً على قيسارية فيه سب السلف فأنكره، وما زال واقفاً حتى قلع وضرب بالحرس في سائر طرقات مصر والقاهرة..

وقريء سجل بتتبع الألواح المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والدور والخانات والأرباع المشتملة على ذكر الصحابة والسلف الصالح، بالسب واللعن..

وقلع ذلك وكسره وتعفية أثره، ومحو ما على الحيطان من هذه الكتابة وإزالة جميعها من سائر الجهات حتى لا يرى لها أثر في جدار ولا نقش في لوح..

وحذّر فيه من المخالفة، وهدّد بالعقوبة، ثم انتقض ذلك كله وعاد الأمر إلى ما كان عليه إلى أن قتل الخليفة الآمر بأحكام الله أبو عليّ منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معدّ.

وثار أبو عليّ أحمد الملقب كتيفات ابن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش، واستولى على الوزارة في سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وسجن الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله..

وأعلن بمذهب الإمامية والدعوة للإمام المنتظر، وضرب دراهم نقشها: الله الصمد الإمام محمد..

ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة، اثنان أحدهما إماميّ والآخر إسماعيليّ، واثنان أحدهما مالكيّ والآخر شافعيّ، فحكم كل منهما بمذهبه وورّث على مقتضاه..

وأسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق وأبطل من الأذان حي ّ على خير العمل، وقولهم محمد وعلي ّ خير البشر، فلما قتل في المحر ّم سنة ست وعشرين عاد الأمر إلى ما كان عليه من مذهب الإسماعيلية..

وما برح حتى قدمت عساكر الملك نور الدين محمود بن زنكي من دمشق، عليها أسد الدين شيركوه، وولى وزارة مصر للخليفة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله،ومات..

فقام في الوزارة بعده ابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة..

وشرع في تغيير الدولة وإزالتها، وحجر على العاضد وأوقع بأمراء الدولة وعساكرها، وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية، ومدرسة للفقهاء المالكية..

وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم، وفو ّض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني ّ الشافعي ّ فلم يستنب عنه في إقليم مصر إلا ّ من كان شافعي ّ المذهب، فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعي ّ ..

واختفى مذهب الشيعة والإسماعيلية والإمامية حتى فقد من أرض مصر كلها..(١)

(١)انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٤ ذكر مذاهب أهل مصر ونحلهم..

- ثورات الشيعة

وأولها ثورة محمد بن أبي حذيفة في مصر عام ٣٥ هـ والتي خلع فيها والي عثمان عقبة بن عامر وجمع الناس وألبهم على عثمان ودخل في صدام مع أنصاره في مصر وحبس بعضهم بعد أن تمكن منهم وهم بسر بن أرطأه و معاوية بن خديج ثم بعث ابن أبي حذيفة بقوة إلى عثمان بالمدينة ساهمت في الثورة عليه وقتله..

وحين عادت القوة إلى مصر بعد مصرع عثمان دخلت البلاد وهي ترتجل :

خذها إليك واحذرن أبا الحسن

إنا نمر الحرب إمرار الوسن

بالسيف كي تخمد نيران الفتن

فلما دخلوا المسجد صاحوا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله. .

وكان من أمر شيعة عثمان أن جمعوا صفوفهم وانطلقوا إلى معاوية وبايعوه على الطلب بدم عثمان . فسار بهم معاوية إلى الصعيد وهزم أصحاب ابن أبي حذيفة..

وبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليه قيس بن حرمل فاقتتلوا في (خربتا) أول شهر رمضان عام ٣٦ هـ فقتل قيس وسار معاوية إلى مصر فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه أن يدخلها..

ثم حدث اتفاق بين الطرفين على أن يسلم قادة الشيعة الثلاثة أنفسهم لمعاوية كرهائن إلى حين يتم القبض على قتلة عثمان ،إلا أن معاوية غدر بالقادة الثلاثةو استولى على مصر..

ولما بلغ الإمام علي مصاب أبي حذيفة بعث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين واستمال الخارجين بأهل خربتا ومصر يومئذ من جيش علي إلا أهل خربتا الخارجين بها..

ثم أوقع معاوية بين قيس والإمام علي..

وتم عزل قيس وتولية محمد بن أبي بكر الذي لم يتمكن من الصمود أمام جيش معاوية بقيادة عمرو بن العاص وسقط قتيلاً في عام ٣٨ هـ ولم يمكث في الحكم سوى خمسة أشهر..(١)

روي ابن تغري : وأقامت شيعة عثمان بخربتا إلى أن جاء معاوية من الشام إلى مصر فخرج إليه ابن أبي حذيفة بأصحابه فمنعوه من الدخول إلى الفسطاط ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب..

فاستخلف محمد بن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن وعدة من قتلة عثمان فلما وصلوا إلى معاوية قبض عليه وحبسهم وسار إلى دمشق ، فهربوا من السجن فتتبعهم أمير فلسطين حتى ظفر بهم وقتلهم في ذي الحجة عام ٣٦ هـ ..(٢)

ويبدو أن محمد بن أبي بكر استفز القوم في مصر كما لم يتمكن من التصدي لهذا التحدي الخارجي القادم من الشام بالإضافة إلى مواجهة الفتن في الداخل . .

روي ابن تغري : لما اختل أمر مصر على محمد ابن أبي بكر وبلغ علي قال : ما لمصر إلا أحدالرجلين صاحبنا الذي عزلناه قيس بن سعد – ومالك بن الحارث الأشتر..

وكتب عيون معاوية إليه بولاية الأشتر على مصر فشق عليه وعظم ذلك لديهو، كان قد طمع في مصر وعلم أن الأشتر متى قدمها كان أشد عليه، فكتب معاوية إلى الخانسيار رجل من أهل الخراج، وقيل كان دهقان القلزم) يقول: إن الأشتر و اصل إلى مصر قد وليها، فإن أنت كفيتني إياه لم آخذ منك خراجاً ما بقيت، فأقبل لهلاكه بكل ما تقدر عليه؛ فخرج الخانسيار حتى قدم القلزم فأقام به..

وخرج الأشتر من العراق يريد مصر حتى قدم إلى القلزم فاستقبله الخانسيار فقال له: انزل فإني رجل من أهل الخراج وقد أحضرت ما عندي، فنزل الأشتر فأتاه بطعام

(١)انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢

(٢)انظر النجوم الزاهرة ج١ ذكر استيلاء محمد بن أبي حذيفة على مصر..

وعلف وسقاه شربة من عسل جعل فيها سماً ، فلما شربه مات، وبعث الخانسيار بموته معاوية، فلما بلغ معاوية وعمرو بن العاص موت الأشتر قال عمرو بن العاص:

إن لله جنوداً من عسل..(١)

وبعد سقوط بني أمية وقيام دولة بني العباس ظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر وتكلم الناس بها..

وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله ، وكان أول علوي قدم مصر..

وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن حبيش الصوفي من خاصة الإمام علي وشيعته وحضر الدار في قتل عثمان..

وخرج في إمرة أرجون التركي رجل من العلويين يقال له بغا الأكبر، وهو أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسين بن علي بالصعيد، فحاربه أصحاب أرجون وفر منهم فمات..

ثم خرج بغا الأصغر وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الإسكندرية وبرقة في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين ومائتين، والأمير يومئذ أحمد بن طولون، وسار في جمع إلى الصعيد فقتل في الحرب وأتي برأسه إلى الفسطاط في شعبان..

وخرج ابن الصوفي العلوي بالصعيد وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، واستولى على إسنا وهزم جيش ابن طولون لكنه هزم في إخميم وفر إلى مكه وقبض عليه ابن طولون بعد ذلك..(٢)

وفي عام ٢٥٢ هـ قامت ثورة شيعية بالإسكندرية بقيادة جابر بن الوليد المدلجي واجتمع إليه خلق كثير من بني مدلج وهزم جيش العباسيين وقوي أمره وأتاه الناس وتمكن من السيطرة على الوجه البحري..(٣)

(١)المرجع السابق ذكر ولاية الأشتر النخعي على مصر، وانظر كتب التأريخ..

(٢)انظر هذه الحوادث في الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٢٤٤ ، وانظر النجوم الزاهرة ج ٣ ذكر ولاية أحمد بن طولون على مصر..

(٣) انظر البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، الباب الثالث القبائل العربية في إقليم مصرفي عصر الولاة..

إلا أن هذه الثورة لم تنجح..

وما زالت شيعة علي بمصر إلى أن جاء المتوكل ثم المستنصر فعمل على تصفيتهم من مصر..

وجاء المستعين من بعدهم واستمرت سياسة التهجير لشيعة مصر من الطالبيين . .

وهذه السياسة التي مارستها حكومات بني العباس ضد أبناء آل البيت في مصر إنما كان الهدف منها القضاء على الوجود الشيع في مصر بنفي قيادات الشيعة والعناصر الفاعلة في دائرتها ليتم عزل جماهير الشيعةتمهيداً لاحتوائها وتصفيتها . .

ومثل هذه الحوادث إنما تدل على أن الشيعة كان لهم وجودهم البارز والفعال على الساحة المصرية وفي قلب القاعدة الشعبية ..

ومما يذكر أنه كان هناك صراع بين الإماميين والإسماعيليين ، حيث كان الإماميين على الأغلب هم الوزراء ،بينما الإسماعيليون هم الخلفاء، وقد قتل طلائع على يد الإسماعيلية..

ويقال أن الحاكم بأمر الله مال إلى الإمامية في أواخر عهده وكان ذلك من أسباب مصرعه ، فقد بدأ المذهب الإمامي في البروز على ما يبدو في عهده ،ثم ظهر بعد ذلك في عهد المستنصر على يد بدر الجمالي وولده الأفضل ، وفي عهد الفائز على يد الصالح طلائح..

روي المقريزي : أنه بعد مقتل الآمر بأحكام الله – الخليفة السابع – ثار أبو علي أحمد الملقب كتبغان عام ٥٢٤ هـ وسجن الحافظ لدين الله وأعلن مذهب الإمامية والدعوة للإمام المنتظر وضرب دراهم نقشها (الله الصمد ، الإمام محمد)

ورتب في عام ٥٢٥ هـ أربعة قضاة اثنان من الشيعةو احد إمامي والثاني إسماعيلي. واثنان من السنة أحد هما مالكياً والآخرشافعياً ، وحكم كل منهم بمذهبه ، فلما قتل كتبغان عام ٥٢٦ هـ عاد الأمر الى ما كان عليه من مذهب الإسماعيلية..(١)

(١)انظر إتعاظ الحنفا ج٣ الحافظ لدين الله..

الفاطميون ومصر

اختلت مصر وكادت تدمر حتى قدمت جيوش المعز

على يد القائد جوهر، فصارت دار خلافة..

المقريزي

لم تواجه جماهير السنة في مصر أية ضغوط من قبل الدولة الفاطمية لإجبارها على التخلي عن مذهبها كما أشاع خصوم الفاطميين..

وإنما الجماهير هي التي زحفت طواعية نحو دعوة أهل البيت حتى تحول أنصار مذهب أهل السنة إلى أقلية..

- الحرب الدعائية

وهوما دفع بالعباسيين في بغداد إلى إطلاق الحرب الدعائية ضد الفاطميين في مصر..

ومن صور هذه الحرب إعلان العباسيين وثيقة وقع عليها وجهاء من السنة والشيعة تدعي بطلان دعوى الفاطميين في الانتساب إلى أهل البيت..

روى الذَّهَبِيَ أَبُو شامة : كَانَ منهم ثلاثة بإفريقية وهم الذين بالمهدي ، والقائم، والمنصور، وأحد عشر بمصر، وهم: المُعِز ، والعزيز، والحاكم، والظّاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر، والحافظ، والظّافر، والفائز، والعاضد، يدّعون الشَّرَف، ونسبتهم إلى مجُوسيٍّ أو يهوديّ ، حتى اشتهر لهم ذَلِكَ بين العَوَام ، فصاروا يقولون الدّولة الفاطميَّة والدّولة العلويَّة. إنّما هِيَ الدّولة اليهوديَّة، أو المجوسيَّة الملحدة الباطنيَّة..

قَالَ : وقد ذكر ذَلِكَ جماعة من العلماء الأكابر أنهم لم يكونوا لذلك أهلا، ولا نسبهم صحيح، بل المعروف أنهم بنو عُبَيْد. وكان والد عُبَيْد هذا من نسل المدّاح الملحد المجوسي..

قَالَ : وقيل كَانَ والد عُبَيْد هذا يهوديًّا من أهل سَلَمِيَّة وكان حدّادا..

وعُبَيْد كَانَ اسمه سَعِيد، فلمّا دخل المغرب تسمّى بعُبَيْد الله وادّعى نسباً ليس بصحيح..

وذكر ذَلِكَ جماعة من علماء الأنساب، ثمّ ترقّت بِهِ الحال إلى أن ملك المغرب، وبنى المهديَّة، وتلقَّب بالمَهْدِيّ. وكان زِنْدِيقًا خبيثا، عدوًّا للإسلام..

قتل من الفُقَهاء، والمحدّثين، والصّالحين جماعة كبيرة، ونشأت بذُعَيْتَلَى ذَلِكَ. وبقي هذا البلاء عَلَى الإِسْلَام من أوّل دولتهم إلى آخرها، وهي في ذي الحجَّة سنة تسعٍ وتسعين ومائتين إلى سنة سبْعٍ وستّين وخمسمائة..

وقد بيّن نَسَبَهم جماعة القاضي أَبِي بَكْر الباقلاّنيّ فإنّه كشف في أوّل كتابه المسمّى «كشف أسرار الباطنية» نَسَب هَؤُلاَءِ إلى علّة، وكذلك القاضي عَبْد الجَبّار بْن أحمد استقصى الكلام في أُصُولها، وبيّنه في أواخر كتاب «تثبيت النُّبُوَّة» وبيّن ما فعلوه من الكفريات والمنكرات..(١)

وروى ابن الجوزي:وفي هذه السنة كتب محاضر في الديوان ذكر فيها صاحب مصر ومن تقدم من أسلافه بما يقدح في أنسابهم التي يدعونها وجحد الاتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعلي وفاطمة وعزوا إلى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وأنهم خارجون عن الإسلام وما جرى هذا المجرى مما قد ذكرنا مثله في أيام القادر باللّه وأخذت خطوط الأشراف والقضاة والشهود والعلماء بذلك..(٢)

اما المقريزي وابن خلدون فقد دفعا هذه الشبهة..

قال المقريزي : وهذه أقوال إن أنصفت يتبين لك أنها موضوعة ، فإن بني علي قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة ، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوس أو لابن يهودي ..

فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف وإنما جاء ذلك من قبيل ضعفة خلفاء بني العباس عندما غضوا بمكان الفاطميين..

(١)انظر تأريخ الإسلام حرف العين، ترجمة العاضد بالله رقم ٢٥١وانظر النجوم الزاهرة ج٥ ذكر ولاية العاضد بالله..

(٢)انظر المنتظم في تأريخ الملوك والأمم كتابة محاضر في الديوان بالقدح في أنساب صاحب مصر ومن تقدم من أسلافه حوادث سنة ٤٤٤هـ..

وأسجل القضاء بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرتضى وأبو حامد الإسفراييني في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة ٤٠٢ هـ أيام القادر..(١)

وقال ابن خلدون: ومن الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرّخين والأثبات في العبيديين خلفاء الشّيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم والطّعن في نسبهم إلى إسماعيل الإمام ابن جعفر الصّادق.. يعتمدون في ذلك على أحاديث لفّقت للمستضعفين من خلفاء بني العبّاس تزلّفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفنّن في الشّتمات بعدوّهم حسبما تذكر بعض هذه الأحاديث في أخبارهم ويغفلون عن التّفطّن لشواهد الواقعات وأدلّة الأحوال الّتي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرّدّ عليهم..

فإنّهم متّفقون في حديثهم عن مبدإ دولة الشّيعة أنّ أبا عبد الله المحتسب دعي بكتامة للرّضى من آل محمّد واشتهر خبره وعلم تحويمه على عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم خشيا على أنفسهما فهربا من المشرق محلّ الخلافة واجتازا بمصر..

وأنّهما خرجا من الاسكندريّة في زيّ التّجّار ونمي خبرهما إلى عيسى النّوشري عامل مصر والاسكندريّة فسرّح في طلبهما الخيّالة حتى إذا أدركا خفي حالهما

على تابعهما بما لبّسوا به من الشّارة والزّيّ فأفلتوا إلى المغرب. وأنّ المعتضد أوعز إلى الأغالبة أمراء إفريقيا بالقيروان وبني مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الآفاق عليهما وإذكاء العيون في طلبهما فعثر أليشع صاحب سجلماسة من آل مدرار على فخّ مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة للخليفة..

(١)انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ٢ ، فصل ذكر ما قيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة وأنظر نص الوثيقة في ملاحق الكتاب..

هذا قبل أن تظهر الشّيعة على الأغالبة بالقيروان ثمّ كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب وإفريقية ثمّ باليمن ثمّ بالإسكندريّة ثمّ بمصر والشّام والحجاز وقاسموا بني العبّاس في ممالك الإسلام شقّ الأبلمة..(١)

وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزايلون من أمرهم ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيريّ من موالي الدّيلم المتغلبين على خلفاء بني العبّاس في مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم..

وخطب لهم على منابرها حولاً كاملاً زال بنو العبّاس يغصّون بمكانهم ودولتهم وملوك بني أميّة وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم، وكيف يقع هذا كالّدعيّ في النّسب يكذب في انتحال الأمر..؟

واعتبر حال القرمطيّ ذ إكان دعيّا في انتسابه كيف تلاشت دعوته تفرّقت أتباعه وظهر سريعاً على خبثهم ومكرهم ،فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على النّاس تعلم

فقد اتّصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام إبراهيم (عليه السّلام) ومصلاّه وموطن الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط

الملائكة ثمّ، انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كلّه على أتمّ ما كانوا عليه من الطّاعة لهم والحبّ فيهم واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصّادق..

(١) الأبلمة هي قول صاحب البقال: بيني وبينك شقّ الأبلمة أي: نصفان، وأبقوا لي الأمر أنا شقّ الأبلمة، ومنه باب قول الجن: اليمون الأمر السّرّ فيفتنا وينبكيم ما معشر يقتل الأبلمة، انظر معاجم اللغة وغريب الحديث..

ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدّولة ودروس أثرها داعين إلى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم يزعمون استحقاقهم للخلافة، ويذهبون إلى تعيينهم الوصيّة ممّن سلف قبلهم من الأئمّة، ولو ارتابوا في نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبّس في أمره ولا يشبّه في بدعته ولا يكذّب نفسه فيما ينتحله..

والعجب من القاضي أبي بكر الباقلانيّ شيخ النّظّار من المتكلّمين كيف يجنح إلى هذه المقالة المرجوحة، ويرى هذا الرّاي الضّعيف، فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدّين والتّعمّق في الرّافضيّة، فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم، وليس إثبات منتسبهم بالّذي يغني عنهم من الله شيئا، في كفرهم..

فقد قال تعالى لنوح (عليه السّلام) في شأن ابنه: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَكَ بِهِ عِلْمٌ ١١: ٤٦»

وقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لفاطمة يعظها: يا فاطمة اعملي فلن أغني عنك من الله شيئاً، ومتى عرف امرؤ قضيّة أو استيقن أمراً، وجب عليه أن يصدع به، والله يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل..

والقوم كانوا في مجال لظنون الدّول بهم وتحت رقبة من الطّغاة لتوفّر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرّر خروجهم مرّة بعد أخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل:

فلو تسأل الأيّام ما اسمي ما درت وأين مكاني ما عرفن مكانيا

حتىّ لقد سمّي محمّد بن إسماعيل الإمام جدّ عبيد الله المهديّ بالكتم سمّته بذلك شيعتهم لما اتّفقوا عليه من إخفائه حذراً من المتغلّبين عليهم تفصّل شيعة بني العبّاس بذلك عند ظهورهم إلى الطّعن في نسبهم ،وازدلفوا بهالرّأي القائل للمستضعفين من خلفائهم..

وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولّون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرّة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشّام ومصر والحجاز من البربر الكتّامين شيعة العبيديّين وأهل دعوتهم..

حتىّ لقد أسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النّسب وشهد بذلك عندهم من الأعلام جماعة منهم الشّريف الرّضيّ وأخوه المرتضى وابن الجاويّ ..

ومن العلماء أبو حامد الأسفراييني والقدّوريّ والصّيمريّ وابن الأكفانيّ والأبيوديّ وأبو عبد الله بن النّعمان فقيه الشّيعة وغيرهم من أعلام الأمّة ببغداد في يوم مشهود..

وذلك سنة ستّين وأربعمائة في أيّام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السّماع لما اشتهر وعرف بين النّاس ببغداد وغالبها شيعة بني العبّاس الطّاعنون في هذا النّسب فنقله الأخباريّون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه والحقّ من ورائه..

وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحّة نسبهم ،فالمعتضد أقعد بنسب أهل البيت من كلّ أحد الدّولة والسّلطان سوق للعالم تجلب إليه بضائع العلوم والصّنائع وتلتمس فيه ضوالّ الحكم وتحدى إليه ركائب الرّوايات والأخبار..

وما نفق فيها نفق عند الكافّة فإنتزّهت اللّغة وعن التّعسّف والميل والأفن والسّفسفة وسلكت النّهج الأمم ،ولم تجر عن قصد السّبيل نفق في سوقها الإبريز الخالص واللّجين المصفّى..

وإن ذهبت مع الأعراض والحقود وماجت بسماسرة العرب البغي والباطل نفق البهرج والزّائف والنّاقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه وملتمسه..

ومثل هذا وأبعد منه كثيراً ما يتناجى به الطّاعنون في نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب..

إنّما صدرت هذه الكلمات من بني العبّاس أقتالهم ومن بني الأغلب عمّالهم كانوا بإفريقيّة وولاتهم..(١)

وقال وأمّا من جل نسبهم في اليهودية أو النصرانيّة لميمون القدّاح أو غيره فكفاه إثما تعرّضه لذلك..(٢)

وقد تأثرت الكتابات التاريخية التي رصدت تلك الفترة بهذه الحرب وانحازت إلى صف العباسيين ، وبرز هذا الأمر بوضوح بعد سقوط الدولة الفاطمية على أيدي الأيوبيين..
(3)

ولم تستفد مصر من ولاتها الذين حكموها منذ الفتح الإسلامي قدر ما استفادت وانتفعت من الفاطميين على جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية وأن بناء القاهرة والجامع الأزهر لهما خير دليل على ذلك..

والتاريخ يحدثنا عن نهضة واسعة في الحياة الفكرية والأدبية في العصر الفاطمي كما يحدثنا عن ازدهار العلوم الفلسفية والرياضيات والفلك والتنجيم والطب ..

(١)انظر تاريخ ابن خلدون ج١ المقدمة
(٢)انظر المرجع السابق ج٣بلداء دولة العبيديّين من الشيعة بإفريقية..
(٣)انظر فصل صلاح الدين..

- تقدم وازدهار

لقد أصحبت مصر لأول مرة في التاريخ مركز الحكم والتوجيه ،وتحولت القاهرة إلى عاصمة للعالم الإسلامي ،كما أصحبت منارة العلم وقبلة المتعلمين وذلك بفضل الفاطميين الشيعة..

وكانت الدولة الفاطمية تمتد من أقصى المحيط الأطلسي إلى الفرات وبلغت دعوتها إلى أقصى انتشارها ووصل غناها إلى الذروة..

وهكذا كان حال الدولة الفاطمية حين تسلمها المستنصر بالله الخليفة الثامن من خلفاء الفاطميين..

وكانت الدولة الفاطمية في خلافة الظاهر والد المستنصر في غاية الاستقرار والرفاهية ولأجل ذلك مال الظاهر إلى الدعة والراحة، ولما جاء المستنصر ركن إلى هذا الحال.. (1)

وقد ازدهرت الحركة العمرانية في عهد الفاطميي كما ازدهرت صناعة النسيج واشتهرت مصر بصناعة أنواع خاصة من النسيج..

وكانت الحكومة تقوم بكسوة موظفيها في الصيف والشتاء وكسوة العامة من الفقراء والمحتاجين..

ولم تكن المواكب المترفة غاية الترف التي كانت تخر ج في شوارع القاهرة في المناسبات الدينية كعيد الفطر والأضحى وبداية رمضان – وكذلك في عيد ميلاد الخليفة - إلا دلالة واضحة إلى حالة الرخاء والسعة التي كانت تعيشها في تلك الفترة..

وجميع أفراد الشعب كانوا يتأنقون لهذه المواكب فيلبسون أغلى الملابس وأروعهاو التي كانت تصنع في دور الطرز المصرية ، وهي أماكن لصناعة الملابس أغلبها مذهبة . يشملها زي مصري عام ذو أكمام واسعة..

وقد بلغت الناس غاية التأنق في عهد الظاهر..

(١)انظر إتعاظ الحنفا، والنجوم الزاهرة و سفر نامه لناصر خسرو ،والإمام المستنصر بالله الفطمي للدكتور عبد المنعم الماجد وجميعها طبع القاهرة..

وكان الخليفة العزيز يقول : أحب أن أرى النعم عند كل الناس ظاهرة . وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كله من عندي..

ويروي المؤرخون الكثير عن عدل المستنصر ورحمته بالناس ،فقد كان يعطي الدواء لمن يطلبه المجان ويخالط الناس ويسمع شكواهم وقدأحبته الرعية حباً شديداً ..

وبلغت النفقة على قافلة الحج في عهد المستنصر مائتي ألف دينار ولم تبلغ هذه النفقة مثل ذلك في دولة من الدول حيث كانت تشمل ثمن الطيب والشمع والحماية والصدقة وأجرة الجمال ومعونة خدم القافلة ومن يسير معها من العسكر الذين بلغت نفقاتهم في عهد المستنصر ستين ألف دينار زيادة على مرتباتهم أو ألف دينار في اليوم..(١)

وقد أنشأ الحاكم بأمر الله دار الحكمة أو دار العلم في عام ٣٩٥هـ وزودها بالكتب من كل نوع في العلوم والآداب والعقائد، وكان الطلاب يفدون إليها من شتى الأقطار ، فكانت أشبه بجامعة تتكون من عدة كليات..

وكانت خزانة الكتب في زمن المستنصر لا نظير لها في جميع بلاد الإسلام وهي تتكون من أربعين خزانة فيها أكثر من مائتي ألف كتاب وعدد كبير من الكتاب والنساخ..

وبلغ عدد المساجد في مصر آنذاك ستة وثلاثون ألف مسجد في جميع المدن والقرى ولكل مسجد يقع في حدود الدولة من الشام إلى القيروان نفقات يقدمها الخليفة

المستنصر من زيت وحصير وسجاجيد للصلاة ورواتب للقوام والفراشين والمؤذنين وغيرهم..

واعتاد خلفاء الفاطميين أن يقيموا في قصورهم الولائم الفاخرة في الأعياد لعامة الناس حيث تقدم لهم الفطرة ،وهي حلوى من دقيق وفستق ولوز وبندق وتمر وزبيب وعسل وهي تنشر كالجبل الشاهق على مائدة طويلة بالإيوان الكبير..

(١)انظر المراجع السابقة..

وفي عيد الأضحى كان الخليفة ينحر بنفسه الأضاحي إيذانا منه ببدء النحر ،وكانت تنحر في فترة العيد ما يزيد على الألف رأس توزع لحومها على الموظفين وطلبة العلم والقائمين بشئون الجوامع..

إن الدولة الفاطمية التي استقرت بمصر كانتأوفرها بين الدول بهاء وأبقاها أثراً ، وما زال الجامع الأزهر غرس الدولة الفاطمية اليانع يقوم منذ ألف عام أثاً خالداً ورمزاً باهراً لهذا العصر الزاهر وهذه الدولة المستنيرة العادلة..

وربما كان العصر الفاطمي بين عصور مصر الإسلامية الغابرة أجودها من هذه الناحية بالدرس والتمحيص وأحفلها بالمواقف الشائقة وأكثرها سحراً وفتنة وأبعثها إلى التأمل والعطف..

و الخلافة الفاطمية بالرغم مما كان يحيقبأصولها وإمامها من الريب فقد كانت بنظمها الطريفة ورسومها الفخمة وخلالها الباهرة تنثر من حولها فيض من العظمة والبهاء وتطبع العصر بطابع عميق من روحها الباذخ كما يحدثنا التاريخ..

وفي أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهية على أرجاء الأرض ، وأخذ الفن المصري الإسلامي يتألق في جميع نواحيه..

وفي رعاية هذه الدولة وثبت العمارة الإسلامية وثبة قوية حتى قاربت الكمال لأن خلفاءها تباروا في إنشاء وتأسيس المساجد الكبرى والحصون والقصور والمناظر والحدائق والبساتين..

وفي هذا العصر الزاهي انتشر الزخرف في واجهات المساجد وانتعش التصوير ونبغ المصورون وترقت ودقت صناعة الجص والأخشاب..

وكانت أيامهم كلها أعياداً بما ابتكروه من حفلات جمعت بين جلالة الملك وطرب الشعب وبهجته..(١)

(١)المراجع السابقة ، وانظر الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربي وحتى آخر الدولة الفاطمية لمحمد كامل حسين والحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية..

وقال الدكتور حسن إبراهيم حسن : يعتبر عهد العزيز بالله الفاطمي عهد يسر ورخاء وتسامح ديني وثقافة لا غرو . . وقد أنشئ في عهد الحاكم دار الحكمة التي كان يشتغل بها كثير من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين ،وألحق بها مكتبة أطلق عليها دار العلم حوت كثيراً من أمهات الكتب مما ألف في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية..(١)

وروي المقريزي :كان من عادتهم إخراج الكسوة في كل سنة لجميع أهل الدولة من صغير وكبير في أوقات معروفة، فبلغت كسوة الصيف والشتاء في السنة ستمائة ألف دينار ونيف..

وكانوا يتأنقون في المآكل، حتى إن الخادم والسائس من غلمانهم ينفق في كل يوم على طعامه العشرة دنانير والعشرين ديناراً لسعة أحوالهم..

وكانوا يفرقون في أول كل سنة دنانير يسمونها دنانير الغرة تبلغ خمسمائة دينار في السنة، فيتبرك بها من يأتيه منها برسوم مقررة لكل أحد..

وإذا أهل رمضان لا يبقى أمير ولا مقدم إلا ويأتيه طبق لنفسه، ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه أنواع الحلوى العجيبة الفاخرة..

وكانت خلعهم ثمينةً جداً بحيث يبلغ طراز الخلعة خمسمائة دينار ذهبا، ويختص الأمراء في الخلع بالأطواق والأساورة الذهب مع السيوف المحلاة؛ ويتشرف الوزير عوضاً عن

الطوق بعقد جوهر فكاكه خمسة آلاف دينار يحمل إليه، ويختص بلبس الطيلسان المقور..

ولا يركب الخليفة إلا بمظلة منسوجة بالذهب مرصعة بالجوهر..

(١)انظر تأريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي..

وكانت عادتهم إذا انقضى عيد النحر عمل الاستيمار ويثبت فيه جميع ما يشتمل عليه مصروف تلك السنة من عين وورق وغلة وغيرها مفصلا بالأسماء، وأولهم الوزير حتى ينتهي إلى أرباب الضوء، ثم يعمل في ملف حريري يشد له جوهر يشده..

وكان يبلغ في السنة ما يزيد على مائة ألف دينار عيناً ومائتي ألف درهم فضة وعشرة آلاف إردب غلة؛ ويعرض على الخليفة، فيستوعبه، ويشطب على بعضه وينقص قوماً ويزيد قوماً ويستجد آخرين بحسب ما يعن له، فيحمل الأمر على الشطب..(١)

- مواسم الفاطميين

و اشتهر العصر الفاطمي بكثرة المواسم والاحتفالات والإنفاق ببذخ عليها..

وقد تفاعل المصريون مع هذه الإحتفالات والمناسبات وأحبوها لما كانت تمثله بالنسبة لهم من أهمية معنوية وترفيهية بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية حيث كانت توزع فيها العطايا من أموال وكسوة وطعام..

ومن أهم مناسبات التي كان يحتفل بها الفاطميون:

مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم))..

رأس السنة الهجرية..

عاشوراء..

عيد الفطر وعيد النحر (الأضحى)..

ليلة النصف من شعبان..

مولد الإمام علي..

مولد فاطمة الزهراء والحسن و الحسين..

عيد الغدير..

وأول رمضان وفتح الخليج وكسوة الشتاء وكسوة الصيف ويوم النيروز ،غير المناسبات الأخرى الخاصة بخلفاء الفاطميين..

(١)انظر إتعاظ الحنفا ج٣ ذكر طرف من ترتيب الدولة الفاطمية..

روى المقريزي :وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، وهي: موسم رأس السنة، وموسم أوّل العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومولد عليّ بن أبي طالب ، ومولد الحسن، ومولد الحسين (عليهم السلام)، ومولد فاطمة الزهراء (عليها السلام)..

ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أوّل رجب، وليلة نصفه، وليلة أوّل شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرّة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير..

وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات..

وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أوّل المحرّم في كل عام لأنّه أوّل ليالي السنة وابتداء أوقاتها، وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدّة كثيرة من الخراف المقموم والكثير من الرءوس المقموم، وتفرّق على جميع أرباب الرتب..

وأصحاب الدواوين من العوالي والأدوان أرباب السيوف والأقلام مع جفان اللبن، والجبن وأنواع الحلواء، فيعمّ ذلك سائر الناس من خاص الخليفة، و جهاته والأستاذين المحنكين إلى أرباب الضوء، وهم المشاعلية،ويتنقل ذلك في أيدي أهل القاهرة ومصر..

وكان لهم بأوّل العام عناية كبيرة فيه، يركب الخليفة بزيه المفخم، وهيئته العظيمة كما تقدّم، ويفرّق من السماط الذي يعمل بالقصر لأعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف، والأقلام بتقرير مرتب، خرفان شواء، وزبادي طعام وجامات حلواء، وخبز وقطع منفوخة من سكر، وأرز بلبن، وسكر،فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه..

ويوم عاشوراء كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، ويعمل فيه السماط العظيم المسمى: سماط الحزن..

وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير، فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء، يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويصنعون الحلاوات، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء، وحزن فيه على الحسين بن عليّ، لأنه قتل فيه..

وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء، يوم سرور..

وكان لهم في شهر رمضان عدّة أنواع من البرّ منها: كشف المساجد، قال الشريف الجوّاني في كتاب النقط: كان القضاة بمصر إذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام، طافوا يوماً على المشاهد، والمساجد بالقاهرة ومصر، فيبدأون بجامع المقس، ثم بجوامع القاهرة، ثم بالمشاهد، ثم بالقرافة، ثم بجامع مصر، ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك، وقناديله، وعمارته، وإزالة شعثه..

وكان أكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم، والشهود، والطفيليون يتعينون لذلك اليوم، والطواف مع القاضي لحضور السماط..(١)

وفي الاحتفال برأس السنة الهجرية كان الخلفاء يقيمون الولائم ويوزعون الحلوى ويحضر الاحتفال رجال الدولة وأصحاب الرتب وجميع أرباب السيوف والأقلام.. وفي فصل الشتاء كانت توزع كسوة الشتاء . وفي فصل الصيف كانت توزع كسوة الصيف على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم.. وكان الفاطميون بالإضافة إلى ذلك يحتفلون بعيد النيروز ويوزعون فيه أصناف الحلوى..

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٢ ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا، ومواسم تتسع بها أحوال الرعية، وتكثر نعمهم..

يصور لنا ابن تغردي بردي هذه الاحتفالات تحت عنوان: ذكر ركوب الخلفاء الفاطميين في أوّل العام من كلّ سنة بقوله: المعزّ هذا هو الذي سنّ ذلك كلّه، فكان أمره إذا كان أواخر ذى الحجّة من كلّ سنة انتصب كلّ من المستخدمين لإخراج آلات الركوب..

ويقال: كلّ مركب مصوغ من ذهب وفضّة، أو من ذهب منزّل فيه الميناومنها مرصّع بحبّ اللؤلؤ الفائقوالخيل مطوّقة بأعناق الذهب وقلائد العنبر، وفي أيدى أكثرها خلاخل مسطّحة بالذهب، ومكان الجلد من السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان المنقوشةقيمة كلّ دابّة وما عليها ألف دينار..

فإذا أصبح الصبح يوم غرّة العام اجتمع أرباب الرتب من القاهرة ومصر وأرباب السيوف والأقلام، فصفّوا بين القصرين..

ثمّ يسيرون والمظلّة على يسار الخليفة وصاحبها يبالغ ألاّ يزول عنه ظلّها، وصبيان الركاب، منهم جماعة كبيرة من الشكيمتين، وجماعة أخرى في عنق لدّبلة، وجماعة أخرى في ركابيه..

وهم ما يزيد على ألف رجل، وعليهم مناديل الطبقيّات يتقلّدون بالسيوف، وأوساطهم مشدودة بمناديل، والسلاح مشهور بأيديهم، من جانبي الخليفة كالجناحين، وبينهم فرجة لوجه الدّابة ليس فيها أحد..

ثمّ يدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين كما كانوا..

فإذا وصل الخليفة إلى موضع جامع الأقمر الآن وقف وقفة وانفرجوا كما يمرّ الموكب بالخليفة..

فيشقّ الخليفة القاهرة إلى جامع أحمد بن طولون إلى المشاهد طلّفا، ويقال له شارع الأعظم إلى دار الأنماط إلى جامع مصر، فيجد ببابه الشريف الخطيب واقفاً على مصطبة فيها محراب مفروش بحصير معلّق عليه سجادة، وفي يده مصحف، يقال: إنه خط علىّ بن أبي طالب، فيناول الشريف الخليفة المصحف فيأخذه فيقبّله ويتبارك به، ويعطيه صاحب الخريطة المقرّر للصلاة ثلاثين ديناراً، وهي رسمه كلّما مرّ به الخليفة، فيعطيها الشريف إلى مشارف الجامع، فيأخذ منها أربعة عشر ديناراً ويفرّق الباقي على القمة والمؤذنين خاصّة..

ثمّ يسير الخليفة إلى دار الملك، فينزلها والوزير معه، وكلّما مرّ من القصر إلى دار الملك بمسجد أعطى قيّمه ديناراً ثمّ تأتي المائدة من القصر وعدّتها خمسون على رءوس الفرّاشين مع صاحب المائدة من الأطعمة من كلّ نوع شهيّ وكلّ صنف من المطاعم العالية، وله روائح عبقة مسك، فيحمل الخليفة إلى الوزير منها شيئاً وافراً، ويعطي الأمراء ومن حضر، ثم يوصل إلى أهل مصر من ذلك كثيراً من الفضلات..

ثمّ يصلّي الخليفة العصر ويتحرّك إلى العود، والناس في الطريق جلوس لنظره ووزيره في هذه الأيام لبس الثياب البياض المذهّبة والملوّنة، وهي العمامة، والمنديل مشدود، وشدّته مفردة عن شدّات الرعيّة، وذؤابته تقرب من الجانب الأيسر، ويتقلّد السيف

العربي الجوهر، ولذلك أوقات مخصوصة، فلا يمرّ بمسجد في طريقه إلاّ ويعطى قيّمه دينارا، كما جرى فى الرّواح..

وروى عن ذكر ركوب الخليفة في يومى عيد الفطر والنّحر إذا تكمّلت عدّة شهر رمضان، وهى عندهم أبداً ثلاثون يوماً، وتهيّأت الأمور ، ركب الخليفة بالمظلّة، ولباسه في هذا اليوم الثّياب البياض الموشّحة، وهى أجلّ لباسهم، والمظلّة تابع لزىّ ثياب الخليفة..

ويخرج الخليفة من باب العيد إلى المصلّى ، وعساكره وأجناده من الفرسان والرجّالة زائدة على العادة موفورة العدد، فيقفون صفّين من باب العيد إلى المصلّى..

ويكون صاحب بيت المال قد تقدّم على الرسم لفرش المصلّى، فيفرش الطّاحات على رسمها فى المحراب مطابقة؛ ويعلّق سترين يمنة ويسرة ، على الستر الأيمن الفاتحة وسبّح اسم ربّك الأعلى، وعلى الأيسر الفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية..

ويركز فى جانبى المصلّى لواءين مشدودين على رمحين قد لبّست أنابيبهما من الفضّة، ويرخيهما فيدخل الخليفة من شرقىّ المصلّى إلى مكان يستريح فيه قليلاً ، ثم يخرج محفوظاً كما يخرج للجمعة، فيصلّى بالتكبيرات المسنونة والقوم من ورائه على ترتيبهم في صلاة الجمعة..

ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة سبّح اسم ربّك الأعلى، وفي الأخرى الغاشية، ثم يصعد إلى ذروة المنبر..

ثم يخطب الخليفة خطبة بليغة. فإذا فرغ كشفوا ما بأيديهم من الألوية زلوين أوّلاً وبأوّل القهقرى..

ثمّ ينزل الخليفة إلى مكانه الذي خرج منه، ويركب في زيّه الملخّم إلى قريب من القصر؛ فيتقدّمه الوزير ويدخل من باب العيد، فيجلس فى الشّباك، وقد نصب منه إلى فسقية كانت في وسط الإيوان سماط طوله عشرون قصبة..

فيدخل الناس فيأكلون ولا منع ولا حجر، وفي كل ذلك بأيدى الناس وليس هذا مما يعتد به، بل يفرق إلى الناس، ويحمل إلى دورهم. ونذكر مصروفها في ترجمة العزيز؛ فإنه أول من رتبها فى عيد الفطر خاصة..

وأما سماط الطعام ففى يوم عيد الفطر اثنتان أولى وثانية، وفي عيد النحر مرة واحدة. ويعبى السماط في الليل، وطوله ثلثمائة ذراع في عرض سبع أذرع، وعليه من أنواع المأكل أشياء كثيرة..

فيحضر إليه الوزير أول صلاة الفجر والخليفة جالس في الشباك، ومكّنت الناس منه فاحتملوا ونهبوا ما لا يأكلونه، ويبيعونه ويدخرونه..

وهذا قبل صلاة العيد فإذا فرغ من صلاة العيد مد السماط المقدم ذكره فيؤكل، ثم يمد سماط ثان من فضة، يقال له المدورة، عليها أوانى الفضة والذهب المصينى، فيها من الأطعمة الخاص ما يستحى من ذكره..

والسماط بطول القاعة؛ وهو خشب مدهون شبه الدكك اللاطية، عرضه عشر أذرع..

ويحط في وسط السماط واحد وعشرون طبقاً في كل طبق واحد وعشرون خروفاً، ومن الدجاج ثلثمائة وخمسون طائراً، ومن فراخ الحمام مثلها..

وتتنوع الحلوى أنواعاً ثم يمد بخلل تلك الأطباق أصحن خزفيات في جنبتا السماط، فى كل صحن تسع دجاجات في ألوان فائقة من الحلوى المفتقة بالمسك الكثير..

وعدة الصحون خمسمائة صحن، مرتب كل ذلك أحسن ترتيب، ثم يؤتى بقصرين من حلوى قد عملا بدار الفطرة، زنة كل واحد سبعة عشر قنطاراً، فيمضى بواحد من طريق قصر الشوك إلى باب الذهب، ويشق بالآخر من الجانب الآخر، فينصبان أول السماط وآخره..

ثمّ يخرج الخليفة راكباً فينزل إلى السرير الذي عليه المدوّرة الفضّة، وعلى رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنّكين، وأربعة من خواصّ الفرّاشين..

ثمّ يستدعى الوزير فيجلس عن يمينه، والأمراء ومن دونهم فيجلسون على السلالّم، فيتداول الناس السّماط، ولا يردّ أحد عنه حتىّ يذهب عن آخره، فلا يقوم الخليفة إلاّ قريب الظهر..

ثم يخرج الوزير ويذهب إلى داره، ويعمل سماط يقارب سماط الخليفة، وهكذا يقع في عيد النحر في أوّل يوم منه..

وأمّا ركوب الخليفة في عيد الأضحى، فهو أيضاً لزّي المقدّم ذكره والصلاة كذلك، إلاّ أنّ الركوب يكون في أيّام متتابعة، أوّلها يوم العيد إلى المصلى..

ثمّ يركب ثانى يوم ثالث يوم من باب الرّيح، وهو في ركن القصر، والباب مقابل سعيد السعداء، فيخرج الخليفة من باب الريح ، فيجد الوزير واقفاً فيمشى بين يديه إلى المنحر ، فينحر فيه ماشاء الله أن ينحر، ويعطى الرسوم، ورسوم الأضحية كرسوم ركوب الخليفة أوّل العام..

ويفرّق الضحايا إلى المساجد وجوامع القاهرة وغيرها..

وأمّا الركوب لفتح خليج السدّ عند وفاء النيل، فهو يضاهى ركوبهم في أوّل العام، نذكر منه على سبيل الاختصار نبذة يسيرة..

إذا كان ليالى الوفاء حمل إلى المقياس من المطابخ نحو عشرة قناطير خبز، وعشرة خراف مشويّة، وعشر جامات حلوى، وعشر شمعات..

توجّه القرّاء وأرباب الجوامع فيقرءون تلك الليلة بجامع المقياس حتىّ يكون الوفاء، فيهتم الخليفة لذلك ويركب ويستدعى الوزير على العادة، ويسير بالزّي المقدّم من غير مظلّة، وينزل بالصناعة..

ثمّ يخرج بعد فراغه من تخليق المقياس ويركب العشارى ويعود إلى دار الملك بمصر وتارة إلى المقس، ومن أحدهما إلى القاهرة في زيّ مهول من كثرة مهلتهم له من العساكر والزينة والسلاح..

ويكون هذا الركوب أولى وثانية؛ فالأولى في ليلة يتوجّه لقراءة، والثانية يوم فتح الخليج، وعند ما يفتح الخليج ينشده الشعراء في المعنى:

فتح الخليج فسال منه الماء وعلت عليه الراية البيضاء

فصفت موازده لنا فكأنّه كفّ الإمام فعرفها الإعطاء

وأمّا ركوبهم في المواكب في يومى الاثنين والخميس وغير ذلك، فأمر عظيم فأوّل الركوب ركوب متولّى دفتر المجلس بالقصر الباطن ويتضمّن هذا الركوب الإنعام بالعطاء بأداء الرسوم والعطايا المفترقة في غرّة السنة، ثم يأتى ركوب وثلث ورابع وخامس..

وأمّا خزانة الكتب ، فكانت في أحد مجالس البيمارستان العتيق اليوم، كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم، يطول الأمر في عدّها..(١)

وروى المقريزي عن عيد الغدير: ثماني عشرة من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم، تجمع خلق من أهل مصر والمغاربة للدعاء، فأعجب المعز ذلك، وكان هذا أول ما عمل عيد الغدير بمصر..

وروى : غدا المعز لصلاة عيد النحر في عساكره، وصلى كما ذكر في صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود، وخطب وانصرف في زيه، فلما وصل إلى القصر أذن للناس عامة فدخلوا والشمسة منصوبة على حالها، فلم يبق أحد حتى دخل من أهل مصر والشام والعراق ،فذكر أهل العراق وأهل خراسان، ومن يواصل الحج أنهم لم يرو قط مثل هذه الشمسة..

وأمر المعز للناس بالطعام فأكلوا..

وفي سنة ٣٦٤هـ ركب المعز يوم عيد النحر على رسمه، فصلى وخطب،و أطعم الناس بالقصر..

و في سنة ٣٨١هـ حملت أسمطة عيد النحر على العادة، وصلى العزيز بالناس صلاة العيد، وخطب، ثم نحر بالقصر ثلاثة أيام، وفرق الضحايا..

وعمل عيد الغدير على رسمه..

و في سنة ٣٨٢هـ ركب العزيز لفتح الخليج بالمظلة، وعليه قميص ديباج مثقل، وتاج مرصع بالجوهر..

ولأربع عشرة خلت من رجب كان عيد الصليب، فجرى الناس في الاجتماع فيه للهو على ما كانوا عليه..

(١)انظرالنجوم الزاهرة ج٤

وخطب العزيز في رمضان في جامع القاهرة، وصلى، وركب يوم الفطر فصلى بالناس، وخطب على الرسم..

وعمل سماط عيد نحر، وركب العزيز فصلى بالناس صلاة عيد النحر، وخطب على رسمه، ونحر، وفرق الضحايا..

وعمل عيد الغدير على العادة..

وسارت قافلة الحاج للنصف من ذي القعدة..

ونودي في السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال كي لا يدنسوا ثياب الناس..

وفي سنة٣٨٤هـ وسارت قافلة الحاج لأربع عشرة بقيت منه بالكسوةو الصلات.

وصلى العزيز صلاة عيد النحر وخطب بالمصلى على رسمه، ونحر وفر ق الضحايا

وجرى الرسم في عيد الغدير على العادة..

و في سنة ٣٨٨هـ سارت قافلة الحاج أول ذي القعدة بالكسوة والصلات على العادة، وصلى الحاكم صلاة عيد النحر وخطب على الرسم؛ وأجرى الناس في أضاحيهم على عوائدهم. وعمل عيد الغدير على العادة، وطاف الناس بالقصر على رسمهم..

و في سنة ٣٩٩هـ حمل سماط عيد النحر يوم التاسع من ذي الحجة على عادته، غير أنه أبطل منه الملاهي والخيال واللعب الذي كان يعمل في كل سنة..

وفي سنة ٤٠٢ هـعمل عيد الغدير على رسمه وفرقت فيه دراهم كثيرة..

وفي سنة ٤٠٣هـ وفي رجب قرئ سجل بمنع الناس من تقبيل الأرض للحاكم، وبمنعهم من تقبيل ركابه ويده عند السلام عليه في المواكب، والانتهاء عن التخلق بأخلاق أهل الشرك من الانحناء إلى الأرض فإنه صنيع أهل الروم، ونهوا عن الصلاة عليه في المكاتبة والمخاطبة، وأن تكون مكاتبتهم في رقاعهم ومراسلاتهم بإنهاء الحال، ويقتصر في الدعاء على سلام الله وتحياته وتوالى بركاته على أمير المؤمنين، و يدعى له بما سبق من الدعاء لا غير..

فلما كان يوم الجمعة لم يقل الخطيب سوى: اللهم صل على محمد المصطفى وسلم على أمير المؤمنين علي المرتضى، اللهم وسلم على أمراء المؤمنين آباء أمير المؤمنين، اللهم اجعل أفضل سلامك على سرك وخليفتك..

وأنزل من القصر سبع صناديق فيها ألف ومائتان وتسعون مصحفاً إلى الجامع العتيق ليقرأ فيها الناس..

و أحصيت المساجد التي لا غلة لها فكانت ثمانمائة مسجد ونيف، فأطلق لها في كل شهر تسعة آلاف ومائتا درهم وعشرون درهما، لكل مسجد اثنا عشر درهماً ..

ومنع من ضرب الطبول والأبواق التي كانت تضرب حول القصر في الليل، فصاروا يطوفون بغير طبل ولا بوق..

وأنزل إلى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشر مصحفا. و أبطلت مكوس الحسبة، وأذن للناس بالتأهب للحج في البر والبحر..

وفي رمضان صلى الحاكم بالناس مرة في جامعه براشدة، ومرة بجامعه خارج باب الفتوح وفيه ظهر جراد كثير حتى أبيع في الأسواق، وصلى بالجامع العتيق بمصر جمعة، وهو أول من صلى فيه من الخلفاء الفاطميين..

ومنع النساء من الجلوس في الطرقات للنظر إليه، وأخذ القصص بيده و وقف لأهلها وسمع كلامهم، وخالطه العوام وحالوا بينه وبين موكبه..

واستماحه قوم فوصلهم بصلات كثيرة،وأهدى إليه قوم مصاحف فقبلها و أجازهم عليها..

ووقف عليه اثنان من تربة عمرو بن العاص وشكوا أن حبسهما قبض عليه للديوان من أيام العزيز، فخلع عليهما ووصلهما بألف دينار..

وكثرت في هذا الشهر إنعاماته، فتوقف أمين الأمناء حسين بن طاهر الوزان في ذلك، فكتب إليه الحاكم بخطه بعد البسملة: الحمد لله كما هو أهله:

أصبحت لا أرجو ولا أتقي سوى إلهي، وله الفضل

جدّي نبيّي، وإمامي أبي وديني الإخلاص والعدل

المال مال الله عز وجل، والخلق عباد الله، ونحن أمناؤه في الأرض، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام..

وركب في يوم الفطر إلى المصلى بغير شيء مما كان يظهر في هذا اليوم من الزينة والجنائب ونحوها، فكان في عشرة أفراس جياد بين يديه بسروج ولجم مجلاةً بالفضة البيضاء الخفيفة، ومظلة بيضاء بغير ذهب، وعليه بياض بغير طرز ولا ذهب و لا جوهر في عمامته، ولم يفرش المنبر..

وفي سنة ٤١٥هـ جرى الناس بمصر في عيد الغدير على رسمهم، وتزيوا بأفخر زيهم، وطلع المنشدون إلى القصر يدعون وينشدون. وفيه نصبت خيمة خارج باب الفتوح ليخرج تجريدة الدزبري..

وفي سنة ٥١٦هـ وحضرت كسوة عيد النحر، وفرقت الرسوم على من جرت عادته بها، خارجاً عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيته، فكان منها سبعة عشر ألفاً وستمائة دينار برسم القصور جميعها..

وجملة ما نحر وذبح الخليفة خاصة، دون الوزير، في ثلاثة أيام النحر ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأساً ، منها نوق مائة وثلاثة عشر، وبقر ثمانية عشر رأساً ، وجاموس خمسة عشر، والبقية كباش..

ومبلغ المصروف على أسمطة الثلاثةأيام، خارجاً عن أسمطة الوزير، ألف وثلثمائة وستة وعشرون ديناراً، ومن السكر ثمانية وأربعون ديناراً ..

وعمل عيد الغدير على رسمه، وركب الخليفة إلى قليوب، ونزل بالبستان العزيزي لمشاهدة قصر الورد، على العادة المستقرة والسنة المتقدمة، وفرقت الصدقات في مسافة الطريق، وضربت الخيم، وقدمت الأسمطة. ثم عاد في آخر النهار إلى قصره..

وفي مناسبة الغدير كانت تزوج الأيامى وتوزع الكسوة وتفرق الهبات،وفيه تنحر الماشية وتعتق الرقاب..(١)

ومثل هذه المظاهر تدل على الترف العظيم الذي كانت تعيش فيه مصر أيام الفاطميين، وهو من بركات أهل البيت..

ويلاحظ اهتمام الخلفاء الفاطميين بالقرآن والصلاة والمساجد والتزامهم بالتسامح والرحمة والعدل بين الناس..

ويلاحظ أيضاً أن الصورة التي عرضها المقريزي عن الحاكم بأمر الله تتناقض مع تلك الصورة التي أشاعها عنه الخصوم..

وروى ابن تغري بردي: وكان المستعلى حسن الطريقة فى الرعيّة، جميل السيرة فى كافّة الأجناد، ملازماً لقصره كعادة أبيه، مكتفياً بالأفضل فيما يريده، إلا أنّه كان مع تقاعده عن الجهاد وتهاونه فى أخذ البلاد مغالياً فى الرّفض والتشيّع..

كان يقع منه الأمور الشنيعة فى مأتم عاشوراء، ويبالغ فى النّوح والمأتم، ويأمر الناس بلبس المسوح وغلق الحوانيت واللطم والبكاء زيادة عما كان يفعله آباؤه، مع أنّ الجميع رافضة، ولكنّ التفاوت نوع آخر..

وأما الذي كان يفعله آباؤه وأجداده من النّوح فى يوم عاشوراء والحزن وترتيبه، فإذا كان يوم العاشر من المحرّم احتجب الخليفة عن الناس، وإذا علا النهار ركب قاضى القضاة والشهود وقد غيروا زيّهم ولبسوا قماش الحزن..

ثم صاروا إلى المشهد الحسينىّ بالقاهرة- وكان قبل ذلك يعمل المأتم بالجامع الأزهر- فإذا جلسوا فيه بمن معهم من الأمراء والأعيان وقرّاء الحضرة والمصدّرين فى الجوامع، جاء الوزير فجلس صدرا، والقاضى وداعى الدّعاة من جانبيه..

(١) انظر إتعاظ الحنفا ج١ ذكر قدوم المعز لدين الله إلى مصر وج ٢ و ٣..

والقرّاء يقرءون نوبة بنوبة، ثم ينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة أشعارا يرثون بها الحسن والحسين وأهل البيت..

وتصيح الناس بالضجيج والبكاء والعويل- فإن كان الوزير رافضيّاً على مذهب القوم تغالوا فى ذلك وأمعنوا..

وإن كان الوزير سنّيّاً اقتصروا- ولا يزالون كذلك حتىّ تمضى ثلاث ساعات، فيستدعون إلى القصر عند الخليفة بنقباء الرسائل؛ فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره، ويدخل قاضى القضاة والداعى ومن معهما إلى باب الذهب (أحد أبواب القصر) فيجدون الدّهاليز قد فرشت مساطبها بالحصر والبسط..

وينصب فى الأماكن الخالية الدكك لتلحق بالمساطب وتفرش، ويجدون صاحب الباب جالساً هناك، فيجلس القاضى والداعى إلى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم، فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً ..

ثم يفرش وسط القاعة بالحصر المقلوبة (ليس على وجوهها، وإنما تخالف مفارشها) ، ثمّ يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخلّلات والأجبان والألبان الساذجة والأعسال النّحل والفطير والخبز بغير لونه بالقصد لأجل الحزن..

فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة (يعنى الحاجب والمشدّ) وأدخل الناس للأكل من السماط. فيدخل القاضى والداعى ويجلس صاحب الباب ببابه؛ ومن الناس من لا يدخل من شدّة الحزن، فلا يلزم أحد بالدخول، فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى مكانهم ركباناً بذلك الزى الذي ظهروا فيه من قماش الحزن..

وطاف النّوّاح بالقاهرة فى ذلك اليوم، وأغلق البيّاعون حوانيتهم إلى بعد العصر، والنّوح قائم بجميع شوارع القاهرة وأزقّتها، فإذا فات العصر يفتح الناس دكاكينهم ويتصرّفون فى بيعهم وشرائهم..

فكان ذلك دأب الخلفاء الفاطميّين من أولهم المعزّ لدين الله معدّ إلى آخرهم العاضد عبد الله..(١)

وروي المسبحي : وفي يوم عاشوراء بداية من عام ٣٩٦ هـ جرى الأمر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة (الأزهر) ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد..(٢)

ولما زال حكم الفاطميين اتخذ ملوك بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الأواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام..

جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب الذين يتخذونيوم عاشوراء يوم حز ن على الحسين..(٣)

وقد توقفت معظم هذه الإحتفالات ولم يبق إلا القليل منها مما تبنته الدول التي قامت بعد الفاطميين..

توقف الاحتفال بمولد أئمة آل البيت عدا مولد الحسين ، كما توقف الاحتفال بعيد الغدير وكسوة الشتاء والصيف وعاشوراء..

وبقي الاحتفال بليلة النصف من شعبان ورمضان ومولد الحسين الذي اختصت به الطرق الصوفية..

أما الاحتفال برأس السنة الهجرية ومولد النبي وعيد الفطر والأضحى فقد تبنته الدول الأيوبية والمملوكية والعثمانيةواستثمرته إعلامياً ودعائياً لصالحها غير أنها قامت بتغيير تواريخ الاحتفال بهذه المناسبات والتي كانت من وضع الفاطميين..

ولا تزال هذه النظم الفاطمية سائدة في مصر حتى اليوم بالنسبة للاحتفالات الخاصة بالمناسبات التي لا زالت باقية..

(١)انظر النجوم الزاهرة ج٥ ذكر ولاية المستعلي بالله على مصر..

(٢)انظر تأريخ مصر في ستين ط الهيئة المصرية للكتاب القاهرة..

(٣) انظر عيد الغدير في عهد الفاطميين لمحمد هادي الأميني ط النجف عام ٦٢

مثل الموالد وليلة النصف من شعبان ورأس السنة الهجرية وعاشوراء الذي تم تحويله لاحتفال فرح نكاية بالفاطميين ،الذين كانوا يتخذون من يوم عاشوراء يوم حزن..

- الفاطميون والصليبين

ومن بين المطاعن التي وجهت للفاطميين إقامة التحالف مع الصليبيين وقد استغل هذا المطعن في تشويه الفاطميين وا إثارة الشبهات من حولهم..

و استخدم كوسيلة لتأكيد عداء الفاطميين للمسلمين وميلهم للصليبيين على أساس عقيدتهم الباطنية المعادية للإسلام..

وبات هذا الأمر حقيقة مسلم بها عند الجميع بحيث غطى على كل مآثر الدولة الفاطمية وا إنجازاتها..

من هنا استبيحت الدولة الفاطمية وحكامها من قبل المؤرخين الذين رصدوا تاريخها ووقائعها بمنظار الشك ، وأعلنوا براءتهم منها وكفرهم بها.. حتى أن السيوطي رفض التأريخ لدولتهم في كتابه تأ يخ الخلفاء..(١)

والحق أن اتهام الفاطميين بالعمالة للصليبيين و اتهامهم بالزندقة والباطنية ،والتشكيك في انتسابهم لأهل البيت، كل هذه تهم ابتدعت لأغراض سياسية، الهدف منها الحط من الفاطميين والقضاء على دعوتهم ونفوذهم بين المسلمين..

والمسألة في الحقيقة تتركز في قضية الصراع بين السنة والشيعة..

السنة التي كانت ممثلة في الدولة العباسية آنذاك..

والشيعة الممثلة في الدولة الفاطمية..

ومحاولة حصر القضية في دائرة العمالة للصليبيين يعد تعتيماً على حوادث التأريخ..

لقد سلب الفاطميون مركز الريادة والقيادة في العالم الإسلامي من العباسيين ، بل وكادوا أن يسقطوا دولتهم،ويوحدوا المسلمين تحت ر ايتهم..

(١)اتفق جميع المؤرخين على تشويه الفاطميين، ويبدو ذلك بوضوح عند مؤرخي فترة ما قبل سقوط الدولة الفاطمية الذين كانت تحرضهم بغداد ، كما يبدو عند مؤرخي فترة الأيوبيين وما بعدهم، انظر تأريخ الخلفاء للسيوطي كمثال ، وانظر فصل صلاح الدين..

إن العباسيين هم الذين شهروا سلاح السنة في مواجهة الفاطميين وزجوا بالفقهاء في المواجهة حتى يضفوا طابع الشرعية على حربهم السياسية ضد الفاطميين..

ومسألة التعاون مع الصليبيين أو الإفرنج حين ظهروا في بلاد المسلمين وقع فيها العديد من الولاة في بلاد الشام في وجود الفاطميين وفي عهد الأيوبيين..

فلماذا أثيرت هذه التهمة حول الفاطميين وحدهم وأغفل الباقون..؟

ولماذا سكتوا عن الصالح إسماعيل بن نور الدين الذي سلم القدس للصليبيين ليدعموه في حربه ضد إخوته وأبناء صلاح الدين بالشام..؟

ولما ذا سكتوا عن السلطان الأيوبي الملك الكامل الذي سلم القدس إلى الصليبيين عام ٦٢٦ هـ..؟

والجواب يكمن في حالة التعصب المذهبي و حالة العداء الكامنة في نفوس المؤرخين ا تجاه الشيعة والتي جعلتهم يتصيدون الأخطاء وينسبون المواقف ويثيرون الشبهات حول الفاطميين..

وقد أعماهم الحقد على الشيعة عن معرفة الحقيقة ووضع الأمور في نصابها والفحص والتحقق في الروايات التي تنسب للفاطميين..

إن التاريخ يقص علينا مواقف خالدة ومشرفة للفاطميين في مواجهة الصليبيين من قبل ظهور آل زنكي وصلاح الدين . .

روي ابن الأثير في حوادث سنة ٣٨٦هـ السَّنَةَ تُوُفِّيَ عَزِيزُ أَبُو الْمَنْصُورِ نِزَارُ بْنُ الْمُعِزِّ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدٍّ الْعَلَوِيُّ، صَاحِبُ الْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ، بِمَدِينَةِ بِلْبِيسَ وَرَاءَ الْغَرْبِيَّةِ، فَلَحِقَهُ الرُّومُ، فَلَحِقَهُ بِدَّةُ أَمْرَاضٍ مِنْهَا النِّقْرِسُ وَالْحَصَاةُ وَالْقُولَنْجُ، فَتُوُفِّيَ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَمَضَانَ..(١)

(١) ينظر الكامل في التاريخ، العزيز بالله هو أبو منصور نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، وسمي بالعزيز لأنه لما مات أمره..

وروى في حوادث سنة ٤٣٢هـ السَّنَةَ كَانَتْ وَقْعَةُ الْقُرَّةِ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَبَيْنَ الرُّومِ، فَظَفِرَ الْمُسْلِمُونَ..(١)

وفي عام ٤٩١ هـ استولى الفرنج على بيت المقدس في عهد الخليفة المستعلي بالله وسير الأفضل بن بدر الجمالي وزير الآمر بأحكام الله ابن المستعلي الجيوش إلى الفرنج عام ٤٩٨ هـ فقهرهم وأخذ الرملة ، ودارت بينهم معارك طاحنة لكنه لم ينجح في إخراجهم من القدس وعكا ويافا وعاد إلى عسقلان..

وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش..(٢)

وفي عام ٥٠٤ هـ قام والي عسقلان من قبل الفاطميين بمراسلة الفرنج وهادنهم وتحصن بهم في مواجهة دولته فجهز الأفضل جيشاً وسيره نحو عسقلان ، ووثب أهل عسقلان على الوالي وقتلوه وبذلك انتهت الفتنة وأنقذت عسقلان..(٣)

روى المقريزي جهز الأفضل عسكراً كثيفاً لغزو الفرنج؛ فساروا إلى عسقلان، ووصلوا إليها في أول رمضان، فأقاموا بها إلى ذي الحجة، فنهض إليهم من الفرنج ألف فارس وعشرة آلاف راجل، فخرج إليهم المسلمون وحاربوهم..

فكانت بين الفريقين عدة وقائع آلت إلى كسر الميمنة و الميسرة وثبات سعد الدولة الطواشي، مقدم العسكر، في القلب، وقاتل قتالاً شديداً ،فتراجع المسلمون عند ثبات المذكور وقاتلوا الفرنج حتى هزموهم إلى يافا، وقتلوا منهم عدة وأسروا كثيراً ، وقتل كند فرى ملك الفرنج بالقدس، فجاء أخوه بغدوين من القدس وملك بعده، وسار بالفرنج إلى أرسوف..(٤)

وروى : سار الفرنج نحو بيروت، وعملوا عليها برجاً من الخشب،و زحفوا، فكسره أهل بيروت،وقدم الخبر بذلك على الأفضل، فجهز تسعة عشر مركباً حربية، فوصلت سالمةً إلى بيروت وقويت على مراكب الفرنج..(٥)

(١)انظر الكامل ج٨ بين عسكر و الروم ..

(٢)المرجع السابق حوادث سنة أربع وتسعين وأربعمائة ..

(٣)المرجع السابق..

(٤)انظر إتعاظ الحنفا ج ٣ حوادث سنة أربع وتسعين وأربعمائة..

(٥)المرجع السابق سنة ثلاث وخمسمائة..

وروى: جهز أبو منصور علي بن إسحاق، المعروف بالعادل ابن السلار، المراكب الحربية بالرجال والعدد، وسيرها في ربيع الأول إلى يافا، فأسرت عدةً من مراكب الفرنج، وأحرقوا ما عجزوا عن أخذه..

وقتلوا خلقا كثيرا من الفرنج بها، ثم توجهوا إلى ثغر عكا فأنكوا فيهم، وساروا منه إلى صيدا وبيروت وطرابلس فأبلوا بلاءً حسناً ، وظفروا بجماعة من حجاج الفرنج فقتلوهم عن آخرهم..(١)

وروى: خرج العسكر من القاهرة لحفظ ثغر عسقلان من الفرنج..(٢)

وروى: فأخذ الصالح في النفقة على طوائف العسكر، وكان جملة ما أنفقه فيها مائة ألف دينار. فلما تكامل تجهيزهم سير خمس شوال في الخامس من شعبان، فتوجهت لسواحل الشام، وظفرت بمراكب من مراكب الفرنج وعادت بكثير من الغنائم والأسرى في الثاني والعشرين من رمضان..(٣)

هذا هو حال الفاطميين مع الصليبيين حتى ظهر آل زنكي وتصدوا لهم وملكوا الشام وبدأت الدولة الفاطمية تضعف حتى سقطت في قبضة الأيوبيين عام ٥٦٧ هـ..

(١)انظر المرجع السابق حوادث سنة ست وأربعين وخمسمائة..

(٢)انظر المرجع السابق حوادث سنة ثمان وأربعين وخمسمائة..

(٣)انظر المرجع السابق حوادث سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة..

- شاور وضرغام

وسوف نعرض هنا لقصة شاور الذي تعاون مع الصليبيين واستند على موقفه في الطعن على الفاطميين..

والقصة تبدأ في عام ٥٥٨ هـ وبعد مصرع الصالح طلائع الرجل القوي في جهاز الحكم الفاطمي في عهد الخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين ، تولى الوزارة من بعده

ولده زريك الذي لقب بالعادل وسار على نفس سيرة والده الحازمة في مواجهة الانحرافات والفساد داخل جهاز الدولة..

وكان أن تصدى العادل لنفوذ شاور الذي كان والياً على الصعيد وأراد عزله ،فسار شاور بجيشه نحو القاهرة وفر العادل من أمامه ،وظفر به شاور وقتله وأقامه العاضد مكانه في الوزارة ولقب نفسه بأمير الجيوش وكان سافكاً للدماء مكروهاً ..(١) إلا أن الجو لم يصفو لشاور فقد ظهر في مواجهته رجل قوي وهو الأمير ضرغام من أتباع زريك ونازع شاور ،ودارت بينهما معارك انهزم فيها شاور وفر إلى الشام..

وهناك أطمع نور الدين محمود في غزو مصر فجهز معه شيركوه وصلاح الدين والعساكر عام ٥٥٨ هـ..

ودارت معارك انتهت بهزيمة ضرغام ومقتله ليدخل شاور القاهرة ثانية تحت راية الأيوبيين آل زنكي..

ثم حدث خلاف وصدام بين شاور وشيركوه قام شاور على أثره بالاتصال بالإفرنج التي قدمت وحاصرت القاهرة ،وفر منها أسد الدين شيركوه وصلاح الدين ،وعاد شاور إلى القاهرة للمرة الثالثة تحت راية الصليبيين..

وأقام بها على عادته بظلم الناس وقتلهم ومصادرة أموالهم ولم يبق للعاضد معه أمر ولا نهي..

وهو ما دفع بالعاضد إلى أن يلجأ لنور الدين محمود و أرسل إليه يستنجده فعاد شيركوه إلى مصر وانهزم الفرنج وقتل شاور بعد أن أحرق الفسطاط ونقض العهد مع شيركوه..

(١) يشير ابن تغري بردي إلى أن العاضد هو قاتل طلائع بقوله: ثم قتل العاضد طلائع بن رزّيك ووزر له شاور؛ فكان سبب خراب دياره ،انظر النجوم الزاهرة ج٥ ذكر ولاية العاضد، وقيل أن عمة العاضد هى التي حرضت على قتله وتم قتلها خنقاً ..

وروى ابن شداد أن الدّين الْقَاهِرَة سَنَة الآخر اجْتمعَ بالعاضد خَليفَة مصر فَخلع عَلَيْهِ وأكرمه وأجريت عَلَيْهِ وعَلى عساكره الجرايات الْكَثِيرَة والإقامات

وَلم يمُكن شاور المُنع من ذَلِك لأنَّهُ رأى العساكر بظَاهِرَة الْبَلَد وَرَأى هوى العاضد مَعَهم من دَاخله..

فَلم يظهر مَا فِي نَفسه فكتمه وَهُوَ يماطل أَسد الدّين فِي رتبة مَا كَانَ بذل لَهُ من المَال والإقطاع للعساكر وإفراد ثلث الْبِلَاد لنُور الدّين وَيركل يَوْم إِلَى أَسد الدّين ويسير مَعَه ويعده ويمنيه {وَمَا يَعِدُهُم الشَّيْطَان إِلَّا غُورًا}

ثمَّ إِنَّه عزم على أَن يعْمل دَعْوَة لأسد الدّين وَمن مَعَه من الأَقْبَاض وَعَلَيْهِم فَنَهَاهُ ابْنه الْكَامِل وَقَالَ لَهُ وَالله لَئِن عزمت على هَذَا الأَمْر لأعرفن أَسد الدّين..

فَقَالَ وَلَهُ اللَّهُ أَبُوكَ: لم أفعل لَنَقْتُلَنَّ جَمِيعًا..

فَقَالَ: لأَصدقت نقتل وَنحن مُسلمُونَ والبلاد بيد الْمُسلمين، خير من أَن نقْتل وَقد ملكهَا الفرنج، بَيْنك وَبَين عود الفرنج إِلَّا أَن يسعوا بِالْقَبْضِ على شركوه وَحِينَئِذٍ لَو مَشى العاضد إِلَى نور الدّين لم يُرْسل رِفَاقًا وَحَدًّا وَيملك الْبِلَاد فَترك مَا كَانَ عزم عَلَيْهِ..

فَلَمَّا رأى الْعَسْكَر النُّوري المطل من شاور اتّفق صَلَاح الدّين يُوسُف وَعز الدّين جرديك وَغَيرهمَا على قتل شاور وأعلموا أَسد الدّين بذلك فنهاهم..

إِنَّا لَيَفْسَقَ الُوالنا فِي الْبِلَاد شَيْء مهما هَذَا عَلَى حَاله فَأنْكر ذَلِكَ اتفق أَن أَسد الدّين سَار بعض الأَيَّام إِلَى زِيَارَة قبر الشَّافِعِي، وَقصد شاور عسكره على عَادَته فَاجْتَمَعَ بِهِ صَلَاح الدّين وَعز الدّين جرديك ومعهما جمع الْعَسْكَر فخدموه وأعلموه أَن أَسد الدّين فِي الزِّيَارَة..

فَقَالَ لَهُ: فَسَار وهما مَعَه قَلِيلا ثمَّ ساوروه وألقوه عَن فرسه فهرب أَصْحَابه وَأخذ لم يمكنهم قَتله بِغَيْر أَمر أَسد الدّين فسجنوه فِي خيمة وتوكلوا بحفظه، فَعلم أَسد الدّين الْحَال فَعَاد مسرعاً..

وَلم يكن إِلا قَلِيل من الْأَيَّام مَا عملوه وَأرْسل العاضد لدين الله صَاحب مصر فِي قَلت إِلَى أَسد الدّين يطْلب مِنْهُ رَأس شاور ويحثه على قَتله ،وتابع الرُّسُل بذلك فَقتل شاور فِي يَوْمه وَهُوَ سَابع عشر ربيع الآخر..

وَحمل رَأسه إِلَى الْقصر وَدخل أَسد الدّين الْقَاهِرَة فرأى كَثْرَة الْخلق واجتماعهم مَا خَافَ مِنْهُ على نَفسه..

فَقَالَ لَهُم الْمُؤمنين قد أَمركُم بِنَهْب دَار شاور فقصدها للنَّهب فَتَفَرَّقُوا عَنهُ هَذَا قَول ابْن الْأَثِير..

وَقَالَ ابْن شداد: أَسد الدّين رَدَّ الْأَمَان والأكفان وعدهم بِمَال فِي مُقَابلَة مَا خسروه من النَّقْلَة وَوصل إِلَيْهِم شَيْئا وعلقت الْأَخْبَار الْبِلَاد وَعلم أَن الفرنج مَتى وجدوا فرصَة أخذُوا الْبِلَاد..

وَأَن ترددهم إِلَيْهَا فِي كل وَقت لَا يُفِيد، وَأَن شاور لَا يَصْلُح بِهَا لَا أُخْرَى وملاكها قد كَانُوا على الْبِدْعَة الْمَشْهُورَة عَنْهُم فَلم نُؤْمن أَن يلاسْتِيلَاء على الْبِلَاد مَعَ بَقَاء شاور فَأَجْمعُوا أَمرهم على قَبضه إِذا خرج إِلَيْهِم..

وَكَانُوا يُرَاسِلُونَ إِلَى خدمته دون أَسد الدّين هُوَ يخرج فِي الْأَحْيَان إِلَى أَسد الدّين يجْتَمع بِهِ كَانَ يركب على قَاعِدَة وزرائهم بالطبل وَالْعلم فَلم يتجاسر على قَبضه مِنْهُم إِلَّا السُّلْطَان نَفسه يعْنِي صَلَاح الدّين ذَلِك أَنه لما سَار إِلَيْهَا لم تَلقاه أَكْبَرهَا وَسَار إِلَى جَانبه وَأخذ بتلابيبه..

وَأمر الْعَسْكَر أَن خُذُوا على أَصْحَابه فَفرُّوا ونهبهم الْعَسْكَر وَقبض على شاور وَأنزل إِلَى خيمة وَمنع الرِّجَال جَاءَ التوقيع من المصريين على يَدَيْهِ ضَرَبَ لَا تَقُول لَا سبه وَحمزة على عَادَتهم فِي وزرائهم فِي تَقْرِير قَاعِدَة: قوى مِنْهُم على صَاحبه فحزت رقبته وأنفذ رَأسه إِلَيْهِم..

وَقَالَ الْعَوَامّ دخل أَسد الدّين فِي الرَّابِع من شهر ربيع الآخر لإيوان وخعُلَيْهِ وَلَقِي الإِحْسَان وتودد شاور إِلَى أَسد الدّين وتودد بينهما من الودا تَأَكد وَأَقَام للعسكر الضيافات الْكَثِيرَة والأطعمة الواسعة والحلاوات والميرة..

فَقَالَ صَلَاح الدّين يطول وَمَسْأَلَة فَرضهَا يُعول معنا هَذَا الْعَسْكَر الثقيل وإقامته بِالإِقَامَةِ يقصر عَنْهَا الأمد الطَّوِيل لَا أَعنِي الْمَسْتَشَار لَا سِيَّمَا إِذا فنفاق أَسْمَاء الدّين الْفَقِيه عِيسَى إِلَى شاور يُشِير بِهِ بالاحتراس..

وَقَالَ الْخَلِيفَة عَلَيْك من عِنْدِي من النَّاس فَلم يكترث بلقاو ركب على سَبِيل انبساط الْخَلِيفَة رصالَاح الدّين فِي الأُمُور الَّتِي عَادَته فِي هَيْئَته الوزيرية وشحته وَقَبضه وأثبته..

ووكل بِهِ فِي خيمة ضربهَا لَهُ وحاول إمهاله من الْقصر من يطْرَأسه ويعجل من الْعُمَرَجِأَسله الرَّسُول بعد الرَّسُول ،وأبوا أَنْ يجيبوا إِلَّا بنجح الرَّسُول فَحم حمامه وَحمل إِلَى الْقصر هامه..

قلت وَبَلغنِي أَن الَّذِي بَاشر حز رَقَبَة شاور هُوَ عز الدّين جرديك كَانَ صلَاح الدّين لما لقيه فِي اصحابه سوَالَأَر بجلبه بإفراده عَلَى الْعَسْكَر التمس من الْمُسَابقَة بفرسيهما فَأَجَابَهُ وَوَافَقَهُمَا فِي ذَلِك جُرديك كَذَا ذَلِك عَن أَمر قد تقرر فحركوا خيلهم فَلَمَّا بعدوا عَن الْعَسْكَر ووقفوا قبض صَلَاح الدّين و جرديك على شاور وَأدْخل الْخَيْمَة..(١)

(١)انظر عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية جفصل في الْقَبْض على شاور وَقَتله ،وراجع أحداث عام ٥٦٢ هـ في المواعظ ورابتدعلا وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة لتعرف تفاصيل قصة شاور مع صلاح الدين..

وروى ابن الأثير في حوادث السنَّة ٥٦٤ فيه: أَوَائِل ذِي الْقَعْدَة قُتِلَ خَصِيٌّ كَانَ بِمِصْرَ مِنَ الْخُلَّاصِ الْعَاضِدِ ، إِلَيْهِ الْحُكْمُ فِيهِ ، وَالتَّقَدُّمُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ

جَمَاعَةٌ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ فَتَّفَقَ مُكَاتَبَةَ الْفِرِنْجِ وَاسْتِدْعَائِهِمْ إِلَى الْبِلَادِ ، وَهُمْ عَلَى التَّقَلُّبِ الدِّينِ وَمَنْ مَعَهُ ..

وَكَانَ مَقْصُودُ مُؤْتَمَنِ الْخِلَافَةِ أَنْ يَتَحَرَّكَ فَيَخْرُجَ لِلْإِيَارَةِ الْمَفْطِذْرِوَّ وَصَلُوا إِلَيْهَا وَخَرَجَ صَلَاحُ الدِّينِ فِي الْعَسَاكِرِ إِلَى قِتَالِهِمْ فَلَمَّا وَقَعَ بِهِ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ عَلَى مَخَالَفِيهِمْ فَيَقْتُلُونَهُمْ ..

ثُمَّ يَخْرُجُونَ بِأَجْمَعِهِمْ يَتَّبِعُونَ صَلَاحَ الدِّينِ فَيَأْتُونَ مُرَاءِ ظَهْرِهِ الْفِرِنْجِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَا يَبْقَى لَهُمْ بَقَاءٌ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ أَكَلَ كِتَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ: يَهُودِيٌّ ، حَضَرَ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ وَتَقْرِيرِهِ ، فَابْتَلَعَ وَأَمَرَ أَوَّلَ أَخْبَرَ خَفَوَى أَصَلَاحُ الدِّينِ الْحَالَ ..

فَلَمَّا عَلِمَ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَيْهِ جَمَاعَةً فَأَخَذَ وَقُتِلُوهُ أَتَبَوْ أَسْهِ ..(١)

هذه هي قصة تعاون الفاطميين مع الصليبيين التي ضخمها المؤرخون واعتمدوا عليها في تشويه الفاطميين ، وهي على ما تبدو مسألة صراع سياسي لا صلة له بالعقيدة..

وها هو الخليفة العاضد ممثل الدولة يستنجد بنور الدين السني لينقذ بلاده من شاور والإفرنج الصليبيين..

ثم إنه بعد أن تم له التخلص من خطر الإفرنج وشاور خلع على شيركوه الوزارة مع أنه سني وتوفي شيركوه بعد فترة قصيرة فنصب الخليفة من بعده صلاح الدين وزيراً ..

إلا أن صلاح الدين بعد أن تخلص من مؤتمن الخلافة تآمر على العاضد حتى قضى عليه وعلى عائلته و أنهى حكم الفاطميين في مصر على ما سوف يأتي..

ولم يكتف خصوم الشيعة باتهامهم بالخيانة والعمالة للصليبيين فألصقوهم بالقرامطة المجرمين..

(١) انظر الكامل ج٩ السودان بمصر ..

لكن حقائق التأريخ تكذب هذا الادعاء..

سَارَ الْقَوْمُ أَيَّامًا قَلِيلَةً، وَمُقَدَّمُهُمُ الْحَسَنُ بْنُ أُحَيْمَدَ الْأَسْعَدِ، إِلَى دِيَارِ
مِصْرَ فَحَاصَرَهَا، وَلَمَّا سَمِعَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ بِأَحْمَدَ طَلَبَهُ يُرِيدُ قَصْدَ مِصْرَ تَرَكَ
كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ فَضْلَ نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ..
وَأَنَّ الدَّعْوَةَ وَاحِدَةٌ، وَأَنَّ الْقَرَامِطَةَ إِنَّمَا أَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِقْلِيمِهِ، وَوَعَظَهُ
وَبَالَغَ، وَتَهَدَّدَهُ، وَسَيَّرَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ ..
وَجَوَابُهُ: وَصَلَ كِتَابُكَ الَّذِي قَلَّ تَحَصُّلُهُ وَكَثُرَ فَضُولُهُ، وَنُرُونَ إِلَيْكَ عَلَى
أَثَرِهِ، وَالسَّلَامُ ..
حَتَّى وَصَلَ إِلَى مِصْرَ، فَنَزَلَ عَلَى عَيْنِ شَمْسٍ، وَكَثُرَ الْقِتَالُ وَبَعَثَ
رَايَاتِهِ فِي الْبِلَادِ يَدْعُونَهَا فَكَثُرَتْ جُمُوعُهُ، وَلَمْ يَبْقَ كَثِيرٌ مِمَّنْ أَتَاهُ
حَسَّانُ بْنُ الْجَرَّاحِ الطَّائِيُّ، أَمِيرُ الْعَرَبِ، بِالشَّامِ مَعَهُ جُمُوعٌ عَظِيمٌ ..
فَلَمَّا كَثُرَ أَتَى الْمُعِزَّ وَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ وَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى إِخْرَاجِ
الْعَسْكَرِ لِقِتَالِهِ، فَاسْتَشَارَ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَصْحَابِهِ ..
فَقَالُوا: لَيْسَ حِيلَةٌ غَيْرَ السَّعْيِ فِي تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْجَمْعِ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ
إِلَّا بِابْنِ الْجَرَّاحِ، فَرَاسَلَهُ الْمُعِزُّ وَاسْتَمَالَهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ وَخِلَافِ عَلَى
الْقَرْمَطِيِّ، فَأَجَابَهُ ابْنُ الْجَرَّاحِ إِلَى مَا طَلَبَ مِنْهُ، فَحُمِلَ إِلَيْهِ
الْمَالُ الْمُقَرَّرُ انْهَزَمَ بِالنَّاسِ ..
وَحَضَرُوا الْمَالَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ اسْتَكْثَرُوهُ وَأَكْثَرُوا فِيهِ مِنْ صُوَرِ الْبَسُوهَا
الذَّهَبَ، وَجَعَلُوهُ فِي الْأَكْيَاسِ، وَجَعَلُوا النَّبَّاهَ الْخَلَّاصِيَّ وَسِهَامًا، لَ
إِلَيْهِ ..
أَرْسَلَ إِلَى الْمُعِزِّ أَنْ يَخْرُجَ فِي عَسْكَرِهِ وَكُوَفَقَاتِهِ فَإِنَّهُ
يَنْهَزِمُ، فَفَعَلَ الْمُعِزُّ فَانْهَزَمَ وَتَبِعَهُ، فَكَانَ الْقَرْمَطِيُّ مُنْهَزِمًا
بَّرَ فِي أَمْرِهِ، وَثَبَتَ، وَقَاتَلَ بِعَسْكَرِهِ ..

لاَّ أَنَّ عَسْكَرَ الْمُعِزِّ طَمِعُوا فِيهِ وَتَابَعُوا الْخَيْلَ مِنْ عَلَكُلٍّ فَأَرْهَقُوهُ، فَوَلَّى
زِمًا، وَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ، وَظَفِرُوا بِمُعَسْكَرِهِ وَأَخَذُوا مِنْ أَسْفَرِي، وَكَانَ نَحْوَ أَلْفِ
سْمِائَةِ أَسِيرٍ، فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَنُهِبَ مَا فِي عَسْكَرِ..

وَجُرِّدَ الْأَبُو مُحَمَّدُ الْقَدِّ بْنُ إِبْرِيلَهَنِ فِي جَعْفَرٍ رَجُلٍ آلاَ، وَأَمَرَهُ بِاتِّبَاعِ
طَةِ بِهِمْ، فَاتَّبَعَهُمْ، وَتَثَاقَلَ فِي سَيْرِهِ وَخَافَ أَنْ يَلْقَوْا، وَطَأَهُمْ فَإِنَّهُمْ
نَزَلُوا أَذْرِعَاتٍ، وَسَارُوا مِنْهُمْ إِلَى بَلَدِ الأَسْحَاءِ..(١)

(١)انظر الكامل في ٧ حوادث سنة ٣٦٣ هـ بين المعز لدين الله العلوي القطة..

– تسامح الفاطميين

ولقد سجل على الفاطميين تسامحهم مع أصحاب الديانات الأخرى واستعانوا في الحكم بالعديد منهم، وهو ما فتح الباب لخصومهم للطعن فيهم والتشكيك فب معتقداتهم..

وقد استعان العديد من الخلفاء والسلاطين بعناصر غير مسلمة وعلى رأسهم صلاح الدين، فلماذا سكتوا عن هؤلاء وأمسكوا في الفاطميين..؟

لقد قدم لنا الفاطميون التطبيق العملي لفكرة المواطنة التي تقدم الكفاءات لخدمة الوطن دون اعتبار لمعتقدها..

والفاطميون على الرغم من نجاحهم في تحويل المصريين من السنة إلى الشيعة لم يضطهدوا المذهب السني . بل كان له وجوده ونشاطه كما أشرنا..

حتى أن عناصر من السنة وفقهاء من المالكية والشافعية تولوا مناصب في الدولة مثل القاضي أبي عبد الله القضاعي الشافعي.. (١)

وروى لنا ابن خلدون قصة الوزير السني رضوان الذي انقلب على الدولة الفاطمية:

واستقرّ رضوان في الوزارة ولقّب بالأفضل وكان سنيّا، وكان أخوه إبراهيم إماميّا، فأراد الاستبداد وأخذ في تقديم معارفه سيفا وقلما..

وأسقط المكوس وعاقب من تصدّى لها، فتغيرّ له الخليفة فأراد خلعه، وشاور في ذلك داعي الدعاة وفقهاء الإمامية فلم يعينوه في ذلك بشيء..

وفطن له الحافظ فدسّ خمسين فارسا ينادون في الطرقات بالثورة عليه، وينهضون باسم الحافظ فركبوقته هاربا منتصف شوّال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ونهبت داره، وركب الحافظ وسكن الناس، ونقل ما فيها إلى قصره..

وسار رضوان يريد الشام ليستنجد الترك، وكان في جملته شاور وهو من مصطفيه، وأرسل الحافظ الأمير بن مضيال ليردّه على الأمان فرجع، وحبس في القصر ،فنقب الحبس وهرب إلى الجيزة..

(١)انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٥ سنة أربع وخمسين وأربعمائة،وتوفي فيها القضاعي، القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصري، الفقيه الشافعي، قاضي الدّيار المصرية، ومصنّف كتاب، وجاء في المختصر في أخبار البشر ج٢ : تولى قضاء مصر من جهة الخلفاء العلويين مصريين، وتوجهمنهم رسولاً إلى جهة الروم، وانظر العبر في خبر من غبر ج٢ سنة أربع وخمسين رأربعمائة..

وجمع المغاربة وغيرهم ورجع إلى القاهرة فقاتلهم عند جامع ابن طولون وهزمهم، ثم دخل القاهرة ونزل عند جامع الأقمر..

وفي خلال ذلك وضع الحافظ عليه جمعاً كثيراً من السودان فحملوا عليه وقتلوه وجاءوا برأسه إلى الحافظ..(١)

وعاش الفقيه أحمد بن محمد السلفي الشافعي في الأسكندرية أيام الفاطميين يعلم ويروي وتوفي بها سنة ٥٧٦هـ..(٢)

وروى الذهبي عن الميانجي القاضي: أبو بكر يوسف بن القاسم الشافعي، المحدّث، نزيل دمشق، ناب في القضاء مدة، عن قاضي قضاة بني عبيد، أبي الحسن علي بن النعمان، وحدّث عن أبي خليفة الجمحي، وعبدان، وطبقتهما. ورحل إلى الشام والجزيرة وخراسان والعراق، وتوفي في شعبان، وقد قارب التسعين.(٣)

ولو كان الفاطميون باطنية وزنادقة ويضمرون العداء للإسلام والمسلمين كما يدعون فلماذا تسامحوا مع المذاهب الأخرى وهي واقعة في دائرة نفوذهم..؟

روى المقريزي لما توفيّ الامام الظاهر بأمر الله بويع ابنه جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله بويع يوم مات والده ولما بويع البيعة العامّة ركب المنصور ركوباً ظاهراً وتمسّر على هذه الحالة مدّة طويلة لا يختفي في ركوبه من الناس..

وأظهر من العدل وحسن السيرة أضعاف ما أظهره والده وأفاض من الصدقات ما أربى على من تقدّمه وتقدّم بإنشاء مدرسته المعروفة بالمستنصرية التي لم يعمّر في الدنيا مثلها فعمّرت على أعظم وصف في صورتها وآلاتها واتساعها وزخرفها وكثرة فقهائها ووقوفها. ووقفها على المذاهب الاربعة ورتّب فيها اربعة مدرسين في كل مذهب مدرّسا وثلاثمائة فقيه..

(١)انظر تأريخ ابن خلدون ج٤ وزارة بهرام ورضوان بعده ،وانظر إتعاظ الحنفا ج٣ سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.، والكامل إحدى وأربعين وثلاثمائة وخمسمائة ..

(٢)انظرترجمته في تذكرة الحفاظ ووفيات الأعيان وشذرات الذهب وطبقات الشافعية وقال القلقشندي في صبح الأعشى : إن مذهبي مالك والشافعي ظاهري الشعار في زمن الفاطميين..

(٣)انظر العبر ج٢ سنة ست وسبعين وثلاثمئة..

لكل ّ مذهب خمسة وسبعون فقيها. ورتّب لهم من المشاهرات والخبز. والطعام في كل يوم ما يكفي كل فقيه ويفضل عنه وبنى لهم داخل المدرسة حمّاما خاصا للفقهاء وطبيبا خاصا يتردّد إليهم في بكرة كل يوم يفتقدهم ومخزنا فيه كل ما يحتاج اليه من انواع ما يطبخ من الاطعمة ومخزنا آخر فيه انواع الاشربة والادوية..(١)

وروى القلقشندي كانوا يتألّفون أهل السّنّة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك بذكر الصحابة، ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشّعار في مملكتهم، بخلاف مذهب أبي حنيفة، ويراعون مذهب مالك، ومن سألهم الحكم به أجابوه..(٢)

قال الدكتور عبد المنعم الماجد : لا بد لنا أن نقر أن الدعوة – الشيعية – أيام المستنصر نجحت إلى حد لم يسبق لها . وأن المسلمين من غير الشيعة والقبط . كانوا يتمتعون بحريتهم المذهبية والعقيدية إلى حد كبير.. (٣)

وقال الدكتور حسن إبراهيم حسن عن العزيز بالله : وكان كريماً محباً للعفو واشتهر بالتسامح الديني وكان يعطف على اليهود والنصارى..(٤)

(١)انظر تأريخ مختصر الدول ج١ ترجمة المستنصر بن الظاهر..

(٢)انظر صبح الأعشى ج٣ الجملة السادسة في اهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور واعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم في رعاياهم، واستمالة قلوب مخالفيهم..

(٣)انظر الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه..

(٤)انظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي..

وقدم لنا المقريزي نموذجاً آخر من فقهاء السنة الذين عاشوا في كنف الدولة الفاطمية وتولوا المناصب فيها ثم انقلبوا عليها..

روى عن عبد الرحيم علي بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي الفاضل محيي الدين أبو علي ابن القاضي الأشرف اللخمي العسقلاني البيلي المصري الشافعي، كان أبوه يتقلد قضاء مدينة بيسان، فلهذا نسبوا إليها..

وكانت ولادته بمدينة عسقلان في خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، ثم قدم القاهرة وخدم الموفق يوسف بن محمد بن الجلال، صاحب ديوان الإنشاء في أيام الحافظ لدين الله، وعنه أخذ صناعة الإنشاء..

ثم خدم بالإسكندرية مدة، فلما قام بوزارة مصر العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك، خرج أمره إلى والي الإسكندرية بتسييره إلى الباب، فلما حضر استخدمه بحضرته وبين يديه في ديوان الجيش..

فلما مات الموفق بن الجلال في سنة ست وستين وخمسمائة، وكان القاضي الفاضل ينوب عنه في ديوان الإنشاء، عينه الكامل بن شاور وسعى له عند أبيه الوزير شاور بن مجير، فأقره عوضا عن ابن الجلال في ديوان الإنشاء..

فلما ملك أسد الدين شيركوه احتاج إلى كاتب فأحضره، وأعجبه اتقائه وسمته ونصحه، فاستكتبه إلى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب، فاستخلصه وحسن اعتقاده فيه، فاستعان به على ما أراد من إزالة الدولة الفاطمية حتى تم مراده..

فجعله وزيره ومشيره، بحيث كان لا يصدر أمراً إلا عن مشورته، ولا ينفذ شيئاً إلا عن رأيه، ولا يحكم في قضية إلا بتدبيره، فلما مات صلاح الدين استمر على ما كان عليه عند ولده الملك العزيز عثمان في المكانة والرفعة، وتقلد الأمر..

فلما مات العزيز وقام من بعده ابنه الملك المنصور بالملك ودبر أمره عمه الأفضل، كان معهما على حاله إلى أن وصل الملك العادل أبو بكر بن أيوب من الشام لأخذ ديار مصر..

وخرج الأفضل لقتاله، فمات منكوباً أحوج ما كان إلى الموت عند تولى الإقبال وإقبال الإدبار في سحر يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة، ودفن بتربته من القرافة الصغرى..

قال ابن خلكان :وزر للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب..(١)

قُبِضَ وَرَوَى ابن الأثير: عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَازُورِيِّ، عَلَيْهِ أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ وَمَدَاكَلَةٌ بَاتٌ إِلَى بَغْدَاذَ.. كَانَ يَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَانَ قَائِمًا بِالْقَدَاءِ، وَكَرِمَ الْمُحْسِنُ إِلَيْهِمْ بِالسُّهُمْ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ كَابْتِدَاءِ مَرْأَسِ الرَّأْسِ: الشَّهَادَاتُ وَالْقَضَاءُ كَانَتْ لَهُمَا مُتَّفِقَةً، وَنِهَايَتُهُمَا مُتَقَارِبَةً..(٢)

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٤ ذكر المدارس..

(٢)انظر الكامل ج٨ سنة ٥٦٠ وأربعمائة هـ..

– شهادات

قال الدكتور محمد كامل حسين : في العصر الفاطمي نرى تطوراً جارفاً في الحياة الفكرية ولا سيما في العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفنونها . إذ ازدهرت هذه العلوم ورعاها الخلفاء الفاطميون ..

بل كان هؤلاء الخلفاء من العلماء المبرزين في بعض هذه العلوم ، وخاصة في الإلهيات والفلك..

وقد اهتم الفاطميون برصد النجوم واهتموا بعلماء الرياضيات اهتماماً خاصاً ،كما اهتموا بالشعر واتخذوه وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية..

وكان الفاطميون أساتذة فن الدعاية واتخذوا لها كل الوسائل الممكنة في عصرهم وجندوا للدعاية كل من يفيدهم في هذا المضمار . .

ولا أكاد أعرف دولة من الدول الإسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد ، أو اهتمت بهم هذا الاهتمام ،فلا غرو إذا إن ازدهر الشعر المصري ازدهارا لم يعرف من قبل.. (٢)

وقال الدكتور عبد المنعم الماجد : ويرجع الفضل إلى الفاطميين في خلق أهمية مركز مصر الدولي للتجارة ، إذ أنهم عرفوا مزايا الموقع الجغرافي لمصر في مفترق القارات لتربط بين عالمين ولكي يسهل الفاطميون نقل التجارة بين الشرق والغرب، فتحوا القنال بين النيل والبحر الأحمر وهو ما عرف في عهد المستنصر بالخليج الحاكمي نسبة إلى الحاكم بأمر الله.. (١)

وقد ذكر الرحالة ناصر خسرو عندما مر بمصر في تلك الفترة : أن المصريين كانوا في حالة حسنة جداً ،وأنه رأى أموالاً يملكها بعض المصريين لو ذكرها أو وصفها لما صدقه أحد ، فهي لا تقع تحت تحديد أو حصر ، وهي للنصارى والمسلمين على السواء..

(١) انظر الحياة الفكرية والأدبية بمصر..

وذكر أيضاً : وقد رأيت الأمن والعدل فيما رأيت من بلاد العرب والعجم في أربعة مواضع : الأول بالدشت أيام نشكر خان ، والثاني بالديلم أيام أمير الأمراء جستان بن إبراهيم ، والثالث بمصر أيام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، والرابع بطبس أيام الأمير أبي الحسن بن محمد ، فلم أسمع على كثرة ما سافرت بهذه الجهات عن الأمن ولم أره.. (١)

إن القارئ المتتبع لتاريخ الفاطميين يظهر له التناقض الواضح في مواقف المؤرخين من خلفائهم، ففي الوقت الذي يتهمهم فيه المؤرخون بالزيغ والضلال وفساد العقيدة وينفون نسبهم لأهل البيت وينعتونهم بالعبيديين، نسبة إلى عبيد الله المهدي مؤسس الدولة في بلاد المغرب..

هذا الموقف العدائي نجد أمامه موقف آخر يحمل المدح والثناء على لسان نفس المؤرخين لخلفاء الفاطميين..

قال ابن الأثير : وكان المعز عالماً فاضلاً جواداً شجاعاً جارياً على منهاج أبيه من حسن السيرة وا إنصاف الرعية،وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة ، ثم أظهره وأمر الدعاة بإظهاره إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به..(٢)

وقال عن العزيز بالله : كان يحب العفو ويستعمله ،وكان حليماً كريماً شجاعاً وفيه رفق بالرعية.. (٣)

(١)انظر سفر نامه..

(٢) انظر الكامل المجيد لدين الله العلوي وقوانين الزيغ بالله وستين وثلاثمائة ..

(٣) انظر الرجوع والمسافة العزيزية بالله ست وثمانين وثلاثمائة ..

وقال ابن تغري بردي: هو نزار أبو منصور العزيز بالله بن المعزّ لدين الله أبي تميم معدّ بن المنصور بالله أبي طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدىّ أبي محمد عبيد الله العبيدىّ الفاطمىّ المغربىّ ثمّ المصرىّ، ثانى خلفاء مصر من بنى عبيد، والخامس من المهدىّ إليه ممّن ولى من آبائه الخلافة بالمغرب..

مولده بالمهديّة من القيروان ببلاد المغرب فى يوم عاشوراء سنة أربع وأربعين، وقيل: سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة..

وخرج مع أبيه المعزّ من المغرب إلى القاهرة ودام بها إلى أن مات أبوه المعزّ معدّ بعد أن عهد إليه بالخلافة، فولى بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين وثلثمائة وله اثنتان وعشرون سنة، وملك مصر وخطب له بها وبالشام وبالمغرب والحجاز، وحسنت أيّامه..

وكان القائم بتدبير مملكته مولى أبيه جوهرا القائد. وكان العزيز كريماً شجاعاً سيوساً، وفيه رفق بالرعيّة..(١)

وقال المسبحي: وأبو منصور العزيز بالله بن المعزّ بالله أبي تميم معدّ بن المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمّد بن العبيدىّ إنهم علويّون فاطميّون، وهذا هو صاحب مصر والشام والمغرب، ووالد الحاكم، ولىّ المملكة بعده، ولد في ربيع الآخر سنة خمس وستّين وثلاثمائة، وله إحدى وعشرون سنة. وكان كريماً شجاعاً، حسن الصّفح..

قال المسبحي: وفي أيامه بُني قصر البحر بالقاهرة الّذي لم يكن مثله في شرق ولا غرب، وقصر الذّهب، وجامع القرافة. وكان أسمر، أصهب الشّعرين، أشهل، بعيد ما بين المنكبين، حسن الخلق، قريباً من الناس، لا يؤثر سفك الدّم، وكان مغرًى بالصّيد، ويتصيّد السّباع، وكان أديباً فاضلا..(٢)

(١)انظر النجوم الزاهرة ج٤ ذكر ولاية العزيز نزار على مصر..

(٢)انظر تأريخ الإسلام وفيات سنة ست وثمانين وثلاثمائة..

وقال المقريزي:وكان المعز عارفاً بالأمور، مطلعاً على الأحوال بالذكاء، وكان يضرب في فنون منها النجامة، فرتب في القصر ما يحتاج إليه الملوك بل الخلفاء، بحيث لا يراهم العيان في النقلة من مكان إلى مكان، وجعل لهم في ساحاته البحر والميدان والبستان، وتقدم بعمارة المصلى ظاهر القاهرة لأهلها، لخطبتهم فيها والصلاة في عيدي الفطر والنحر، والآخر بالقرافة لأهل مصر..(١)

وقال تغري بردي: وكان المعز رجلاً عادلاً عاقلاً حازماً لبيباً فصيحاً شاعراً وله شعر جيد..(٢)

وقال ابن الأثير عن الخليفة الظاهر لدين الله : وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية..

وتولى من بعد الظاهر المستنصر بالله وكان الحاكم في دولته بدر بن عبد الله الجمالي الملقب بالأفضل أمير الجيوش وكان عادلاً حسن السيرة.. (٣)

وقال ابن خلكان عن الظاهر : توفي آخر ليلة الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة رحمه الله..(٤)

وقال ابن تغري بردي عن وفاة العاضد:كان لموته بمصر يوم عظيم إلى الغاية، وعظم مصابه على المصريّين إلى الغاية، ووجدوا عليه وجداً عظيماً لاسيّما الرافضة،فإنّ نفوسهم كادت تزهق حزنا لانقضاء دولة الرافضة من ديار مصر وأعمالها..(٥)

(١)انظر إتعاظ الحنفا ج١ ذكر بناء القاهرة..

(٢)انظر النجوم الزاهرة ج٤ ذكر ما قيل في نسب المعزّ وآبائه..

(٣)انظر الكامل في التاريخ ج٧ ذكر ولاية ابن مصدق على عسقلان بمعاينة ..

(٤)انظر وفيات الأعيان جـ ٣ رقم الترجمة ٤٥٥ ، كما ترجم للمستنصر أيضاً ،انظر جـ ٤ رقم الترجمة ٦٩٩ ،كذلك أثنى على الصالح طلائع ، انظر جـ ٢ رقم الترجمة ٢٨٨

(٥)انظر النجوم الزاهرة ج٥ ذكر ولاية العاضد..

وقال طيلاح الدين: مَن العاضد، سألته لِمَ قدَّام الفرج على دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها..(١)

وقال عنه ابن كثير: وكان العاضد كريماً جواداً سامحه الله.. (٢)

وكما أن المؤرخين أثنوا على الخلفاء الفاطميين ، أثنوا أيضاً على وزرائهم وقادة جيوشهم..

قال ابن كثير عن جوهر الصقلي فاتح مصر وباني القاهرة: ظهر الإحسان إلى الناس، ويجلس كل يوم سبت مع الوزير ابن الفرات والقاضي، وهذا في تكميل القاهرة وفرغ من جامعها الأزهر سريعاً، وخطب به في سبع وستين، وهو الذي يقال له الجامع الأزهر..(٣)

وقال عن بدر الجمالي: بدر الجمالي حصب جيوشه ومدبر الممالك الفاطمية، كان عاقلاً كريماً محبباً لما حوله، روم دارة تمكن في أيام المستنصر تمكناً عظيماً، وأدرك الأزمة وراءه، وفتح بلاداً أيامه كثيرة، وامتدحته وامتدحته الشعراء، ثم وكفاته في ذي القعدة، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل..(٤)

(١) انظر البداية والنهاية صاحب سمسمة سبع وستين وخمسمائة..

(٢) انظر الكامل خمس وستين وخمسمائة..

(٣) انظر البداية والنهاية ج١٢ سنة إحدى وثمانين وثلثمائة..

(٤) انظر البداية والنهاية ج١٢ سنة سبع وثمانين وأربعمائة..

وقال ابن الأثير عن الأفضل بن أمير الجيوش: كان حسن السيرة عادلاً ، وقد قتل في عام ٥١٥ هـ من قبل الإسماعيلية لتبنيه المذهب الشيعي الإمامي،وتضييقه على الخليفة الآمر بأحكام الله ،وتوسعته على أهل السنة والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها..(١)

وقال ابن تغري بردي عن طلائع بن زريك وزير الفائز : وساس الأمور وتلقب بالملك الصالح وسار في الناس أحسن سيرة وفخم أمره وكان أديباً مائلاً للإمامية..(٢)

وقال: مات الملك الصالح طلائع بن رزّيك، فحزن الناس عليه لحسن سيرته، وأقيم المأتم عليه بالقصر وبالقاهرة ومصر،وكان جواداً ممدّحاً فاضلاً شاعراً كثير الصدقات حسن الآثار، بنى جامعا خارج بابى زويلة يعرف بجامع الصالح، وآخر بالقرافة وتربة إلى جانبه، وهو مدفون بها..(٣)

وقال ابن الأثير: كَانَ الصَّالِحُ كَرِيمًا فِيهِ أَدَبٌ وَلَهُ شِعْرٌ عَجْوَيٌّ كَانَ لأَهْلِ الْعِنْدَهُ إِنْفَاقٌ ،وَيُرْسِلُ إِلَيْهِ الْعَطَاءَ الْكَثِيرَ ..

وَكَانَ الصَّالِحُ إِمَامِيًّا لَمْ يَكُنْ عَلَى مَذْهَبِ الْعَلَوِيِّينَ الْمِصْرِيِّينَ ..(٤)

(١)انظر الكامل ج٨ ذكر ولاية الفائز على مصر..

(٢)انظر النجوم الزاهرة ج٥ ذكر ولاية الفائز على مصر..

(٣)المرجع السابق ج٥ ذكر ولاية العاضد..

(٤)انظر الكامل ج٩ حوادث سنة ٥٥٦هـ..

وقال المقريزي عنه: كان فاضلاً سمحاً في العطاء، سهلاً في اللقاء، محباً لأهل الفضائل وافر العقل رضي النفس، بصيراً بالتجارب عالماً بأيام الناس، بصيرا بالعلوم الأدبية، محبباً إلى الناس لإظهاره الفضل والدين وإنكاره الظلم والفساد،إلا أنه كان من غلاة الإمامية مخالفاً لما عليه مذهب العاضد وأهل الدولة..(١)

ويبدو لنا من خلال تتبع مواقف المؤرخين تجاه الفاطميين أنها مواقف تشوبها الحيرة بسبب الموقف المعادي لهم ، وتيقنهم من عدم فساد الأحوال في زمانهم ، فهم لا يريدون إخفاء عدائهم للشيعة ،ولا يسطيعون إخفاء منجزات الفاطميين ومحو صفحتهم البيضاء في تأريخ مصر التي ثبتها المقريزي بقوله: اختلت مصر وكادت تدمر حتى قدمت جيوش المعز على يد القائد جوهر، فصارت دار خلافة..(٢)

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج ٣ ذكر كافور الإخشيدي..

(٢) انظر إتعاظ الحنفا ج حوادث سنة ست وخمسين وخمسمائة..

صلاح الدين ومصر

دمر مصر وأذل شعبها..

وتسامح مع الصليبيين وبطش

بالمسلمين..

إن التاريخ بحاجة إلى كتابة جديدة ، وأحداثه في حاجة إلى أن يتم تجريدها من السياسة التي علقت بها..

وفي حاجة إلى أن يتم تجريدها من أهواء المؤرخين ونزعاتهم .. وشخصية صلاح الدين في حاجة إلى قراءة جديدة ، كما أن هناك شخصيات تاريخية كثيرة في حاجة إلى إعادة قراءة..

شخصيات غطت السياسة على مساوئها..

وشخصيات غطت المذاهب على منجزاتها..

وشخصيات غطت السيوف على انحرافاتها..

والفاطميون هم من غطت المذاهب على منجزاتهم وشوهت صورتهم.. وصلاح الدين واحد من الذين غطت السياسة و السيوف والمذاهب على انحرافاته، وحجبت عن أعيننا مساوئه ،وغمرت بالدماء التي أسالها جسد الحقيقة..

إن السيوف لا تشهر في كل حين ابتغاء مرضاة الله..

وا ِن أكثر السيوف التي شهرت في الإسلام كانت في سبيل السياسة والمذاهب ..

و القليل منها شهر في سبيل الله..

والتاريخ يحدثنا عن قادة كبار بل وصحابة شهروا سيوفهم وأبلوا بلاءً حسناً من أجل الحصول على مغنم أو حكم ولاية كثيرة الخراج..

إننا في حاجة ماسة إلى التحرر من أوهام كثيرة تحولت إلى حقائق..

في حاجة إلى الوعي بأحداث عومتها السياسة وظللتها السيوف..

لقد قامت دول بالباطل على حساب دول قامت بالحق..

وبين قيام الدول وسقوطها تضيع حقائق وتبرز أباطيل وتموت عقائد وتحيا مذاهب ويذهب فقهاء ويأتي أدعياء..

ومع سقوط الفاطميين وقيام الأيوبيين غابت حقائق وضاعت عقائد وارتفعت رايات وطويت رايات..

مع قيام الأيوبيين دخلت مصر مرحلة جديدة في ظل عقيدة جديدة ونظام حكم جديد فرض عليهافرضاً ..

ومنذ ذلك الحين استبدلت عقيدة الشيعة بعقيدة السنة..

واستبدلت الأسرة الفاطمية بالأسرة الأيوبية..

واستبدلت جامعة الزهراء بالمدارس الشافعية والمالكية والأشعرية..

- إنقلاب صلاح الدين

دخل صلاح الدين مصر في عام ٥٦٤ هـ واستولى على الحكم فيها بعد وفاة العاضد عام ٥٦٧ هـ..

والقصة بكاملها يفصلها لنا ابن الأثير..

لَمَّا تُوُفِّيَ أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهْ كَانَ مَعَهُ صَلاحُ الدِّينِ ابْنُ أَخِيهِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ قَدْ سَارَ مَعَهُ عَلَى كُرْهٍ مِنْهُ لِلْمَسِيرِ..

عَنْهُ بِحَكَايَةٍ أَصْدُقَائِنَا مِمَّنْ كَانَ قَرِيبًا لِلْخِصِّيصِهِ، وَقَالَ: لَمَّا كُتُبُ الْعَاضِدِ عَلَى نُورِ الدِّينِ يَسْتَغِيثُ بِهِ مِنَ الْفِرَنْجِ وَطَلَبَ إِلَى الْعَسَاكِرِ وَأَخْبَرَنِي وَأَعْلَمَنِي الْحَالَ..

: تَمْضِي إِلَى وَقَالَ لَكَ أَسَدُ الدِّينِ بِحِمْصَ مَعَهُ يُوَلِّيكَ الْبَصْرَ، وَهُوَ أُنْثَتَ عَلَى سْرَاعِ، فَمَا يَحْتَمِلُ الأَمْرُ التَّأْخِيرَ، فَغَضِبْنَا جِحْنَا لَبَ، فَلَمَّا عَلَكُنَّ مِيلٍ مِنْ حَلَبَ حَقَّ لَقِيَنَاهُ هَذَا الْمَعْنَى أَمَرَهُ وَنُزُنَ الْمَسِيرِ..

فَلَمَّا قَالَ لَهُ نُورُ الدِّينِ ذَلِكَ الْتَفَتَ عَمِّي إِلَيَّ قَائِلًا: تَجَهَّزْ يَا يُوسُفُ!

قُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ مُلْكَ مِصْرَ مَا سُرِرْتُ بِهِ، فَلَقَّنَّا فَقُلْتُ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَغَيْرِهَا مَا أَنْسَاهُ أَبَدًا..

فَقَالَ لِنُورِ الدِّينِ: لَا بُدَّ مِنْ مَسِيرِهِ مَعِي فَتَأَبَّى فَأَنُورُو الَّذِينَ أَسْتَقِيلُ، وَانْقَضَى الْمَجْلِسُ..

وَتَجَهَّزَ أَسَدُ الدِّينِ وَغَلَّمْرُ الْمَسِيرِ..

قَالَ لِي نُورُ الدِّينِ: لَا بُدَّ مِنْ مَسِيرِكَ مَعَ عَمِّكَ فَوَلِّيهِ الصَّائِقَةَ الْبِرَكَ، فَأَعْطَانِي مَا تَجَهَّزْتُ بِهِ، فَكَأَنَّمَا أُسَاقُ إِلَى مَصْرَعِهِ وَقُولُكَ بِهِ، ثُمَّ لَكَنِي اللَّهُ تَعَالَى مَا لَمْ أَكُنْ أَطْمَعُ فِي بَعْضِهِ..

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ وِلَايَتِهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَرْمَنِ بِمَصْرَ كَانُوا طَلَبُوا التَّقَدُّمَ عَلَى الْعَسَاكِرِ، وَوِلَايَةَ الْغَرَاضِدِيَّةِ بِنَفْسِهِمْ: عَلَى الدَّوْلَةِ، وَقُطْبُ الدِّينِ، وَسَيْفُ الدِّينِ الْمَشْطُوبُ الْهَكَّارِيُّ، وَشِهَابُ الدِّينِ الْحَرِيرِيُّ، وَهُوَ الْخَصَلَاحِ الدِّينِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ يَخْطُبُهُ وَقَدْ جَمَحَ الْأَرْمَنُ عَلَيْهَا..

وَأَرْسَلَ الْعَاضِدُ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ، فَأَحْضَرَهُ عِنْدَهُ وَأَلْبَسَهُ الْوَزَارَةَ بِحَضْرَةِ عَمِّهِ..

وَكَانَ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَهُ..

لَيْسَ فِي الْحَالِ أَعْرَفُ وَلَا أَضْرَمُ مِنْ قُلُوبِ سُوءِ الرَّأْيِ إِلَيَّ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ حُكْمِنَا، ثُمَّ نَضَعُ عَلَى الْعَسَاكِرِ لِيَصْنَعُوا، فَعِنْدَنَا مِنَ الْجُنُودِ مَعَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ، ثُمَّ نَأْخُذُ يُوسُفَ وَأَرْجِعُهُ..

فَلَمَّا خَلَعَ عَلَيْهِ لَقَبَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ لِمَطْحَةِ الْأَمْرَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْأَمْرَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَا خَدَمُوهُ..

وَكَانَ الْفَقِيهُ عِيسَى الْهَكَّارِيُّ، فَسَعَى مَعَ الْمَطْوِيِّ أَخَا إِلَوْهَ قَالَ لَهُ: إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مَعَ عَيْنِ الدَّوْلَةِ وَهَمَّ، ثُمَّ الْحَارِمِيَّ..

وَقَالَ: هَذَا صَلَاحُ الدِّينِ هُوَ أُخْتِكَ وَعَوْرَتُكَ قَدْ كَشَفَهَا الْأَمْرُ، فَلَا
كُلَّ مَنْ يَسْعَى فِي إِخْرَاجِهِ عَنْهُ، وَلَا صَبَرَ لِي لَكَ إِلَّا فَإِلَيْهِ أَيْضًا فَعَلَ مِثْلَ
ذَا بِالْبَاقِينَ، وَكُلُّهُمْ أَطَاعَ غَيْرَ عَيْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ فَإِنَّهُ لَا قَالَ: لَا مُ يُوسُفَ..
عَادَ إِلَى نُورِ الدِّينِ بِالشَّامِ وَمَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَبْطَالِ، وَقَدْ تَمَّ صُلْحُ الْفِرَنْجِ وَمَعَ هَذَا
فَهُوَ نَائِبٌ عَنْ نُورِ الدِّينِ..

وَكَانَ نُورُ الدِّينِ الْأَمِيرُ الْأَسْفَهْ وَلَا يَكْتُبُ عَلَى سِرِّ الْكِتَابِ
يمًا عَنْ أَنْ يَكْتُبَ اسْمَهُ، وَكَانَ لَا يُفْرِدُ بِكِتَابَةِ الْأَسِيرِ فَالْأَسْلَارُ
وَصَحَّ لَا يَجِيءُ الْأَيْنُ مَرَاءِ بِاللِّوَاءِ الْمَصْرِيُّ لُونَ كَذَا..

وَاسْتَمَالَ صَلَاحُ الدِّينِ قُلُوبَ النَّاسِ، وَبَذَلَ الْأَمْوَالَ إِلَيْهِ وَأَخَذَ يُعْرِفُ أَمْرُ
الْعَاضِدِ، ثُمَّ أَرْسَلَ صَلَاحُ الدِّينِ يَطْلُبُ مِنْ نُورِ الدِّينِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ وَأَهْلَهُ،
لَهُمْ إِلَيْهِ، وَشَرَطَ عَلَيْهِمْ طَاعَتَهُ وَيَقْتَلُهُمْ إِعْكَالُتَهُمْ، وَفَعَلَ ذَلِكَ..

أَخَذَ إِقْطَاعَاتِ الْأُمَرَاءِ الْمِصْرِيِّينَ، فَأَعْطَاهَا لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ زَادُوهُمْ، فَازْدَادُوا
لَهُ حُبًّا وَطَاعَةً..

خَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، ثَانِي جُمَادَى الْمُحَرَّمِ،
قُطِعَتْ خُطْبَةُ الْعَاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ..

وَكَانَ سَبَبُ الْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِمِصْرَ أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
ضَعُفَ وَأَمْرُ الْخَلِيفَةِ اضْطَرَبَ قَصْرُهُ فَكَانَ صَلَاحُ الدِّينِ يَرُدُّ عَنْهُ نَقَائِرَ الْقُوشِ،
صِيٌّ، كَانُوا مَهْزُومِينَ أَخْبَارَ الْأُمَرَاءِ الْأَسَالِبَةِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ..

اتَّفَقَ أَنَّ الْعَاضِدَ مَرِضَ هَذَا الْوَقْتَ مَرَضًا شَدِيدًا فَلَمَّا صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى قَطْعِ
بَتِهِ اسْتَشَارَ أُمَرَاءَهُ، فَمِنْهُمْ مَنْ شَارَ وَهِيَ لَمْ يَكُنِ الْمُصْرِيِّينَ مَنْ خَافَهُمْ
إِلَّا أَنَّهُ مَا يُمْكِنُهُ إِلَّا امْتِثَالُ أَمْرِ نُورِ الدِّينِ..

قَدْ دَخَلَ إِلَى مِصْرَ إِنْسَانٌ أَعْجَمِيٌّ يُرِيدُ الْأَبْلَهَ يُرِيدُ أَيْ أَنَّهُ أَنَوَابِصِلٍ ، فَلَمَّا
ى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْإِحْجَامِ ، وَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَتَجَرَّأُ أَنْ يَخْلُوَ لِلْعَبَّاسِيِّ قَالَ : أَنَا
أَبْتَدِئُ بِالْخُطْبَةِ لَهُمْ ..
لَمَّا كَانَ أَوَّلَ جُمُعَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ صَعِدَ الْقَيْلَ يَبِ الْخَطِيبُ مَدَحَ الْمَأْمُونَ بِأَمْرِ
اللَّهِ ، فَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ ذَلِكَ ..
فَلَمَّا كَانَ الْجُمُعَةُ الثَّانِيَةُ أَمَرَ صَلَاحُ الدِّينِ الْخَطِيبَ وَ الْقُرَّاءَ أَنْ يَقْطَعُوا خُطْبَةَ
لْعَاضِدِ وَ يَخْطُبُوا لِلْمُسْتَضِيءِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَلَطَمَهُمْ أَهْلُ الْغَزَّانِ ..
ب بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ مِصْرَ ، فَفَعَلَ ..
الْعَاضِدُ قَدِ اشْتَدَّ مَرَضُهُ فَلَمْ يُعْلِمْهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَسْمَعْ بِقَطْعِ الْخُطْبَةِ ، وَ قَالُوا:
إِنْ عُوفِيَ لَمْ يَهُنْ تَيُوعُفِيَ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نُشَوِّشَ قَلْبَهُ بِالْحَوَادِثِ ، فَتُوُفِّيَ
م عَاشُورَاءَ وَ لَمْ يَعْلَمْ بِقَطْعِ الْخُطْبَةِ ..
ا تُوُفِّيَ جَلَسَ صَلَاحُ الدِّينِ لِلْعَزَاءِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى قَصْرِ الْخِلَافَةِ وَجَمِيعِ مَا فِيهِ ،
فَحَفِظَهُ بَهَاءُ الدِّينِ قَرَاقُوشُ الَّذِي كَانَ قَائِدَ الْقَوَاضِدِ ، فَحُمِلَ جَمِيعُ إِلَى
صَلَاحِ الدِّينِ..
نْ كَثْرَتِهِ يَخْرُجُ عَنِ الْإِحْصَاءِ ، وَ فِيهِ مِنَ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَوَانِي الْغَرِيبَةِ مَا تَخْلُو
يَاءُ عَنْ مِثْلِهِ ، وَ مِنَ الْجَوَاهِرِ الَّتِي لَمْ تُحَدَّ قِيمَتُهَا وَ لَا عُرِفَ قَدْرُهَا ..
كَانَ فِيهِ مِنَ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ الْمَعْدُومَةِ الْمِثْلِ ، فَبِيعَ جَمِيعُ مَا فِيهِ ، أَهْلُ
دِ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْقَصْرِ ، وَ وَكَّلَ بِهِمْ أَخَاهُ وَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنْ أَمَةٍ
، فَبَاعَ الْبَعْضَ ، وَ أَعْتَقَ الْبَعْضَ ، وَ وَهَبَ بَعْضَهُ لِلْقَصْرِ لِمَنْ يَمْلِكُ أَنْ لَمْ
يَغْنَ بِالْأَمْسِ ..
لَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُ الْعَاضِدِ أَرْسَلَ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ يَعِدُهُ وَ يَظُنُّ ذَلِكَ خَدِيعَةً ، فَلَمْ
ضِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عَلِمَ صِدْقَهُ ، فَنَدِمَ عَلَى تَخَلُّفِهِ عَنْهُ ..

وَكَانَ يَصِفُهُ كَثِيرٍ، وَبِالْكَيِّ الْجَانِبِ غَلَبَةً لِلْخَاطِبِ عَلَيْهِ مَقْوِيَّةً لِلْأَدَبِ..

وَمُدَّةُ مُلْكِهِمْ مِنْ حِينِ ظَهَرَ الْمَهْدِيُّ بِجَلَسَةٍ فِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ الْعَاضِدُ مُتَوَالِيَاتٍ اثْنَتَا عَشْرَةَ شَهْرًا تَقْرِيبًا..

فَلَمَّا وَصَلَتِ الْبِشَارَةُ إِلَى بَغْدَادَ بِذَلِكَ ضُرِبَتِ الْبَشَائِرُ وَدُقَّتِ الْأَبْوَاقُ وَأُقِيمَتْ بَغْدَادُ أَيَّامًا مِنَ الْفَرَحِ وَالْجَذَلِ مَا لَا حَدَّ عَلَيْهِ وَسَرَّتْ مَا لَا عَيْنٍ صَادِقٍ وَلَا قَلْبٍ، وَهُوَ خَوَاصُّ الْخَدَمِ الْمُقْتَفَوِيَّةِ وَالْمُقَدَّمِينَ فِي دَوْلَةِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الدِّينِ..

فَسَارَ صَنْدَلٌ إِلَى نُورِ الدِّينِ وَأَلْبَسَهُ الْخِلْعَةَ وَسَرَّ الْخَتِيَةَ لِصَلَاحِ الدِّينِ وَلِلْخُطَبَاءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالْأَعْلَامِ السُّودِ، ثُمَّ إِنَّهُ انْفَصَلَ صَهَارَ أُسْتَاذِ الدَّارِ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللَّهِ بِبَغْدَادَ..

وَكَانَ يَدْرِي الْفِقْهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَالْحَدِيثَ، وَيَشْعُرُ أَحْسَنَةً، وَلَهُ مَعْرُوفٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ بَغْدَادَ..

هَذِهِ السَّنَةَ جَرَتْ أُمُورٌ أَوْجَبَتْ أَنْ تَأَثُّرُ لِلدِّينِ صَلَاحِ الدِّينِ لَمْ يَهُظْ لِكَ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ رَعَى فِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى بِلَادِ الْفِرِنْجِ غَازِيًا، وَنَازَلَ حِصْنَ بَيْسَانَ، وَهُوَ يَدَيْنِ مِنْ الْوَحَصَرَهُ، وَضَيَّقَ عَلَى الْفِرِنْجِ، وَأَدَامَ الْإِقَامَةَ وَالْمُحَارَبَةَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا سَمِعَ نُورُ الدِّينِ بِمَا فَعَلَهُ صَلَاحُ الدِّينِ قَصَدَ بِلَادَ الْفِرِنْجِ أَيْضًا يَدْخُلُ إِلَيْهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى..

فَقِيلَ لِصَلَاحِ الدِّينِ: إِنْ دَخَلَ نُورُ الدِّينِ وَلَى هَذَا الْحَالِ أَنْتَ مِنْ جَانِبٍ وَنُورُ الدِّينِ مِنْ جَانِبٍ، مَلَكَهَا، وَمَتَى زَالَ الْقَحْطُ وَالضِّيقُ وَخَلَّكَهُمْ لَمْ يَبْقَ بِدِيَارِ مِصْرَ مُقَامٌ مَعَ نُورِ الدِّينِ..

إِنْ جَاءَ نُورُ الدِّينِ إِلَيْكَ وَأَنْتَ هَاهُنَا، فَلَا تَبْرَحْ مَكَانَكَ حَتَّى يَكُونَ الْمُتَحَكِّمُ فِيكَ بِمَا شَاءَ، إِنْ شَاءَ تَرَكَكَ وَإِنْ شَاءَ قَتَلَكَ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى الِامْتِنَاعِ عَلَيْهِ، وَالْمَصْلَحَةُ الرُّجُوعُ إِلَى مِصْرَ..

وَلَا عَنِ الشَّوْبَكِ عَائِدًا إِلَى مِصْرَ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ الْفَرَنْكِ بَوْرَ الَّذِينَ يَعْتَذِرُ بِلَا بِالْخَلْقِ الْأُمُورِ بَلَغَتْهُ عَنْ شِيعَةِ الْعَلَوِيِّينَ..

عَازِمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى الْوُثُوبِ بِهَا، فَإِنَّهُ يَخَافُ مِنْ عِنْدِهِمْ أَهْلُهَا عَلَى أَنْ تَخَلَّفَ بِهَا، فَيُخْرِجُوهُمْ وَوَدَّتْهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَفْتَلِمَ لَهُ نُبُورُ الدِّينِ مِنْهُ، عَلَيْهِ وَعَزَمَ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى مِصْرَ إِخْبَارِهِ عَنْهَا..

ذَلِكَ فَسَمِعَ صَلَاحُ الدِّينِ الْخَبَرَ، فَجَمَعَهُمْ أَوَّلَ فَصْلِهِ أَبُو يُوسُفَ لِلدِّينِ أَيُّوبُ، الُهُ شِهَابُ الدِّينِ الْحَارِمِيُّ، وَمَعَهُمْ سَائِرُ الْأَمْرَاءِ وَهُمْ أَسَدُ بْنُ الْمُغَزَّمِ نُورِ الدِّينِ وَحَرَكَتِهِ إِلَيْهِ، وَاسْتِشَارَهُمْ..

يَجِيءُ بِهِ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ قَتَيْنِ عَبْدِ رُأْخَاي صَلَاحِ الدِّينِ فَقَالَ: إِذَا نَاقَاتَلْنَاهُ، وَمَنَعْنَاهُ عَنِ الْبِلَادِ، وَوَافَقَهُ غُلَامُهُمْ، فَشَتَمَ الدِّينِ أَيُّوبُ، ذَلِكَ، وَاسْتَعْظَمَهُ، وَشَتَمَ تَقِيَّ الدِّينِ..

وَقَالَ لِصَلَاحِ الدِّينِ: أَنَا أَبُوكَ وَهَذَا خَالُكَ شِهَابُ الدِّينِ، وَأَكْثَرُ مِنْ مَنْ تَرَى، وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتُ أَنَا وَخَالُكَ هَذَا مِنْ، اللَّهِ يَمُوتُ أَنْ نُقَبِّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ..

أَمَرَنَا أَنْ نَضْرِبَ عُنُقَكَ بِالسَّيْفِ لَفَعَلْنَا، فَإِنَّهُ هَمَّكَ بِغَيْرِنَا؟ هِ الْبِلَادُ لَهُ، وَنَحْنُ مَمَالِيكُهُ وَنُوَّابُهُ فِيهَا، فَإِنْ شَاءَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..

الرَّأْيُ أَنْ تَكْتُبَ كِتَابًا تَقُولُ فِيهِ: بَلَغَنِي تَرْكَةَ الْأَبْلَادِ، فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى هَذَا؟

الأُمَرَاءُ وَغَيْرُهُمْ، وَتَفَرَّقُوا عَلَى هَذَا، فَأَنَّا بِهِ لَا أَيُّوبُ: بِقَائِلِيَّةِ عَقْلٍ فَعَلْتَ هَذَا؟ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ نُورَ الدِّينِ إِذَا سَمِعَ زَعَمَ مَوْلَى عَمَّ مَعَ بَنَاتِهِ أَهَمَّ الْوُجُوهِ إِلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ لَا تَقْوَى بِهِ..

أَمَّا الآنَ، إِذَا بَلَغَهُ مَا جَرَى وَطَاعَتُنَا لَهُ وَكَنَّا بِثَغْرِ بَغَازِنَا، وَعَلَى الأَمْلُ عَمَلَهَا، وَاللَّهِ لَوْ أَرَادَ نُورُ الدِّينِ قَصَبَةً مِنْ قَصَبِ السُّكَّةِ لَقَاتَلَ عَلَيْهَا أَمْنَعَهُ أَوْ أُقْتَلَ..

فَفَعَلَ صَلَاحُ الدِّينِ مَا أَشَارَ بِهِ، فَتَرَكَ نُورُ الدِّينِ فَعَلَ وَابِغَيْرِ مَكَانٍ، فَالأَمْرُ كَمَا ظَنَّهُ أَيُّوبُ، فَتُوُفِّيَ نُورُ الدِّينِ وَلَمْ يَقْصِدْهُ مَلَكٌ صَلَاحُ الدِّينِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الآرَاءِ وَأَجْوَدِهَا..(١)

ومن خلال رواية ابن الأثير نخرج بما يلي:

أن الخليفة العاضد هو الذي استغاث بنور الدين في الشام وطلب منه العون وصلاح الدين لم يكن يرغب في المجئ لمصر وجاءها على كره منه ،لكونه كان يطمع أن يكون له مكان في الشام لكن وفاة عمه أفسحت له الطريق لحكم مصر ليملك ما لم يكن يطمع في بعضه..

والعاضد هو الذي اختار صلاح الدين لصغر سنه وضعفه الظاهر بين أفراد عائلته وقدمه عليهم ليضربهم ببعض ثم يتخلص من الجميع..

ولم تنجح خطة العاضد وكان الانقلاب..

وكان في نية صلاح الدين أن يغدر بنور الدين ويأخذ مصر لنفسه، وأحس به نور الدين فلجأ إلى الحيلة ليبعده عنه..

وتم له ذلك ليغدر بالعاضد ويستولي على الحكم ويصادر الأموال ويعلن عودة مصر لحكم العباسيين ويسلمها لعبده قراقوش..(٢)

ذِكْرُ مُلْكِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ صَلَاحِ الدِّينِ مِصْرَ وَذِكْرُ إِقَامَةِ الْخُطْبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِرَوَاضِ الدَّيْلَمِ وَكَالْوَلَوِ الْوَحْشَةِ بَيْنَ نُورِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الدِّينِ بَاطِنًا..

(٢) سوف نتحدث عن قراقوش لاحقاً..

وَ ثناء صلاح الدين على العاضد رغم ما فعله به وبأسرته يدل على اعوجاجه..

إلا أن ما نخرج به في النهاية أن صلاح الدين تصرف تصرف الغزاة الطامعين ،ولم يتصرف تصرف النبلاء المتقين..

وهو قد استبدل الأسرة الفاطمية بالأسرة الأيوبية..

وتعطينا رواية المقريزي تفصيلات أكثر..

روى : أرسل العاضد يستصرخ نور الدين محمود زنكي ويطالبه إنقاذ المسلمين من الفرنجة – بعد أن تحالف معهم شاور – فجهز أسد الدين شيركوه ومعه صلاح الدين عسكراً كثيراً وسيرهم إلى مصر..

ونزل شيركوه القاهرة –بعد قتل شاور – فخلع عليه العاضد وأكرمه وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام ومات..

وفوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب فساس الأمور ودبر لنفسه فبذل الأموال ،وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال..

فلم يزل أمره في ازدياد وأمر العاضد في نقصان ، وأقطع أصحابه البلاد ،وأبعد أهل مصر وأضعفهم ، واستبد بالأمور ومنع العاضد من التصرف ، حتى تبين للناس ما يريده من إزالة الدولة..

وتتبع جند العاضد وأخذ دور الأمراء وإقطاعاتهم فوهبها لأصحابه ، وبعث إلى أبيه وإخوته وأهله فقدموا من الشام عليه..

فلما كان في سنة ست وستين أبطل المكوس من ديار مصر ، وهدم دار المعونة بها وعمرها مدرسة للشافعية،وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية ، وعزل قضاة مصر الشيعة ، وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي..

وجعل إليه الحكم في إقليم مصر كله ، وعزل سائر القضاة – في الأقاليم – واستناب قضاة شافعية ، فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي..

واختفى مذهب الشيعة إلى أن نسى من مصر ، ثم قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة..

فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل..

وبطل من حينئذ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره..

وتحكم أصحابه في البلد بأيديهم وأخرج أقطاعات سائر المصريين لأصحابه ، وقبض على القصور وسلمها إلى الطواش بهاء الدين قراقوش الأسدي وجعله زمامها..

وفيها كثر بمصرعسكر صلاح الدين وأقاربه وأصحابه، وانكفت أمراء المصريين عن التصرف ومنعوا من كل شيء، فبسطوا ألسنتهم بالقول ضد ما عليه صلاح الدين وأصحابه من الفعل في محو آثار الدولة الفاطمية وإزالة رسومها، وخلع العاضد وقتله، والدعاء للخليفة العباسي..

فلما رأى أمره قد قوي و أوتاد دولته قد تمكنت من البلاد عزم على إظهار ما يخفيه، فواعد أمراء النشابين على أن يمضوا إلى بيوت الأمراء المصريين في الليل، ويقف كل أمير منهم بجنده على باب أمير من أمراء مصر، فإذا خرج للخدمة قبض عليه واحتاط على داره وما فيها وأخذها لنفسه..

فأصبحوا واقفين على منازل الأمراء المصريين بأجنادهم، فما هو إلاأ يخر ج الأمير من منزله ليصير إلى الخدمة على عادته فإذا بالأمير الشامي الذي قد عين له و قد قبض عليه وأوثقه..

وهجم بمن معه على داره فملكها بجميع ما تحتوي عليه، وما يتعلق بصاحبها وينسب إليه من أهل ومال وخيول وعبيد وجوار، وماله من إقطاع..

فلم ينتشر الضوء حتى علت الأصوات وارتفعت الضجات وثار الصياح من كل جانب، وصار الأمراء الشاميون في سائر نعم أمراء مصر..

وأصبح الأمراء المصريون أسرى معتقلين في أيدي أعاديهم، فآل أمرهم إلى أن صار الأمير منهم بواباً على الدار التي كان يسكنها، وصار آخر منهم سائس فرس كان يركبها، وصار آخر وكيل القبض في بلد كانت إقطاعاً له؛ ونحو ذلك من أنواع الهوان..

وبلغ ذلك العاضد فشق عليه ،وأرسل إلى صلاح الدين يسأله عن سبب القبض على الأمراء، فبعث إليه بأن هؤلاء الأمراء كانوا عصاةً لأمرك ،والمصلحة قتلهم وإقامة غيرهم ممن يمتثل أمرك، فسكت..

وتقوى صلاح الدين وعظم أمره، وذهب من كان يخشاه ويخافه، وأخرج أكثر إقطاعات الأجناد بمصر، وزاد الأمير شمس الدولة على إقطاعه ناحية بوش ودهشور والمنوفية وغير ذلك. وانحل أمر العاضد..

وصار العاضد معتقلاً تحت يده ، وأبطل من الآذان حي على خير العمل ، وأزال شعار الدولة وخطب لخليفة بغداد..(١)

وروى ابن تغري بردي: وفي عام ٥٦٧ هـ مات العاضد وانقطعت دولة الفاطميين من مصر بموته وأقام صلاح الدين الدعوة العباسية بمصر، وأفرد أهل العاضد ناحية عن القصر ،وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه، وسلمهم لخادمه قراقوش فعزل الرجال عن النساء واحتاط عليهم وفرق صلاح الدين الأموال التي أخذها من القصر في العساكر.. (٢)

وروى الذهبي: استقلّ صلاح الدّين بالأمر، وبقي العاضد معه صورة إلى أن خلعه، وخطب في حياته لأمير المؤمنين المستضيء بأمر اللّه العبّاسيّ ،وأزال للّه تلك الدّولة المخذولة. وكانوا أربعة عشر متخلّفاً لا مستخلفاً ..

(١)انظر إتعاظ الحنفا جـ ٣ سنة ست وستين وخمسمائة..
(٢)انظر النجوم الزاهرة جـ٥ ترجمة العاضد..

قَالَ أَبُو شامة: اجتمعت بالأمير أَبِي الفُتُوح ابن العاضد وهو مسجون مقيّد في سنة ثلاثين وستّمائة، فحكى لي أنّ أَبَاهُ في مرضه استدعى صلاح الدّين فحضر، قَالَ: فأحضرونا، يعني أولاده، ونحن صغار، فأوصاه بنا، فالتزم إكرامنا واحترامنا..

ورجعت الدّعوة العبّاسيَّة بعد أن كانت قد قُطِعَت بها أكثر من مائتي سنة..

وتسلَّم الملك صلاح الدّين قصر الخلافة، واستولى عَلَى ما كَانَ بِهِ من الأموال والذّخائر، وكانت عظيمة الوصف..

وقبض عَلَى أولاد العاضد وأهل بيته، وحبسهم في مكانٍ واحدٍ بالقصر، وأجرى عليهم ما يمولهم، وعفّى آثارهم، وقمع مواليهم وسائر أنسبائهم..

وكانت هذه الفِعْلة من أشرف أفعاله، فَلَنِعْمَ ما فعل، فإنّ هؤلاء كانوا باطنيَّةً زنادقة، دَعَوْا إلى مذهب التّناسخ، واعتقاد حلول الجزء الإلهيّ في أشباحهم..

ثم عَرَضَ من بالقصر من الجواري والعبيد فوجد أكثرهنّ حرائر، فأطلقهنّ، وفرّق من بقي. وأخذ- يعني صلاح الدّين- كلّما صلح لَهُ ولأهله وأمرائه من أخاير الذّخائر، وزواهر الجواهر، ونفائس الملابس، ومحاسن العرائس، والدُّرَّة اليتيمة، والياقوتة الغالية القيمة، والمَصُوغات التِّبْرِيَّة، والمصنوعات العنبريَّة، والأواني الفضّيَّة، والصّواني الصِّينيَّة، والمنسوجات المغربيَّة، والممزوجات الذّهبيّة، والعقود والنُّقود، والمنظوم والمنضود، وما لا يُعَدّ الإحصاء..(١)

(١)انظر تأريخ الإسلام ترجمة العاضد، وانظر عيون الروضتين ..

و روي المقريزي :وأبطل صلاح الدين الخطبة فيه . فلم يزل الجامع الأزهر معطلاً عن إقامة الجمعة فيه مائة عام منذ صلاح الدين إلى بيبرس..

وروى : فصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفرض المذهب الشافعي، واختفى مذهب الشيعة الإسماعيلية والإمامية حتى فقد من أرض مصر كلها ، كما حمل صلاح الدين الكافة على عقيدة الأشعري في مصر وبلاد الشام ومنها إلى أرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب ،حتى أصبح الاعتقاد السائد بسائر هذه البلاد بحيث أن من خالفه ضرب عنقه..(١)

وروى في حوادث عام ٥٦٦ هـ : وفيها بني صلاح الدين مدرسة للشافعية وكان موضعها حبس المعونة..

وبنى أيضا مدرسة للمالكية تعرف بدار العزل وولى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي قضاء القاهرة..(٢)

وروى ابن تغري بردي في أحداث عام ٥٦٥ هـ في ولاية العاضد : وقد وزر له – أي العاضد – الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يكن له مع صلاح الدين إلا مجرد الاسم فقط..(٣)

(١)انظر المواعظ والاعتبار جـ ٣ ذكر المدارس..

(٢)انظر المرجع السابق..

(٣)انظر النجوم الزاهرة ج ٥ ما وقع من الحوادث سنة ٥٦٥هـ..

وروى القاضي ابن شداد:ولما توفي العاضد جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه وكانت كثرته تخرج عن الإحصاء و كان فيه أشياء نفيسة من الأعلاق الثمينة والكتب والتحف..

ونقل صلاح الدين أهل العاضد إلى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم ،واخرج جميع من فيه من عبد وأمة ،فباع البعض وأعتق البعض ووهب البعض، وخلا القصر من سكانه وكأن لم تغن بالأمس..

ولما اشتد مرض العاضد أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة ولم يمض إليه فلما توفي علم صدقه فندم لتخلفه عنه..

ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر إلى بغداد ضربت لها البشائر عدة أيام وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل، وهو من خواص الخدم إلى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الأعلام السود..

فلما أراد السلطان صلاح الدين إزالة الدولة العلوية والقبض عليهم استفتى في ذلك فأفتاه بذلك جماعة من الفقهاء وكان نجم الدين الخوبشاني من جملتهم فبالغ في الفتيا وصرح في خطه بتعديد مساويهم وسلب عنهم الإيمان وأطال الكلام في ذلك..(١)

روى ابن تغري بردي : توفي العاضد الخليفة الرابع عشر من خلفاء الفاطميين (ثلاثة في المغرب وإحدى عشر في مصر) عن ثلاث وعشرين سنة ، واختلفوا في أسباب وفاته : أحدها أنه تفكر في أموره فرآها في إدبار فأصابه ذرب عظيم فمات فيه.. والثاني أنه لما خطب لبني العباس وبلغه ذلك اغتم ومات..

والثالث أنه لما أيقن بزوال دولته كان في يده خاتم له فص مسموم فمصه فمات منه..(١)

(١)انظر النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ذكر إقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية..

وروى ابن حماد: العاضد أعجب هذا اللقب العاضد هو قال طوع عيه انقطع أمرهم وانحل عقدهم وانثر عهدهم..

ومن قائل يقول مات حتف أنفه ومن قائل يلقبوا سلطان الخلل بيدي لا بيد عمرو سم بيده..

وقيل إن يوسف ابن أيوب (صلاح الدين) سمه وانسلخ من الحياة اسمه..

ومشى ابن أيوب في جنازته راجلا مشقوق العباء وقد لبس الوكف في آخر سنة ٥٦٧ فنسخ يوسف دولة بني عبد أحكم دولة بني العباس..

وتتبع بنو عبيد فمن عثر عليه سجنوه بدار القاهرة بقلعة الهيلم وهو سنة ٦١٧ فكانوا يتناسلون ثم منعوا النكاح لينقطع النسل وهذا الغرض الأصل..

وكان قد أراد أن يمطل منذ سنين ويلحقهم بغمار المسلمين ثم أن يستفتي في ذلك ويشاور ويطالع ويكتب، إلى الفقهاء بالإسكندرية فتجمعوا وجمعوا أن كتبوا بقوله عز وجل {ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم} إلى قوله {بغيظكم} وكتبوا بذلك إليه فأنفاهم حيث أنفاهم..(١)

والعجيب أن صلاح الدين – وهو المتسبب في موت العاضد – جلس للعزاء فيه ومشى في جنازته..

وروى ابن الأثير: لما مات العاضد جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على القصر وما فيه ، ووصلت البشارة إلى بغداد بذلك ،فضربت البشائر بها عدة أيام وزينت ،وظهر من الفرح والجذل ما لا حد له..

وسيرت الخلع من بغداد إلى نور الدين وصلاح الدين وللخطباء بالديار المصرية وأرسلت معها الرايات السود رايات العباسيين.. (١)

وروى ابن خلكان : وتسلم صلاح الدين قصر الخلافة واستولى على ما كان به من الأموال والذخائر وكانت عظيمة الوصف..

وقبض على أولاد العاضد وحبسهم في مكان واحد بالقصر وأجرى عليهم ما يمونهم وعفى آثارهم وقمع مواليهم وسائر نسائهم وفرق بين الرجال والنساء ليكون ذلك أسرع إلى انقراضهم..(٢)

وكان صلاح الدين كما يقول ابن خلكان قد عزم على القبض على العاضد قبل وفاته هو وأشياعه واستفتى الفقهاء فأفتوه بجواز ذلك لما كان عليه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد ،وكثرة الوقوع في الصحابة والاشتهار بذلك ،فكان أكثرهم مبالغة في الفتيا الشيخ نجم الدين الخبوشاني الشافعي..(٣)

قَالَ وَالْحِلْمُ حَادَ:السُّلْطَان للعزاء وَأغْرب فِي الحْزن وكلبه لْغَايلَغة فِي إِجْمَال أمره والتوديع لَهُ إِلَى قَثَمَّرَه تسلم الْقصر بِمَا فِيهِ من خزائنه ودفائنه كَانَ مذ نَافق مؤتمن الخْلاَفَة وَقتل صُرف مَنْ هُوَ زِمَام الْقصر وعُزل ،ووكل بهاء الدّين قراش بِالْقصرِ وَجعله زمامه واستنابه مقَام نَفسه وأقامه فَمَا دخل إِلَى الْقَصْرِ وَلاَ خرج إِلاَّ بمرأى

(١) رظاالكامل في التاريخ جـ ٩ حوادث عام ٥٦٧هـ
(٢)وفيات الأعيان جـ ٥ ، نقلا من تاريخ الذهبي
(٣)انظر المرجع السابق..

مِنْهُ ومسمعاً، حصل أهل الْقصر بعد ذَلِك على صفو مشرفٍ فَلَمَّا توفيّ العاضد بطلت تِلْكَ الْقَوَاعِد وهدمت المقاعد وَأمر السُّلْطَان بِإِحْيَاطِه وَأَهْلاَده فِي مَوضِع خَارِج الْقصر على الاِنْفِرَاد وَقرر مَا يكون لَهُم برسم الكسوات والأقوات والأزواد..(١)

ويبدو أن فرح العباسيين بموت العاضد ونهاية الفاطميين كان أشد من فرحة الأيوبيين ، مع أن الأيوبيين يشكلون نفس التحدي والخطورة على العباسيين، لكنه التعصب والعناد المذهبي..

– تدمير تراث مصر

وكانت في مصر أعظم مكتبة في االشرق والغرب وهى دار الحكمة،كما كانت قصور الفاطميين تكتظ بنوادر الكتب..

روى المقريزي: في جمادى الآخرة فتحت دار الحكمة بالقاهرة، وجلس الفقهاء فيها، وحملت الكتب إليها، ودخلها الناس للنسخ من كتبها وللقراءة، وانتصب فيها الفقراء والقراء والنحاة وغيرهم من أرباب العلوم..

وفرشت وأقيم فيها خدام لخدمتها، وأجريت الأرزاق على من بها من فقيه وغيره، وجعل فيها ما يحتاج إليه من الحبر والأوراق والأقلام..(٢)

والسؤال هنا : ماذا حدث لهذه المكتبة وأين ذهبت الكتب..؟

والجواب واضح من خلال ممارسات صلاح الدين وجنده الأكراد..

(١)انظر عيون الروضتين ج ٢ حوادث عام ٥٦٧هـ..

(٢)انظر إتعاظ الحنفا ج٢سنة خمس وتسعين وثلثمائة..

ونقل ابن أبي كثير قول: وَوَجَدَ خِزَانَةَ كُتُبٍ ليس لها في مدائن الإسلام نَظِيرٌ، تَشْتَمِلُ عَلَى أَلْفَيْ أَلْفِ مُجَلَّدٍ، قَالَ وَمِنْ عَجَائِبِهَا أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَلْفٌ ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري..

وكذا قَالَ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ: كَانَتِ الْكُتُبُ قَرِيبَةً مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُجَلَّدٍ..

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: كَانَ فِي الْكُتُبِ بِالْخُطُوطِ الْمُوَبَّنَةِ مِائَةُ أَلْفِ مُجَلَّدٍ، وَقَدْ تَسَلَّمَهَا الْقَاضِي الْفَاضِلُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا كَثِيرًا اخْتَمَرَهُ وَنَخَبَهُ..(١)

وروى المقريزي: ووجد من الكتب النفيسة ما لا يعد ويقال إنها كانت ألف ألف وستمائة ألف كتاب، منها مائة ألف مجلد بخط منسوب، وألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري؛ فباع السلطان جميع ذلك..(٢)

وَقال ابن أبي شامة جملة مَا باعوا خزانَة الْكتب وَكَانَت من عجائب الدُّنْيَا وَيُقَال إِنَّه لم يكن فِي جَمِيع بِلَاد الإِسْلَام دَار كتب أعظم مِنْهَا فِي الدَّار الْقَاهِرَة فِي الْقصر..

وَمن عجائبها أَنه كَانَ بهَا ألف ومئتان وَعِشْرُونَ نُسْخَة بتاريخ الطَّبَرِيّ وَيُقَال إِنَّهَا كَانَت تحتوى على ألفي ألف وست مئة ألف وكتاب كَانَ فِيهَا من الخطوط المنسوبة أَشْيَاء كَثِيرَة..

وَحصل القَاضِي الْفَاضِل نخبها وَذَلِكَ أَنه دخل إِلَيْهَا واعتبرها فكلّ كتاب صلح لَهُ قطع جلده ورماه فِي بركَة كَانَت هُنَاكَ فَلَمَّا فرغ النَّاس شمرَاء الْكتب اشترى تِلْكَ الْكتب الَّتِي أَلْقَاهَا فِي الْبركَة على انها مخرومات ثمَّ جمعهَا بعد وذَلِكَ مِنْهَا حصل مَا حصّل من الْكتب..(٣)

(١)انظر البداية والنهاية ج ١٢ وفاة العاضد..

(٢)انظر إتعاظ الحنفا ج٣

(٣)انظر عيون الروضتين ج٢ حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة..

وكان أصل الطأ وسماع الرشيد على مالك في خزانة الكتب المصرية..(١)

وقال الذهبي: كانت خزانة الكتب مشتملة على نحو مائة وعشرين ألف مجلّدة..(٢)

وقال ابن تغري بردي: أمّا خزانة الكتب ، فكانت في أحد مجالس البيمارستان العتيق اليوم، كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم، يطول الأمر في عدّتها..(٣)

وروى المقريزي: عدّة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر: أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة..

وإن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدّة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة، وغيرهما..

وإنّ جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته، ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة ،دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها..

وقال ابن الطوير: خزانة الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني:المارستان العتيق، فيجيء الخليفة راكبا، ويترجل على الدكة المنصوبة، ويجلس عليها، ويحضر إليه من يتولاها..

فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة، وغير ذلك مما يقترحه من الكتب،إنه عنّ له أخذ شيء منها أخذه، ثم يعيده..

وتحتوي هذه الخزانة على عدّة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل..

(١)انظر المرجع السابق السابق ج ٣

(٢)انظر تأريخ الإسلام حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة تعيين قراقوش زماما لقصر الخلفاء

(٣)انظر النجوم ج٤ذكر ركوب الخليفة في يومى عيد الفطر والنّحر..

وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات، و يسير من المجر ّدات، فمنها الفقه على سائر المذاهب، والنحو، واللغة، و كتب الحديث والتواريخ، وسير الملوك، والنجامة، والروحانيات، والكيمياء من كل صنف النسخ..

ومنها النواقص التي ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة، وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها، وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البو ّاب وغيره..

وتولى بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين..

وقال ابن أبي طي بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر، ومن جملة ما باعوه: خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا..

ويقال: إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر..(١)

وإذا كان المؤرخون يبكون على أسطورة هولاكو و وإلقاؤه الكتب في نهر دجلة حتى اسودت مياهه، فلماذا لم يبكوا على مكتبات مصر وتراثها الذي أحرق ومزق و بيع وألقى في المزابل..؟

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٢ خزانة الكتب..

وهذا وغيره مما فعله صلاح الدين يؤكد لنا أن نيته لم تكن متجهة للجهاد ضد الصليبيين والدفاع عن المسلمين وهو متجه لمصر، بل كانت له نوايا أخرى..

وهو ما نراه من خلال هذه الروايات:

روي ابن الأثير: كتب نور الدين إلى صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة للعاضد وإقامة الخطبة للمستضئ العباسي ، فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام الديار المصرية عليهم لميلهم إلى العلويين..

وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة ويريد بقاءهم (بني فاطمة) خوفاً من نور الدين ،فإنه كان يخاف أن يدخل إلى الديار المصرية يأخذها منه ،فكان يريد أن يكون العاضد معه ، حتى إن قصده نور الدين امتنع به وبأهل مصر عليه..

فلما اعتذر لنور الدين بذلك لم يقبل عذره وألح عليه بقطع خطبته وألزمه إلزاماً لا فسحة له في مخالفته..

وفي هذه السَّنَةِ أُمِرَ أَنْ تُقْطَعَ خُطْبَةُ الْعَاضِدِ لِصَلَاحِ الدِّينِ، فَلَمْ يُطِعْ، وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ رَغِبَ فِي صَرْفِ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى بِلَادِ الْفِرِنْجِ غَازِيًا، وَنَازَلَ حِصْنَ الشَّوْبَكِ وَبَنَى مَسْجِدًا بِالْحِصْنِ، وَضَيَّقَ عَلَى مَنْ بِهِ مِنَ الْفِرِنْجِ، وَأَدَامَ الْقِتَالَ وَطَلَبُوا الصُّلْحَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ..

فَلَمَّا سَمِعَ نُورُ الدِّينِ بِمَا فَعَلَهُ صَلَاحُ الدِّينِ شَقَّ عَلَيْهِ وَقَصَدَ بِلَادَ الْفِرِنْجِ أَيْضًا لِيَدْخُلَ إِلَيْهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى..

فَقِيلَ لِصَلَاحِ الدِّينِ: إِنْ دَخَلَ نُورُ الدِّينِ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ أَخَذَ مِنْكَ وَنُورُ الدِّينِ مَلِكُ جَانِبٍ، مَلَكَهَا، وَمَتَى زَالَ الْفَتْحُ الطَّرِيقِ وَمَا أَخَذَهُ لَمْ يَبْقَ بِدِيَارِ مِصْرَ مُقَامٌ مَعَ نُورِ الدِّينِ..

وَإِنْ جَاءَ نُورُ الدِّينِ إِلَيْكَ وَأَنْتَ هَاهُنَا، فَلَا بُدَّ أَنْ تَجْتَمِعَ بِهِ، وَيَوْمَئِذٍ يَكُونُ الْمُتَحَكِّمُ فِيكَ بِمَا شَاءَ، إِنْ شَاءَ تَرَكَكَ وَإِنْ شَاءَ قَتَلَكَ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى الِامْتِنَاعِ عَلَيْهِ، وَالْمَصْلَحَةُ الرُّجُوعُ إِلَى مِصْرَ..

وَلَمْ يَزَلْ عَنِ الشَّوْبَكِ عَائِدًا إِلَى مِصْرَ، وَلَمْ يَأْذَنْ لِلْفَرَنْجِ فِي تَسْيِيرِ الْمَرَاكِبِ إِلَى الَّذِينَ يَعْتَذِرُونَ عَنِ احْتِلَالِ الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ لِأُمُورٍ بَلَغَتْهُ عَنْ بَعْضِ شِيعَةِ الْعَلَوِيِّينَ..

وَعَازِمُونَ أَنَّهُمْ مَتَى الْوُثُوبِ بِهَا، فَإِنَّهُ يَخْلُو مِنْهُمْ عِنْدَ الْعَيْنِ وَلَا أَهْلُهَا عَلَى مَا كَلَّفَ بِهَا، فَيُخْرِجُوهُمْ وَتَعُودُ مُمْتَنِعَةً، وَأَنَّهُ لَا يَفْتَلِمُ لِهَيْبَةِ نُورِ الدِّينِ مِنْهُ، وَعَزَمَ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى مِصْرَ لِيَحْجُرَهُ عَنْهَا..

وَذَلِكَ فَسَمِعَ صَلَاحُ الدِّينِ الْخَبَرَ، فَجَمَعَ أَهْلَهُ وَأَبْنَاءَهُ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَالِدُهُ شِهَابُ الدِّينِ الْحَارِمِيُّ، وَمَعَهُمْ سَائِرُ أَهْلِهِ وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ عِزِّ نُورِ الدِّينِ وَإِخْوَتُهُ وَكَانَتْ تَشَارُهُمْ..

وَجَاءَهُ أَحَدٌ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ تَقِيُّ الدِّينِ عُمَرُ أَخُو صَلَاحِ الدِّينِ فَقَالَ: إِذَا نَاقَاتَلْنَاهُ، وَمَنَعْنَاهُ عَنِ الْبِلَادِ، وَأَوْقَعْنَا بِهِ غَلَبَتْهُ، فَشَتَّتَهُمُ الدِّينِ أَيُّوبَ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ، وَاسْتَعْظَمَهُ، وَشَتَّمَ تَقِيَّ الدِّينِ وَتَهَدَّدَهُ..

وَقَالَ لِصَلَاحِ الدِّينِ: أَنَا أَبُوكَ وَهَذَا خَالُكَ شِهَابُ الدِّينِ، وَأَكْثَرُ مَنْ جَمِيعِ مَنْ تَرَى، وَأَنَا وَخَالُكَ هَذَا نَرَى، أَنَّهُ يَكُونُ أَنْ نُقَبِّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ..

وَلَوْ أَمَرَنَا أَنْ نَضْرِبَ عُنُقَكَ بِالسَّيْفِ لَفَعَلْنَا، فَإِنَّا كُلُّنَا عَبِيدُهُ وَنُوَّابُهُ فِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعٌ أَطَعْنَا..

وَالرَّأْيُ أَنْ تَكْتُبَ كِتَابًا تَقُولُ فِيهِ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ الْبِلَادَ، فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى هَذَا؟

مَرَاءُ وَغَيْرُ أَقْرَامُهَا الأُمْرُ، وَتَفَرَّقُوا عَلَى هَذَا، فَأَخْبَرَهُ أَيُّوبُ: بِقَائِلِ عَقْلٍ فَعَلْتَ هَذَا؟ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ نُورَ الدِّينِ إِذَا سَمِعَ بِهِ مَوْلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْنَا أَهَمَّ الْوُجُوهِ إِلَيْهِ، نَئِذٍ وَلَا حَتَّى يَقْوَى بِهِ..

أَمَّا الآنَ، إِذَا بَلَغَهُ مَا جَرَى وَطَاعَتُنَا لَهُ وَكَنَّا بِثَغْرِ بَغْرَازَ، وَعَلَى الأَمْلُ عَمَلَهَا، وَاللَّهِ لَوْ أَرَادَ نُورُ الدِّينِ قَصَبَةً مِنْ قَصَبِ السُّلْتِ لَقَاتَلَ عَلَيْهَا أَمْنَعَهُ أَوْ أُقْتَلَ..

فَعَلَ صَلَاحُ الدِّينِ مَا أَشَارَ بِهِ، فَتَرَكَ نُورُ الدِّينِ قَصَدَ الشَّيْخَ وَبِغَيْرِ فَكَانَ الأَمْرُ كَمَا ظَنَّهُ أَيُّوبُ، فَتُوُفِّيَ نُورُ الدِّينِ وَلَمْ يَقْصِدْهُ مَلَكٌ صَلَاحُ الدِّينِ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الآرَاءِ وَأَجْوَدِهَا..(١)

وروى القاضي ابن شداد:في هذه السنة -٥٦٧هـ- جرى بين نور الدين وصلاح الدين الوحشة في الباطن، كان صلاح الدين سار ونازل الشوبك وهي للإفرنج ثم رحل عنها خوفاً أن يأخذه فلا يبق ما يعوق نور الدين عن قصد مصر فنزله ولم يفتحه لذلك وبلغ نور الدين ذلك فكتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين..

ولما استقر صلاح الدين بمصر جمع أقاربه وكبراء دولته وقال بلغني أن نور الدين يقصدنا فما الرأي؟

فقال تقي الدين عمر ابن أخيه: نقاتله ونصده وكان ذلك بحضرة أبيهم نجم الدين أيوب فأنكر على تقي الدين ذلك..

وقال أنا والدكم لو رأيت نور الدين نزلت وقبلت الأرض بين يديه بل اكتب وقل لنور الدين أنه لو جاءني من عندك إنسان واحد وربط المنديل في عنقي وجرني إليك سارعت إلى ذلك..

وانفضوا على ذلك..

(١) رظا الكامل جـ ٩/ حوادث عام ٥٦٧هـ..

ثم اجتمع أيوب بابنه صلاح الدين خلوة وقال له: لو قصدنا نور الدين أنا كنت أول من يمنعه ويقاتله ،ولكن إن أظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما يكون من ذلك ،وإذا أظهر ناله الطاعة تمادى الوقت بما حصل به الكفاية من عند الله فكان كما قال.(١)

وروى الذهبي: وثمّ وفّق الدّين بْن القَيْسَرانيّ ، واجتمع من مصر بصلاح الدّين، وأبلغه رسالة نور الدّين، وطالَبَه بحساب جميع ما حصَّله، فصُبَّ ذلك عَلَيْهِ، وَمَرّ بشقّ العصا، ثمّ سكن، وأمر النُّوّاب بعمل الحساب، وعرضه عَلَى ابْن الَرانيّ ، وأراه جرائد الأجناد بأخبارهم، وقد فُنِيَ الحوادث جميع ذَلِكَ ..(٢)

وما فعله صلاح الدين في مصر لم يكن ينحصر في محيط الفاطميين والشيعة ،بل عم البلاء جميع طوائف الشعب، وشملت المصادرات كل ما هو حسن ومفيد في عيون الكرد الغزاة..

روى المقريزي: وصار كل من استحسن من الغز داراً أخرج صاحبها منها وسكنها..(٣)

وما فعله صلاح الدين بمصر و المصريين كشف لنا مآربه..

فهو حقق النفوذ والتمكن لآل أيوب..

ونصر مذهبه على مذهب الشيعة..

وحول مصر لتابعة بعد أن كانت متبوعة..

واستولى هو وعائلته على ثرواتها ومقدراتها..

ودمر ثقافتها وتراثها..

(١)انظر النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ذكر إقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)

(٢) انظر تأريخ الإسلام ترجمة العاضد..

(٣)انظر إتعاظ الحنفا ج٣ سنة سبع وستين وخمسمائة ذكر ما صار إليه أولادهم..

وارتكب المجاذر الوحشية ضد الثائرين على حكمه في القاهرة وصعيد مصر..

و سلط عبد سفيه على المصريين وهو قرقوش الذي تفنن في تعذيبهم و إذلالهم..

وأعدم الشاعر عمارة اليمني وأصحابه بتهمة التآمر على حكمه..

وأغلق جامعة الزهراء (الأزهر)..

ودمر أضخم مكتبة في الشرق..

وألقى بتراث مصر في المزابل..

وكل هذا لا صلة له بالدين وا إنما بالسياسة والمصالح..

والمصالح هى التي دفعت بصلاح الدين إلى الانقلاب على نور الدين بالشام،و على الخليفة في بغداد بعد أن خطب له في مصر وضمها والشام إلى دولته ، وأعلن نفسه سلطاناً منافساً لسلطة بغداد، وبالتالي أسهم في إضعاف دولة الخلافة مما مهد لسقوطها على يد التتار فيما بعد..

وهل من الدين خداع العاضد الذي وثق به واستأمنه والغدر به..؟

وهل من الدين خداع الخليفة العباسيوا إيهامه بعودة مصر إلى ملكه ثم انتزاعها منه بعد ذلك..؟

لكن هذه هي شخصية صلاح الدين الكردي ،فهو لم يكن أكثر من غازي طامع طموح يهدف للهيمنة والتوسع..

- شماتة الخصوم

و قد بارك الفقهاء والمؤرخون انقلابه ، لكونه أراحهم من خصومهم الشيعة..

وهو في منظور هؤلاء الفقهاء والمؤرخين يعدنصراً للإسلام باعتبار أن مذهب أهل السنة الذي يمثله صلاح الدين هو الإسلام الحق..

وقد عبر الكثير منهم عن فرحتهم بسقوط دولة الفاطميين و شاركوا العباسيين هذه الفرحة التأريخية بانهيار صرح الشيعة الذي أسهموا جميعاً في هدمه..

وذكرنا سابقاً قول أبو شامة: كانت هذه الفِعْلة من أشرف أفعاله، فَلَنِعْمَ ما فعل، فإنّ هَؤُلاَءِ كانوا باطنيَّةً زنادقة، دَعَوْا إلى مذهب التّناسخ، واعتقاد حلول الإلهيّ في أشباحهم..

وقد نقلها عنه الذهبي وابن خلكان..

روى الذهبي: كتب السّلطان صلاح الدّين إلى وزير بغداد عَلَى يد شمس الدّين محمَّد بن الحُسَيْن بن المحسّن بن أَبِي المضاء البَعْلَبَكّيّ الَّذِي خطب أوّل شيءٍ بمصر لبني العَبَّاس في أوّل السّنة بإنشاء الفاضل، كتاباً فيه:

قد توالت الفُتُوح غرباً وشرقاً ويَمَنًا وشآماً، وصارت البلاد والشّهر بل الدّهر حرماً حراما، وأضحى الدّين واحداً بعد ما كان أدياناً..

والبِدْعة خاشعة، والجمعة جامعة، والمذلَّة في شِيَع الضّلال شائعة. ذلِكَ أنّهم اتّخذوا عباد اللَّه من دون أولياءَ، وسمّوا أعداءَ اللَّه أصفياء. وتقعّدوا في أمرهم شِيَعًا، وفرَّقوا أمر الأمَّة وكان مجتمعاً وكذّبوا بالنّار، فعُجِّلَتْ لهم نار الحُتُوف، ونثرت أقلامُ الظُّباء حروفَ رُءوسهم نَثْر الأقلام للحروف. ومُزِّقوا كلّ ممزَّق، وأخذ منهم كلّ مخنق. وقطع دابرهم، ووعظ آتيهم غابرهم..

ورَغمت أُنوفهم ومنابرهم، وحقَّت عليهم الكلمة تشريداً وقتلاً وتمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صَدْقاً وعَدْلاً، وليس السّيف عمّن سواهم من الفرنج بصائم، ولا اللّيل عَنِ السَّير إليهم بنائم. ولا خفاء عَنِ المجلس الصّاحبيّ أنّ من شدّ عقْد خلافة، وحلّ عقد خلاف، وقام بدولةٍ وقعد بأخرى قد عجز عَنْهَا الأخلاف والأسْلاف، فإنّه يفتقر إلى أن يُشكر ما نصح، ويُقَلَّدَ ما فتح، ويبلَّغ ما اقترح، ويقام حقّه ولا يطَّرَح، ويقرَّب مكانه وإن نَزَح، وتأتيه التّشريفات الشّريفة..(١)

(١)انظر تأريخ الإسلام ترجمة العاضد

ويعرب ابن خلكان عن فرحه وسعادته البالغة بمنجزات صلاح الدين بقوله : وأضحى الدين واحداً بعد أن كان أدياناً ، والبدعة خاشعة ، والجمعة جامعة ، والمذلة في شيع الضلالة شائعة،وذلك بأنهم اتخذوا عباد الله من دونه أولياء..

سموا أعداء الله أصفياء وتقطعوا أمرهم بينهم شيعاً وفرقوا أمر الأمة وكان مجتمعاً ، وكذبوا بالنار فجعلت لهم نار الحتوف ،ومزقوا كل ممزق وقطع دابرهم وحقت عليهم الكلمة تشريداً وقتلاً (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) (١)

وتأمل قوله أضحى الدين واحداً والمذلة في شيع الضلالة شائعة..

إن هذا يعني أنهم جعلوا مذهبهم ديناً..

وهم فرضوه بالقوة ليصبح بغير منافس..

وتأمل التهم الجزافية غير المعقولة مثل: اتخاذ عباد الله من دونه أولياء وتسمية أعداء الله بالأصفياء والتكذيب بالنار..

إن مثل هذه التهم لم ترد على لسان أحد من المؤرخين ،فضلاً عن كونها تنم عن قلة وعي ، فلم توجد فرقة بين المسلمينأنكرت الآخرة أو كذبت بالنار..

والسؤال هنا: هل توحدت الأمة بقيادة صلاح الدين..؟

وهل كان أمرها مجتمعاً قبل قيام الفاطميين..؟

ألا يعلم هؤلاء أن صلاح الدين شق عصا الطاعة على خليفة زمانه العباسي وأقام مملكة له ولأولاده على حساب مصر والمصريين، وعلى حساب إمامه نور الدين..؟

وَقَالَ الْعِمَاد فِي الخريدة أَبُو الْقَاسِم هبة الله بن عبد الله بن كَمَال الدَّاعِي الدعاة بِمِصْر للأدعياء وقاضي الْقُضَاة لأولئك الأشقياء يلقبونه بفخر الأمناء وَهُوَ عِنْدهم فِي الْمحلة العلياء والمرتبة الشماء والمنزلة فِي السَّمَاء..

(١)وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٣٤١، نقلاً عن تاريخ الذهبي..

حَتىَّ انكدرت نجومهم وتغيرت رسومهم وأقيم قاعدهم وعضد عاضدهم وأخيلت مِنْهُم مصرهم وَأجلى عَنْهُم قصرهم فحرّك ابْن كَامِل نَاقص بالذ عَهَنْم والشدّ مِنْهُم لأم.قوما على الْبيعَة لبَعض أَوْلاَد العاضد ليلغو بِهِ مَا تخيلو الْمَقَاصِد وسوّ، لوه من المكايد فأثمرت بجثثهم الجْذُوع ،وأقفرت من جسومهم الربوع وأحكمت في حُلُوقهم هَذَا النَّوَاع أوّل من ضمه حَبل الصلب وَأمه فاقرة بالصلب وَهَذَا صنع الله فِيمَن ألحد وَكفر النِّعْمَة وَجحد..(١)

وتأمل شماتة السيوطي حيث يقول : وأخذ صلاح الدين في نصر السنة وإشاعة الحق وإهانة المبتدعة والانتقام من الروافض وكانوا بمصر كثيرين..(٢)

وقد انبرى السيوطي في كتاب أصدره بهذه المناسبة أسماه :

كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد..

وألف ابن الجوزي كتاباً أسماه : **النصر على مصر** . .

وألف أبو بكر الباقلاني كتاباً أسماه :كشف الأسرار وهتك الأستار . .

وألف الغزالي كتاباً أسماه : فضائح الباطنية . .

وألف غير ذلك كثير من الكتب بأوامر وتوجيهات الحكام والسلاطين..

فأي جناية تلك التي ارتكبها هؤلاء الفقهاء والمؤرخين في حق الدين وفي حق التاريخ وفي حق الأجيال القادمة..؟

(١)انظر عيون الروضتين ج١ حوادث سنة ٥٦٩هـ..

(٢)انظر حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ ٢ ذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب إلى أن اتخذها الخلفاء العباسيون دار الخلافة..

ولم يكن أمر الشماتة ينحصر في الفقهاء والمؤرخين بل امتد ليشمل الشعراء الذين يأكلون على كل الموائد الذين أورد نماذج من شعرهم السيوطي:

قد خطبنا للمستضئ بمصر * نائب المصطفى إمام العصر

ألستم مزيلي دولة الكفر * من بني عبيد بمصر

هذا هو الفضل

زنادقة شيعية باطنية مجوس * وما في الصالحين لهم أصل (١)

و هم رغم هذا كله لم يتمكنوا من هدم التشيع..

ولكن مصر هى التي هدمت وشعبها هو الذي دفع الثمن..

و هؤلاء الفقهاء والمؤرخين لا تعنيهم الأوطان في شئ..

ما يعنيهم هو مذاهبهم ومصالحهم..

وهى نفس حالة الذين يصرخون اليوم في وجه الشيعة ، ويطالبون بإخراجهم من مصر لينفردوا بها ويشكلونها وفق مصالحهم و مذاهبهم الوافدة..

ومما يثير التساؤل والتعجب أن هذا البطش وهذه القسوة التي واجه بها صلاح الدين شعب مصر – ولا أقول شيعة مصر – وقد ترك عليها تابعة قراقوش الذي يضرب به المثل إلى اليوم في مصر – هذا البطش وهذه القسوة يقابلها تسامح وتساهل مع أعداء الإسلام والمسلمين من الصليبيين يكاد يخرج عن حدود الإسلام..

وتروي لنا كتب التاريخ أن الصليبيين كانوا يخرجون من بيت المقدس بعربات محملة بالنفائس والجواهر والذهب ومعهم أطفالهم ونسائهم ومتعلقاتهم وكذلك اليهود..

وهم حين دخلوا بيت المقدس جعلوا الدماء تجري فيها كالأنهار ولم يرحموا طفلاً و لا شيخاً ولا امرأة..

فعل هذا صلاح الدين مع الصليبيين واليهود لكنه لم يفعله مع المسلمين من الشيعة، فقد بطش بهم البطشة الكبرى وفعل بهم ما تقشعر له الأبدان..

كيف يبرر مثل هذا السلوك . . ؟

(١)انظر المرجع السابق..

وإذا كان الشيعة كفار زنادقة وإبادتهم قربى إلى الله في منظوره فالصليبيين واليهود كفار وزنادقة أيضاً ، فلماذا التسامح هنا والبطش هناك..؟

لقد كانت لصلاح الدين بطانة حاقدة من الفقهاء والمنافقين الذين كانوا يزينون له مثل هذا السلوك العدواني ويبررونه بدافع حماية عقيدة المسلمين والحفاظ عليها..

و القاضي ابن شداد وصف صلاح الدين في سيرته بقوله: أنه كان حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى..

ولو لم يكن على مذهبه ما قال فيه هذا الكلام..

- قراقوش

ومن صور الانتقام والتشفي في مصر والمصريين تسليم صلاح الدين عبده قراقوش أمر البلاد والعباد وتسليطه على الأسرة الفاطمية التي ظلت رهينة الحبس والاعتقال على عينه وتحت حراسته..

روى ابن الأثير: وَلَى الْجَمِيعِ بَهَاءَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، خَصِيٌّ أَبْيَضُ، وَكَانَ لَا يَجْرِي فِي الْقَصْرِ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ إِلَّا مَعَ أَمْرِ حُكْمِهِ ..(١)

قَالَ وَالْعَوْهَمَ إِلَى: الْيَوْمِ فِي حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره يكلؤهم ويحرسهم بِعَيْنِ حزمه فِي ليله ونهاره وَجمع الْبَاقِينَ من عمومتهم وعترتهم من الْقَصْرِ فِي يوإَان وَاحْتَرز عَلَيْهِم فِي ذَلِك الْمَكَان بِكُل إِمْكَان وَأبْعَدَهُمُ النِّسَاءَ لَئِلَّا يتناسلوا فيكثروا وهم إِلَى الْآن محصورون محسورون لم يظهروا وَقد نقص عَددهمْ وقلص مددهم ثمَّ عرض من بِالْقصرِ من الْجَوَارِي وَالْعَبِيد والعدّة والعديد والطريف والتليد فَوجدَ أكثرهن حرائر فأطلقهن وَجمع الْبَاقِيَات فوهبهن وفرقهن وأخلى دوره وأغلق قصوره وسلّط جوده ى الْمَوْجُود وأبطل الْوَزْن وَالْعد عَن الْمَوْزُون والمعدود وَأخذ كل مَا صلح لَهُ ولأهله ولأمرائه وخواص مماليكه وأوليائه من أخاير الذَّخَائِر وزواهر الْجَوَاهِر ونفائس..(٢)

(١)انظر الكامل ج ٩ حوادث عام ٥٦٤هـ..

(٢)انظر عيون الروضتين ج٢ حوادث سنة سبع وستين وخمس مئة..

وقال الذهبي الأمير بهاء الدّين الأَسَديّ، الخادم الأبيض فتى أسد الدّين شيركوه، لمّا استقلّ السّلطان صلاح الدّين بمصر جعله زِمام القصر، وكان مسعودا، ميمون النّقيبة، صاحب همَّة. بنى السّور المحيط بمصر والقاهرة، وبنى قلعة الجبل، وبنى قناطر الجِيزة في الدّولة الصّلاحيَّة..

ولمّا فتح صلاح الدّين عكّا سلّمها إليه، فلمّا أخذتها الفرنج حصل قراقوش أسيرا في أيديهم. فافتكّه منهم بعشرة آلاف دينار فِيما قيل..

وله حقوق على السّلطان والإسلام..

وللأسعد بْن مماتي كرّاس سمّاه **الفاشوش فِي أحكام قراقوش** فيه أشياء مكذوبة عليه، وما كان صلاح الدّين ليستنيبه لولا وثوقه بعقله ومعرفته..

تُوفِّيَ في رجب، ودُفِن بسفح المقطّم..

قال المنذري: كان له رغبة في الخير وآثار حَسَنة، وناب عن صلاح الدّين مدَّة بالدّيار المصريَّة..(١)

وقال ابن كثير: الأَمِيرُ بَالدِّينِ قَرَاقُوشُ الفحل الخصي، أحد كبار كتاب أُمَراءِ الدَّوْلَةِ الصَّلاَحِيَّةِ، كَانَ شَهْمًا شُجَاعًا فَاتِكًا، انْقَصَمَ رَمَاتَ الْعَاضِهِ وَمَرَّ الْقَاهِرَةَ مُحِيطًا عَلَى مِصْرَ أَيْضًا، وَانْتَهَى إِلَى قَاسُومَ الْمَذْكَيْنِ، وَالْتَسَمَتْ فِيهِ الصَّحَابَةُ مَا غَنِمُوا مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَالْجَبَلِ، وَكَانَ صَلاَحُ الدِّينِ سَلَّمَهُ يُعَمِّرَ فِيهَا أَمَاكِنَ كَثِيرَةً فَوَقَعَ الْحَرْبُ، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَهَا كَانَ هُوَ مِنْ جَمْجَمَةٍ، ثُمَّ دَخَلَهَا ابْنُ الْمَشْطُوبِ..

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ أُسِرَ فَافْتَدَى نَفْسَهُ بِعَشَرَةِ آلاَفِ دِينَارٍ وَإِلَى صَلاَحِ الدِّينِ فَفَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَلَمَّا تُوُفِّيَ هَذِهِ السَّنَةَ حَتْ الْعَطَاءَ إِلَى تُرْكَتِهِ وَرَضَا أَقْطَاعُهُ وَأَمْلاَكُهُ لِلْمَلِكِ الكامل محمد بن العادل..(٢)

(١)انظر تاريخ الإسلام حرف الميم رقم ٣٨٦

(٢)انظر البداية والنهاية ج١٣ ص٣٤٣ وتسعين وخمسمائة..

ونقل عن: وحقاً كان نقوله إليه أحكام عجيبة، حتى بعضهم جزءاً لطيفاً سماه كتاب "الفاشوش في أحكام قراقوش" فإذا كثيرة جداً وأظنها موضوعة عليه، فإن الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه، فكيف يعتمد على من بهذه المثابة والله أعلم..(١)

وقال ابن العماد: وفيها قراقوش الأمير الكبير الخادم بهاء الدّين الأبيض فتى الملك أسد الدّين شيركوه، وقد وضعوا عليه خرافات لا تصحّ، ولولا وثوق صلاح الدّين بعقله لما سلّم إليه عكا وغيرها، وكانت له رغبة في الخير وآثار حسنة..

قال ابن شهبة: أسر في عكا ففداه السلطان بستين ألف دينار، وهو الذي بنى قلعة القاهرة والسور على مصر والقاهرة، والقنطرة التي عند الأهرام، وله مع المصريين وقعات عجيبة، حتىّ صنّفوا له كتاب «الفافوش في أحكام قراقوش»..(٢)

- رد الفعل

بعد أن أسقط صلاح الدين حكم الفاطميين وأمسك بزمام الأمور في مصر استدار نحو جماهير الشيعة والمجتمع المصري ليمحو التشيع من ساحته..

وكان من الممكن أن يترك الجماهير على عقيدتها ما دام قد سيطر على البلاد واعتقل العائلة الفاطمية..

إلا أنه أبي وأصر على أن يستأصل الشيعة والتشيع من مصر . .

فهل كان موقفه المتشدد هذا تجاه الشيعة نابعاً من عقيدته السنية ، أم كانت له دوافعه السياسية..؟

(١)انظر المرجع السابق..

(٢)انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٦ ٥٩٧هـ، وانظر ترجمته في كتب التأريخ..

يحدثنا التاريخ أن صلاح الدين كان شافعياً ..

وهنا تبرز صفته المذهبية بصورة تدعونا إلى تفسير موقفه تجاه الشيعة على أساس أنه حماية للدين كما يحلو للبعض من المؤرخين والفقهاء أن يصور الأمر على أنه صراع بين الحق والباطل..

وكما هو واضح من الروايات السابقة أن الأمر في المقام الأول الهدف منه تثبيت حكم صلاح الدين في مواجهة خطر داهم يتهدده وهو خطر الجماهير الشيعية المتربصة به..

من هنا أخذ صلاح الدين الشيعة بجريرة الفاطميين ولو كان منصفاً لاكتفى بتصفية الفاطميين كحكم وسلطة ، لكنه تجاوز هذا الحد إلى مطاردة المذهب ذاته وتصفية أتباعه والبطش بهم..

مما دفع بالشيعة الذين استفزتهم هذه الممارسات العدوانية إلى الثورة في وجهه والتربص به لقتله..

ولو كان الشيعة يومئذ أقلية لما تطلب الأمر من صلاح الدين أن يتطرف في مواجهتهم إلى هذا الحد..

ولو كان الشيعة لا وزن لهم ولا فاعلية لما كان هناك مبرر لاستئصالهم . .

ولو كان الوجود الإعلامي للشيعة ضعيفاً لما تطلب الأمر منه أن يقوم بدعم المدارس الشافعية والمالكية ويغدق عليها العطاء ويفرضها فرضاً على المصريين..

ويحرق نفائس الكتب التي كانت بدار الحكمة ودار العلم ويغلق الجامع الأزهر..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : هل تم ذلك في هدوء دون أي صعوبات..؟

كان من نتائج السياسة الإرهابية الدموية التي اتبعها صلاح الدين في مواجهة الشيعة أن فر الشيعة إلى الشام وجنوب مصر حيث لا تزل دعوة التشيع لها أعوانا في مأمن من بطشه..

وقد أخذت التجمعات الشيعية هناك في تجميع صفوفها من أجل التصدي له..

وروي شهاب الدين المقدسي :اجتمع جماعة من دعاة الدولة المصرية المتعصبة المتشددة المتصلبة وتزاوروا فيما بينهم خيفة وخفية وأحكموا الرأي والتدبير وتبيتوا أمرهم بليل..

وبعد أن أوشى بهم زين الدين علي (واحد منهم) أمر السلطان بإحضار مقدميهم واعتقالهم لإقامة السياسة فيهم ، وصلب يوم السبت ثاني شهر رمضان جماعة منهم بين القصرين منهم عمارة ، وأفنى بعد ذلك من بقي منهم..

وَكَانَ الْفَقِيه الْوَاعِظ زين الدّين عَليّ بن نجا يُناجيهم فيمَا زين لَهُم من سوء أَعْمَالهم ويداخلهم في عزم خُرُوجهم لمطالعة أَحْوَالهم وتقاسموا الدّور والأملاك ،وكادت آمالهم تَدْنُو من الإِدْرَاك..

فجَاء زين الدّين الْوَاعِظ وأطلع صَلاَح الدّين على فسادهم وسوء مَا هم من مُرَاد مُرَادهم وَطلب الدّلاَعِي من الْعقار والدور وكلّ مَاله من الْمَوْجُود والمخور فبدل لَهُ السُّلْطَان كل مَا طلبه وَأمره بمخالطتهم ورغبه..

ثمَّ أَمر السُّلْطَان بإحضار مقدميهم واعتقالهم لإِقَامَة السياسة فيهم وصلب يَوْم السبت ثَانِي شهر رَمَضَان جمَاعَة مِنْهُم بَين القصرين مِنْهُم عمَارَة ،وأفنى بعد ذَلِك من بَقِي مِنْهُم وَمَات بموتهم الْخَعَنْهُم..(١)

قَالَ ابْن أَبِي طَيّ هَذِه السّنة اجْتمع جمَاعَة من دعاة المصريين وَتَآمَرُوا فِيمَا بَينهم خُفْيَة وَبكوا على أنقراض دولة المصريين وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ من الذل والفقر، ثمَّ أَجمعُوا آراءهم على أَن يقيموا خَليفَة ووزيراً ويجتمعوا هم جَمَاعَة عينوهم الأَمْرَاء وَغَيرهم..

(١)انظر عيون الروضتين في أخبار الدولتين عمارة اليمني الشَّاعِر وَأَصْحَابه،وتأمل سلوك زين الدين الواعظ الذي تخلى عن دوره كواعظ وتحول إلى بصاص يطلب الجاه والمال، وانظر ترجمة عمارة في كتب التأريخ، وانظر نماذج من شعره في خريدة الْقصر وجريدة الْعَصْر..

وَأَن يكاتبوا الفرنج ويثبوا بِالْملكِ النَّاصِر وأدخلوا مَعَهم فِي هَذَا الأَمْر ابْن مصال وواعدوا جمَاعَة من شيعَة المصريين لَيْلَة عينوها وكاتبوا الفرنج بذلك وقرروا مَعَهم الْوُصُول إِلَيْهِم فِي ذَلِك الزَّمَان الْمُقَرّر ،فخانهم بِابْن مصال فِيمَا عاهدهم عَلَيْهِ ونكث فِي الْيَمين وكفّر عَنْهَا..

وَصَارَ إِلَى الْملك النَّاصِر وعرفه بجلية مَا جرى فأحضرهم رَاحًا وَاحِدًا ،وقررهم على هَذِه الْأَقْوَال فاعترفوا وَاعْتَذَرُوا بكونهم قطعت رِزَاقهم فأخذت أَمْوَالهم..

فأحضر السُّلْطَان الْعلمَاء واستفتاهم فِي أَمرهم فأفتوه بِقَتْلِهِم وصلبهم ونفيهم فَأمر بصلبهم..

وَقيل إِن الَّذِي أذاع سرهم زين الدّين عَلِيّ الْوَاعِظ وَلَبِط جمَيع مَا لِابْنِ الدَّاعِي من الْعقار وَالْمَال فَأَعْطَاهُ جمَيع ذَلِك..(١)

قَالَ ابْن شَدَّاد عن الكنز قائد الثورة في الصعيد: الْكَنْز لِسَان مقدم من المصريين كَانَ قد انتزح إِلَى أسوان فَأَقَامَ بِهَا مَالم يزل يدبره أمره وَيجمع الدَّانِ عَلَيْهِ وَيخيل لَهُم أَنه يملك الْبِلَاد وَيُعِيد الدولة مصرية..

وَكَانَ فِي وَبَقُ الْقَوْم من المهاواة للمصريين مَا تستغرب هَذِه الْأَفْعَال عِنْدَهُ فَاجْتمع عَلَيْهِ خلق كثير وَجمع وافر من السودَان وَقصد قوص وأعمالها فَانْتَهَى خبره إِلَى صَلَاح الدّين فَجرد لَهُ عسكرًا عَظِيمًا شاكين فِي السِّلَاح من الَّذين ذاقوا حلاوة ملك مصر المصرية وخافوا على فَوت ذَلِك مِنْهُم..

وقدّم عَلَيْهِم أَخَاهُ سيف الدّين وَسَار بهم حَتَّى أَتَى قَوْمًا فَلَقِيَهُمْ بمصاف فكسرهم وَقتل مِنْهُم خلقًا عَظِيمًا واستأصل شأفتهم وأخمد نَائِرَتَهُم فِي السَّابع من صفر سنة سبعين واستقرت قَوَاعِد الْملك..

(١)انظر المرجع السابق..

قَالَ والْعَفِيفِ الأول سنة سبعين مستهلها قَامَ الْمَعْرُوف بالكَيْلِ الصَّيْدَ وَجمع من كَانَ فِي الْبِلَاد من السودَان وَالْعَبِيد، عدا ودعا من الْقَرِيب والبعيد وكَانَ عِنْده من الأُمَرَاء أَخ لحسام الدّين بن أبي الهيجاء السّمين فقتك به بمن هُنَاكَ من المقطعين فغارت حمية أَخِيه وثارت للثأر وساعده أَخُو السُّلْطَان سيف الدّين عز الدّين موسك ابْن خَاله وعدة من أمرائه وَرجوا إِلَى مَدِينَة طود فتحصنت عَلَيْهِم وَاسْتَعْصَمَت البلية إِلَيْهَا وَوَقَعت وأتى السَّيْف على أَهْلهَا وباءت بعد عزها بذلها..

ثمَّ قصد الْكَنْز وَهُوَ فِي طغيانه وعدوانه وسوئه وسودانه فَهُزِمَ وَظهر بعض ظُهُور وجوده عَدوه وأريقت دِمَاء سوده وهجم غابه على أسوده..

وَلم يبْق للدولة بعد كنزها كنز وطلّ دَمه وَلم ينتطح فِيهِ عنز ،وارتدع المارقون فَارقوا بعده سلم نفاق وَالله لناصري دينه نَاصِر رواق..

وَقَالَ ابْن أبي طيّ اتفق أَيْضاً أَن خرج بقرية من قرى الصَّعِيد يُقَال لَهَا طود ،رجل يعرف بعباس بن شاذي وثار فِي بِلَاد قوص ونهبها وخربها..

وَأخذ أَمْوَال النَّاس واتصل ذَلِك بِالْملك الْعَادِل سيف الدّين أبي بكر بن أَيُّوب كَانَ السُّلْطَان قد استنابه بمصر فَجمع لَهُ العساكر وأوقع بِهِ بوبّد شمله وفضوعه وَقَتله..

ثمَّ قصد بعده كنز الدولة الْوَالِي بأسوان وَكَانَ قصد بلد طود فَقتل أَكثر عسكره وهرب فأدركه بعض أَصْحَاب الْملك الْعَادِل فَقتله..(١)

(١)انظر المرجع السابق ج١ حوادث سنة سبعين وَخمْس مئة..

وروي ابن تغري بردي عن أحداث عام ٥٧٠هـ: وكان أهل مصر يؤثرون عودهم – أي عودة الفاطميين – فسير صلاح الدين جيشاً كثيفاً وجعل مقدمه أخاه الملك العادل فساروا والتقوا به – أي بزعيم الثورة –وكسروه . ثم بعد ذلك استقرت له قواعد الملك..

وفي عام ٥٧٢ هـ روى : وفيها كان مقدم السودان من صعيد مصر ، ساروا من الصعيد إلى مصر في مائة ألف ليعيدوا الدولة الفاطمية ، فخرج إليهم أخو صلاح الدين الملك العادل بكر وبمن معه من عساكر مصر والتقوا مع السودان فكانت بينهم وقعة هائلة وقتل كبير السودان ومن معه.. (١)

وهذه هي الثورة الثالثة التي قام بها الشيعة ضد صلاح الدين وكانت في السنة السادسة من حكمه . .

وروى المقريزي في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة:كانت فتنة كبيرة بمدينة قفط، سببها أنّ داعيا من بني عبد القوي، ادّعى أنه داود بن العاضد، فاجتمع الناس عليه، فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب على جيش، فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف، وصلبهم على شجرها ظاهر قفط بعمائمهم، وطيالستهم..(٢)

وقال ياقوت الحموي في وفاة القاضي الأشرف أبو الفضائل التيمي سنة ٥٤٨ هـ بقفط،وكان الأشرف قد خرج من قفط في سنة ٥٧٢ هـ في الفتنة التي كانت بها بسبب الإمام الذي أقاموه، وكان من بني عبد القرى الداعي،وادّعى أنه داود بن العاضد فيها، فأنفذ الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبا بكر فقتل من أهل فقط نحو ثلاثة آلاف وصلبهم على شجرهم بظاهر قفط بعمائمهم وطيالستهم..(٣)

(١) انظر النجوم الزاهرة جـ ٦ ، وانظر أحداث سنة ٥٨٤ هـ ومحاولة التحريض على الثورة بالقاهرة..

(٢)انظر المواعظ والاعتبار جـ ١ ،ذكر مدائن أرض مصر ،ذكر مدينة قفط بصعيد مصر ،والطيالس نوع من الملابس..

(٣)انظر معجم البلدان ج٢ باب الجيم والألف وما يليهما ، جبلة

وظهرت دعوة شيعية للثورة ضد صلاح الدين في القاهرة قادها اثنى عشر رجلاً ..

ثار روى ابن الأثير: جماعة من العشية تهمهم شراثر رجلاً ويلنادوا
عار العلويين: يا لعلي، يا لعلي، وسلكوا ينادون، ظنا أن رعية البلد
دعوتهم. ويخرجون معهم، فيعيدون الدولة العويخون بعض بالقصر
بوسا منهم، ويملكون البلد فلم يلتفت إليهم، وهلم أسمعه..
فلما رأوا ذلك تفرقوا خائفين، فأخذوا بذلك صلاح الدين فأهمه أمرهم
وأزعجه..

دخل عليه القاضي الفاضل، فأخبره بالخبر..

فقال القاضي الفاضل: ينبغي أن تفرح بذلك لأنه تمت، عليمت من
واطن رعيتك المحبة لك والنصح ترك إلى عدوك، وتعجماعة
لون مثل هذه الحالة لنعلم بواطن صلاحك وخيسرمت الأجلية
عليهم. لكان قليلاً فسري عنه..(١)

وقد تعرض صلاح الدين لعدة محاولات لاغتياله في مصر والشام من قبل عناصر شيعية سعت للانتقام منه بسبب جرائمه في حق الشيعة..

روي ابن تغري عن أحداث عام ٥٧١ هـ : وفيها وثب الإسماعيلية على السلطان وهو على إعزاز – مكان بالشام – جاءه ثلاثة في زي الأجناد فضربه واحد بسكين في رأسه فلم يجرحه وخدشت السكين خده وقتل الثلاثة..(٢)

وفي حصار صلاح الدين لحلب هاجمت مجموعة فدائيي الإسماعيلية خيمة صلاح الدين واصطدموا بحراسه ودار قتال سقط فيه عدد من القتلى والجرحى من الجانبين . وحدثت غارة إسماعيلية أخرى سقط فيها عدد من الجرحى ،مما دفع بصلاح الدين إلى محاصرة قلاع الإسماعيلية بالشام وقتل وأسر الكثيرين..

(١)انظر الكامل في أربع حوادث ثمانين وخمسمائة ..

(٢)انظر النجوم الزاهرة ج٦ حوادث سنة إحدى وسبعين وخمسمائة..

قَالَ الْعِمَادُ: حادي عشر ذي الْقعدَة قفز الحششية على السُّلْطَان الْأَعْظَم وَهُوَ نَازل على عزاز وَكَانَ للأمير جاولي الأَسدي خيمة قريبَة من المنجنيقات..

وَكَانَ السُّلْطَان يحضر فِيهَا كل يَوْم لمشاهدة الآلات وترتيب الهجم وَيحض الرِّجال والحث على الْقِتَال فَبَيْنَمَا هُوَ فِي زِيّ الأجناد وقُوف والرِّجال حَوْله صُفُوف إِذْ قفز واحدٌ مِنْهُم فَضرب رَأسه بسكينه فعاقته صَفَائِح الْحَدِيد المدفونة كمته عَن تمكينه ولفحت المدية خدّه فخدشته فقوّى السُّلْطَان قلبه وحاش رَأس الحشيشي بِيَدِهِ وجذبه وَوَقع عَلَيْهِ وَركبهُ وأدركه سيف الدّين يازكوج فَأخذ حشاشة الحشيشي وبضعه وقطعه..

وَجَاء آخر فاعترضه الأَمِير دَاوُد بن منكلان فَمَنعه وجرحه الحشيشي جَرَاحَات بعد أَيَّام..

وَجَاء آخر فعانقه الأَمِير عَلِيّ بن أبي الفوارس وضمه من تحت إِبطه وَبقيت يدُ الحشيشي من وَلَا يتمكن من الضَّرْب لِأَنَّهُ كُشف مَا عراه من الكرب..

فَنَادَى اقتلوني مَعَه فقد قتلني وأذهلني فطعنه نَاصر الدّين بن شيركوه وَبَخرج بِآخر من الْخَيْمَة مُنْهَزِمًا وعَلى الْفَرَس يَارُضَه مدمى فثار عَلَيْهِ أهل السُّوق فقطعوه..

السُّلْطَان أَفَلَا الْمَرْكب وَجَاء إِلَى سرادقه وَقد خرعه الْحَادِث وقرعه الكارث ،وصوته جَهوري وزئيره قسوّري وَدم خَدّه سَائل وَعطف روعه مائل..

وَمن بعد ذَلِك رعب ورهب وَاحْترز واحتجب وَضرب حول سرادقه مِثَال خشب الخركاة وَأزر أَقَامَهُ وَتحجل فِي بَيت الْخَشب..

وبرز للنَّاس كالمحتجب وَمَا صرف إِلاَّ من عرفه وَمن لم يعرفه صرفه ،إِذْ لَا يبصر من لَا يعرفه فِي موكبه أبعده..

وَقَالَ ابْن أبي طي لما فتح السُّلْطَان حصن بزاعا ومنبج أَقَرَّ من بخر مُوجَا في أَيْديهم من المعاقل والقلاع وأعاد نصب الحبائل للسُّلْطَان..

فكاتبوا سِنَانًا صَاحب الحشيشية مرّة ثَانِيَة ورغبوه بالأموال والعمل وَلَجُّوا على إِنْفَاذ من يفتك بالسلطان فَأرْسَلَ من أَصْحَابه فجاؤوا بزي الأجناد وحلوا بَين الْمُقَاتلَة..

وباشروا الخَبَر وأبلوا فِيهَا أحسن الْبلاَء وامتزجوا بأصحاب السُّلْطَان لَهُ لَمْ يجدون فَبَيْنَمَا السُّلْطَان يَوْمًا جَالس في خيمته إِذَا بالحشيشي وَالْحَرْبَة وَالسُّلْطَان مَشْغُول بِالنَّظر إِلَى الْقِتَال إِذَا بالحشيشي وثب عَلَيْهِ أحد الحشيشية وضربه بسكينة على رَأسه..

وَكَانَ محترزا خَائفًا من الحشيشية لاَ ينْزع الزردية عَن بدنه لانتزاع الحديد عَن رَأسه فَلم تصنع ضَرْبَة الحشيشي شَيْئًا لصفائح الحَدِيد..

وأحس الحشيشي بصفائح الحَدِيد على رَأس السُّلْطَان فسبح يَده بالسكينة إِلَى خد السُّلْطَان فجرحه وَجرى الدَّم على وَجهه فتعتع السُّلْطَان لذلك..

وَلما رأى الحشيشي ذَلِك هجم على السُّلْطَان وجذب رَأسه حَتَّى وَضعه على الأَرْض وَركبهُ لينحره وَكَانَ من حول السُّلْطَان قد أدركتهم دهشة أخذت بعقولهم وَحضر في ذَلِك الْوَقْت سيف الدّين يازكوج..

وَقيل إِنَّه كَانَ حَاضرًا سَيْفه وَضرب الحشيشي فَقتله جَاء آخر من الحشيشية أَيْضًا يقْصد السُّلْطَان فاعترضه الأَمِير منكلان الكرادي وضربه بالسَّيْف وَسبق الحشيشي إِلَى منكلان فِي جَبهته وَقَتله مَات منكلان من ضربة الحشيشي بعد أَيَّام..

وَخرج آخر من الحشيشية مُنْهَزِمًا فَلَقِيَهُ الأَمِير شهَاب الدّين محمود خَال السُّلْطَان فتنكب الباطني عَن طَرِيق شهَاب الدّين فقصده أَصْحَابه وقطعوه بالسُّيُوف..

وَأما السُّلْطَان فَإِنَّهُ ركب من وقته إِلَى سرادقه وَدَعَا بِمَا يَأْخُذ من ذَلِك الْوَقْت فِي الاحتراس والاحتراز..

وَنصب لَهُ فِي وسط سرادقه كرسي خشب كَانَ يجلس فِيهِ وَلَا يدْخل عَلَيْهِ إِلَّا وَبَطَلَت مَا لَا يعرفه فِي ذَلِك الْيَوْم وَخَافَ النَّاس على السُّلْطَان ،واضطرب الْعَسْكَر وَخَافَ النَّاس بَعضهم..

وَالمفرغ السُّلْطَان على من بحلب لما فَعَلُوهُ من أَمر الحشيشية ،ار حَتَّى نزل على حلب خَامِس عشر ذِي الْحِجَّة ضربت خيمته على رَأس الياروقية فَوق جبل جوشن وحمى أموالها وأقطع ضياعها وضيق على أَهلهَا وَلم يفسح لعسكره فِي مقاتلتها بل كَانَ يمْنَع أَن يدْخل إِلَيْهَا شَيْء أَو يخرج مِنْهَا أحد..(١)

فَلَمَّا انتظم الصُّلْح عام ٧٢ ذكر السُّلْطَان ثَأْره الاسماعيلية وَكَيف قصدوه فَبرز لَهُ الْوَلِيّ الْجُمُعَة لعشر بَقين من الْمحرم فحصر حصنهم مطيث وَنصب عَلَيْهِ المجانيق الْكِبَار وأوسعهم قتلاً وأسراً وسَاق أبقارهم وَدِيَارهم وَهدم أعمارهم وهتك أستارهم..(٢)

وفي سنة إحدى وسبعين، وعليها وثب الإسماعيلية عليه، فنجّاه الله من كيدهم، وظفر بهم، ولم يفل ذلك عزمه..(٣)

(١)كان التشيع وقتها يسود حلب التي كانت مقر الدولة الحمدانية الشيعية..

(٢)انظر عيون الروضتين ج١ سنة ٥٧٠ وَخَمْس مئة وما بعدها فصل في وثوب الحشيشية على السُّلْطَان مرّة ثَانِيَة على عزاز وَكَانَت الأولى على حلب، والحشيشية هم من فدائي الإسماعيلية الذين أطلقوا عليهم اسم الحشاشين من باب التشويه، وتأمل انتقام صلاح الدين من الشيعة بحلب ومناطق الإسماعيلية ..

(٣)انظر النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ج١ ذكر مسير سيف الدين بنفسه..

وصور الانتهاكات والممارسات اللاإنسانية التي مارسها صلاح الدين مثل:

عزل الرجال عن النساء..

الحبس حتى الموت..

مصادرة البيوت والممتلكات..

إحراق المكتبات..

وا إحراق بيوت السودان على أولادهم وأموالهم..

وا إعدام الآلاف في قفط بصعيد مصر..

وا إعدام المعارضين لحكمه..

وفرض المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية بالقوة..

وتدمير حلب وتعذيب أهلها..

واستحلال دماء وأموال وأعراض الإسماعيليين..

ذلك وغيره يكشف لنا أنه لم يكن بريئاً، بل كان مجرماً..

وأن الذين مجدوه من الفقهاء والمؤرخين إنما يمجدون مذاهبهم لا يمجدون الدين..

وا إن الذين يدافعون عنه في مصر اليوم إنما يدافعون عن مذاهبهم لا عن الوطن..

إن التأريخ لا يرحم أحداً..

وصلاح الدين لا تجد له في مصر ذكراً..

بينما الفاطميون الذين قضى على حكمهم لا زال ذكرهم باقياً..

ولا يزال اسم القاهرة الفاطمية على ألسن الناس..

ولازال الناس يذكرون المعز وجوهر الصقلي والحاكم بأمر الله..

وشارع المعز وشارع جوهر الصقلي وحارة برجوان في قلب القاهرة القديمة..

والجامع الأنور على باب الفتوح الذي بناه الحاكم بأمر الله..

واسم طلائع لا زال يتردد على ألسن الناس..

ومسجده خارج باب زويلة لازال قائماً..

ومسجد الأقمر الذي بناه الوزير أبو عبد الله الأقمر وزير الآمر بأحكام الله..

ومنارة الأزهر التي أصبحت علامة ورمزاً لمصر..

حتى القلعة التي بناها قراقوش وأكملها أولاده استولى عليها محمد علي وبنى عليها مسجده الضخم الذي غطى عليها لتسمى القلعة باسمه..

والشئ الوحيد الذي يذكره المصريون اليوم من انجازات صلاح الدين هو قراقوش، الذي لازال يضرب به المثل في الظلم والطغيان..

بقايا التشيع

واختفى التشيع قروناً لكن ظلاله با قية..

هل توقف المد الشيعي بعد العصر الأيوبي . . ؟

وهل انتهى وجود الشيعة في مصر بعد مذابح الأيوبيين . . ؟

ذكرت الروايات أن أبناء الخليفة العاضد وبقايا العائلة الفاطمية قد تم التحفظ عليهم من قبل الأيوبيين ،حيث عزل النساء في مكان وعزل الذكور مكبلين في الأغلال في مكان..

روي المقريزي: فلم يزالوا في الاعتقال بدار الأفضل من حارة برجوان الى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل ، نقل معه ولد العاضد وا إخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات ولد العاضد ، واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الأيوبية.. (١)

ومع استيلاء الأيوبيين على مصر واستمرار حملات الإبادة والتصفية للشيعة على جميع المستويات ، وجد الشيعة أنفسهم أمام خيارات ثلاث:

الأول : اللجوء للتقية والتستر بالمذهب الشافعي والمالكي..

الثاني : الاندماج في التصوف . .

الثالث : الفرار إلى جنوب مصر والشام واليمن وغيرها..

وبمرور الزمن تحول التسنن من إدعاء إلى حقيقة على يد الأبناء والأحفاد الذين وجدوا في ظل واقع تظلله رايات المذاهب الأربعة وكأنه لا يوجد في الإسلام سواها، مع الافتقاد التام لكل الأدوات التي تقودهم إلى معتقد الآباء..

وانطبق هذا الحال على قطاعات الشيعة التي اندمجت في التصوف وحتى التي فرت إلى الجنوب..

أما الذين فروا إلى الشام وغيرها فقد وجدوا متنفساً لهم هناك..(٢)

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٢ ذكر ما كان من أمر القصرين، والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية وروي المقريزي : وتولى وضع القيود في أرجلهم الأمير فخر الدين الطبنا ابو شعره بن الدويك والي القاهرة ، انظر اتعاظ الحنفا ج ٣ ذكر ما صار إليه أولادهم..

(٢) يعود سبب الهجرة لهذه البلاد إلى التنوع الطائفي ذو العمق التأريخي فيها..

ولقد كان أولاد العاضد المعتقلين في سجون الأيوبيين يأملون أن تستمر الانتفاضات الشيعية ضد النظام الأيوبي ،وهذا الأمل لم يكن ضارباً في الخيال وا إنما كان قويباً من الواقع حيث كان الوجود الشيعي لا زال قوياً على ساحته ، وما صلاح الدين وجنده إلا فئة دخيلة على مصر وأقدامها غير راسخة فيه ،لكن شيئاً من هذا لم يحدث..

روي المقريزي : وملك الأتراك – المماليك – إلى أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقاري . فلما كان سنة ست وستون وستمائة ، أشهد على من بقي منهم – أولاد العاضد – وهم:

كمال الدين إسماعيل بن العاضد ،وعماد الدين أبو القاسم بن الأمير أبي الفتو ح ابن العاضد، وبدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم العاضد..

أن جميع المواضع التي قبل المدرسة الصالحية من القصر الكبير والمواضع المعروفة بالتربة ظاهراً وباطناً بخط الخو خ السبع ،وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعي بالخط المذكور..

وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملية..

وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي..

وجميع الموضع المعروف بدار الفطرة بخط المشهد الحسيني..

وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان..

وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة..

وجميع قصر الزمرد وجميع البستان الكافوري ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي ،لا رجعة فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا شئ منه..

ولا مثوبة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه خلافاً في ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو مدفن لآبائهم..

وأرخ ذلك الإشهاد بثالث عشر ربيع الأول سنة ستين وستمائة ،وأثبت على قاضي القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز الشافعي..

وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من أثمان بعض الأماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا إليه ، يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال..

وقبض أيدي المذكورين عن التصرف في الأماكن المذكورة وغيرها ورسم بيعها ،فباعها وكيل بيت المال.. (١)

ويذكر أن قاضي القضاة شمس الدين بن مسرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية اشترى قاعة السدرة ، وهي من ممتلكات الفاطميين بألف وخمسه وسبعين ديناراً من كمال الدين بن الفقيه وكيل بيت المال ،ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس..(٢)

والسؤال هذا : من أين اتى ابن مسرور بهذه الأموال ؟

والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه هنا : هل كانت عائلة العاضد لا تزال تشكل خطراً على نفوذ المماليك حتى يتم تجريدها من بقايا ممتلكاتها..؟

وتأمل القرار المملوكي الذي أصدره والي المماليك على الشام عام ٦٧٤ هـ والذي يمنع أهل صيدا وبيروت وأعمالها من اعتقاد الرافضة والشيعة وردعهم ،والرجوع إلى السنة والجماعة واعتقاد مذهب أهل الحق وإلا دمائهم وأموالهم مباحة..(٣)

(١) انظر المواعظ والاعتبار ج٢ ذكرما كان من أمر القصرين..

(٢)انظر المرجع السابق..

(٣)انظر نص القرار بالكامل في صبح الأعشى للقلقشندي جـ ١٣ المقالة السادسة فيما يكتب في الوصايا الدينية،الضرب الثاني مما يكتب في الأوامر والنّواهي الدينية، ما يكتب عن نّاب السلطنة بالممالك ..

وانظر حوادث عام ٧٠٥ هـ في البداية والنهاية حين قام المماليك بفتوى لا بن تيمية وبتحريضه ومشاركته في ارتكاب مذبحة كسروان الشهيرة للشيعة بجنوب لبنان..

واذا كانت هذه هى سياسة المماليك تجاه الشيعة في الشام ، فكيف كانت سياستهم تجاه شيعة مصر..؟

- بين التصوف والتشيع

اتجهت أبصار الأيوبيون بعد القضاء على الفاطميين نحو الصعيد حيث لا تزال مظاهر التشيع فيه باقية والشعائر فيه حية ظاهرة فقرروا غزوه..

وكان سلاحهم في هذا الغزو يعتمد على الصوفية ثم على المذاهب..

كان التصوف آداة الأيوبيين والحكام من بعدهم في تصفية التشيع وتحويل المصريين عنه..

وآداتهم أيضاً في نشر مذهب مالك والشافعي بين المصريين وأهل الصعيد خاصة..

من هنا بدأت حركة توريد التصوف إلى الصعيد..

وكان التركيز في البداية على مدينة قوص التي كانت حاضرة الصعيد ومركز التشيع فيه..

واستمر المماليك على هذه السياسة من بعدهم..

كانت المرحلة الأيوبية هى بداية ظهور التصوف والمذاهب في مصر..

وكانت المرحلة المملوكية هى مرحلة استثمارها..

أما البداية فكانت مع الخبوشاني الشافعي الصوفي..

ثم مع تلاميذ السلفي..

ثم مع عبد الرحيم القنائي..

ثم مع تلميذه ابن الصباغ..

ثم مع ابن دقيق العيد الشافعي وأولاده..

وهؤلاء وغيرهم عدا الخبوشاني تم توجيههم نحو الصعيد ليستوطنوه ويبذروا بذرتهم فيه..

و يرصد لنا التأريخ حركة توافد عناصر التصوف على الصعيد من بلاد المغرب خاصة وتحولهم إلى رموز هناك..

لعبت الشائعات والأساطير دوراً كبيراً في نسج الكرامات والمعجزات حولهم..

وقد ساعد هؤلاء أن العديد من منهم ممن ينتسبون لذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..

وكان تبني الصوفية لشعار أهل البيت هو المدخل لجذب المصريين وتمرير عقائد أهل السنة، وهو شعار لا يشكل خطورة على القوى الحاكمة..

و الطرق الصوفية التي برزت فيما بعد تبنت المذاهب الأربعة والتزمت بها ، مع استمرارها في رفع شعار أهل البيت، وبذلك حققت هدف الحكام بإدخال المصريين في دائرة المذاهب وسحبها من التشيع..

قال الأدفوي في ترجمة عبد الرحيم القنائي: وهو شيخ مشايخ الإسلام وإمام العارفين الأعلام، وصل من المغرب وأقام بمكة سبع سنين، ثم قدم قنا من عمل قوص فأقام بها سنين كثيرة إلى حين وفاته، وتزوج بها وولد له بها أولاد..

اغترفوا من بحر علمه وفضله وانتفعوا ببركاته، وأشرقت أنوار قلوبهم لما دخلوا في خلواته..

اتفق أهل زمانه على أنه القطب المشار إليه، والمعول في الطريق إليه..

وكراماته مستغنية عن التعريف، تكثر عن أن يسعها تأليف..

توفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة(١)

(١)انظر الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد حرف العين ترجمة رقم٢٣٠

وقال في ترجمة علي بن حميد الصباغ تلميذ القنائي: شيخ الدهر بلا منازع وواحد العصر بلا مدافع ، صاحب المعارف والعوارف واللطائف والظرائف والمناقب المأثورة والكرامات المشهورة، ذو علم وعمل وطريق لاخبل فيه ولا خلل، سر الشيخ عبد الرحيم، وهو أحد مشايخ الإقليم، له أصحاب كالبدور، والاتفاق على أنه القطب الذي عليه المعارف في زمنه تدور، وأنه له تصرف وتمكن، وتضلع في المكارم وتيقن، وهو الذي اختص في زمنه بهذه الطرائق ، ودارت عليه الحقائق، وانتفع ببركاته الخلائق..

وكان من أصحابه ابن دقيق العيد..

توفى سنة ثلاث عشرة وستمائة ودفن تحت رجلي شيخه القنائي..(١)

وقال في ترجمة ابن دقيق العيد: أتى إلى الصعيد في طالع لأهله سعيد فتمت عليهم بركاته وعمتهم علومه ودعواته، وكان مذهب الشيعة فاشياً قي ذلك الإقليم ، فأجرى مذهب السنة على أسلوب حكيم، وزال الرفض وانجاب ، و ثبت الحق حتى لم يبق فيه شك ولا ارتياب..

وقد خلف الكثير من التلاميذ ، وكان يسعى لهم في الدولة لتولي المناصب..(٢)

وقال في ولده تقي الدين: حدث بقوص ومصر وسمع منه الخلق الكثير..

له كتاب الإلمام جامع أحاديث الأحكام، جزم البعض أنه ما وضع في هذا الفن مثله..

وقال فيه ابن تيمية : هو كتاب الإسلام..

وأخبرنا شيخنا العلامة علاء الدين القونوي أنه كان يعطيه في كثير من الأوقات الدراهم والذهب..

(١)انظر المرجع السابق ترجمة رقم٢٩٩

(١)انظر المرجع السابق ترجمة رقم٣٣١، وقد ترجم الأدفوي لأكثر من مائة ممن أخذوا عن ابن دقيق العيد بالصعيد..

وحكى الشيخ نجم الدين البلسي أنه حضر عنده وتكلم، فأرسل إليه مائتي درهم وولاه النيابة بمصر..

وكان له نصيب مما ينسب إلى الصالحين من الكرامات..

تولى القضاء في آخر عمره وذاق من حلوه ومره، وحط ذلك عند أهل المعارف والأقدار من علو قدره..(١)

وقال أحمد موسى: عاصر ابن دقيق العيد دولتي الأيوبيين والمماليك، وشهد مذهبي الشيعة والسنة وهما يتصارعان، فوقف وسط المعركة قائداً باسلاً مظفراً ، يناضل عن السنة ويرفع لوائها ويعلي كلمتها ويحارب المذهب الشيعي الذي يميل نحو الانحر اف، ويسدد من سهام حجته على معاقل الشيعة ما أخرص ألسنتها وأزهق باطلها..

ولما بنى النجيب بن هبة حاكم قوص مدرسته الكبيرة بقوص والتي سميت بالمدرسة النجيبية، وذلك لدراسة الحديث والفقه على المذاهب الأربعة، ولتعمل على محاربة المذهب الشيعي، وتخرج علماء يعملون لنشر المذهب السني في البلاد، في ذلك الوقت قد لمع اسم ابن دقيق العيد في ربوع الصعيد ، واشتهر كأكبر عالم في رواية الحديث والفتوى ، ومن المناضلين في محاربة المذهب الشيعي ، والعاملين بإخلاص على نشر المذهب السني..

حينئذ أشار الإمام أبو الحسن علي بن الصباغ والشيخ مفرج الدماميني على والي قوص أن يبذل مساعيه ، ويحضر إلى قوص ابن دقيق العيد من منفلوط ليتولى التدريس بالمدرسة النجيبية ، لينتفع بعلمه وبجهده في محاربة المذهب الشيعي ،ونشر المذهب السني في إقليم قوص، ولهذا جاء شيخ العلماء ليجاهد في سبيل الله بعلمه في محيط واسع..(٢)

(١)انظر المرجع السابق حرف الميم ترجمة رقم ٤٦٣، وقد تولى القضاء بعده ولده طلحة وولده علي ناب في الحكم بالقاهرة بأمر من الخليفة أبي العباس أحمد العباسي، وتوفي في القاهرة سنة ستة عشر وسبعمائة..

(٢) انظر علي بن دقيق العيد شيخ علماء الصعيد ط القاهرة عام ١٩٦٦

وروى الذهبي في حوادث سنة أربع وخمسين وسبعمائة: وفيها مات الأمير الكبير أتابك الجيوش بدر الدين مسعود بن الأمير أوحد ابن مسعود بن خطير، أحد أمراء الألوف بدمشق. ولد سنة ثلاث وثمانين. وحدث عن الحافظ تقي الدين بن دقيق العيد بأربعينه..(١)

وروى ابن كثير: وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه: ما أظن بقي يخلق مثلك..(٢)

وقال الأدفوي في ترجمة عبد الرحمن الدشناوي: تفقه على مذهب الشافعي ، وأعاد بالمدرسة النجمية بقوص ، وناب في الحكم عن قاضي عيذاب..

توفى سنة ثماني عشرة وسبعمائة..(٣)

وقال في ترجمة عبد الرحيم الأرمنتي: كان فقيهاً شافعياً ، وقصد أن يكون خطيباً في بلده فنوزع ، وتولى الحكم بالأعمال القوصية..(٤)

وقال في ترجمة عبد الرحيم الأسنائي: كان من الفقهاء الصالحين وتولى الحكم بأرمنت وأدفو وبهو وقمولا ودشنا وفاو..

توفي بدمشق سنة خمس وعشرين وستمائة..(٥)

وقال في ترجمة محمد بن يوسف العطار: سمع الحديث من عبد الوهاب بن عساكر والشيخ تقي الدين القشيري وجماعة، وكان من الفقهاء الشافعية الأخيار القضاة الحكام، تولى فرجوط وسمهود وغير ذلك ،توفي سنة سبع وثمانين وستمائة..(٦)

(١)انظر العبر ج٤

(٢)انظر البداية والنهاية ج١٤ وسبعمائة هـ..

(٣) انظر الطالع السعيد ترجمة رقم ٢٢٩

(٤)انظر المرجع السابق ترجمة رقم ٢٣٤

(٥)انظر المرجع السابق ترجمة رقم ٢٣٩

(٦)انظر المرجع السابق ترجمة رقم٣٩٢

والملفت أنه رغم هذه القيمة العالية التي يؤكدها المترجمون لهؤلاء ويعدون بعضهم أقطاباً ، لا تجد لهم بصمة بارزة في مجال العلم والواقع، فقط بصمتهم في مجال مذاهبهم و الحكم والرياسة والكرامات المشكوك في أمرها..

وكيف لمثل هؤلاء أن تفوتهم حقيقة أهل البيت وعلومهم..؟

وكيف للمؤرخين والمترجمين أن يضعوهم في هذا الموضع الذي لم يضع أئمة أهل البيت أنفسهم فيه..؟

وكيف للقنائي لم تبرز كراماته إلا بعد وفاته..؟

وهذا يضع أمثال هؤلاء في دائرة الشك..

والظاهر أنهم كانوا أدوات للمتربصين بالتشيع وأهل البيت..

والظاهر أيضاً أنه تم دعمهم بصورة ملحوظة..

يرى جان كلود جارسان أن النهضة السنية في مصر بدأت تتهيأ على يد السلفي وتلاميذه ، وعلى رأسهم ناصر بن أبي الفتوح الذي استقر بقوص و مات فيها عام ٥٦٥هـ واعتبر من الأولياء..

ثم استقر صالح الأنماطي النحوي في قفط وأعجب به والي المدينة ليتولى التدريس في مسجدها حتى وفاته في عام ٥٩٣هـ..

وفي قفط استقر تلميذ آخر للسلفي وهو العالم النحوي شيث بن إبراهيم المالكي وكان معلماً لأبناء شاور والي قوص في أيام الفاطميين ، ثم لما سقطت الدولة الفاطمية ألف كتاباً لصلاح الدين ولاقى الدعم من حكومة الأيوبيين، إلا أنه غادر قوص لعدم قدرته على التعايش مع الشيعة واستقر بقنا وتولى التدريس فيها حتى مات في عام ٥٩٨ هـ..

وقنا تدين جزئياً بازدهارها الجديد إلى الهيبة التي اكتسبتها من الأولياء المغاربة- الزهاد والمتصوفة-الذين استقروا فيها وماتوا ودفنوا بها لتصبح مزاراً ..

وكان هؤلاء الزهاد والمتصوفة يتميزون بنزعتهم السنية ، وعن طريقهم انتشر الإصلاح السني بين صفوف الشعب..

ثم تحدث عن دور القنائي وتلميذه الصباغ وا ٍبراهيم بن أبي الدنيا الذي عاش حتى عام ٦٥٦ ه ..

وقال: يجب أن نضيف إلى جانب الزهاد فقهاء المدينة الشرعيين ،الذين عرف بعضهم بورعهم وصدقاتهم والاحترام الذي كانوا يكنونه للمتصوفة ،الذين كانوا يطلبون منهم توجيهاً روحياً، محققين بذلك الانسجام السني المنشود..

في هذا العصر الذهبي للهيمنة الأيوبية، كان تأثير قنا بالغ الأهمية بالنسبة لاستعادة الإسلام السني..

وقنا هى المركز الديني الأول والأهم الذي لولا وجوده لتعذر فهم استعادة السنية في مصر..

وهكذا فإن النهضة السنية في الصعيد قد واصلت نهل الزاد بشكل مباشر أوغير مباشر من المصدر الغربي (المغاربة) نفسه..

ويشير جان إلى أن قوص كان لها أساتذتها وفقهاؤها الشرعيون المدافعون الأكثر صرامة عن السنة..

إن عودة مصر إلى الاندراج في العالم السني وحالات الرحيل غير النهائية في أغلب الأحيان نحو مراكز الدراسة في الشرق، وحالات مرور الرحالة المشهورين بمعارفهم وبسنيتهم، كان لابد لها من أن تؤدي في المدى البعيد إلى أن تتشكل في الصعيد من جديد نخبة مسلمة تعد في آن واحد متعلمة ومخلصة للسنة..

إلا أنه من المؤكد أيضاً أن إعادة التشكل هذه لا تتم بسرعة واحدة في مدن الوادي المختلفة، وأنه كانت هناك مواقع مقاومة لهذه الحركة..(١)

(١)انظر ازدهار وانهيار حاضرة مصرية: قوص، ترجمة بشير السباعي ط القاهرة عام١٩٩٧

وهكذا سادت الصوفية مصر وأصبحت التيار الإسلامي الأول فيها على حساب أهل البيت وبدونهم ما كان لها وجود ولا ذكر..

ولا تزال مصر بفضل هذا الحب الكامن في نفوس الجماهير لأهل البيت- والذي يعد أهم المعالم الشيعية الباقية- تقف سداً منيعاً في مواجهة خط السلفيين الوهابيين المخاصم لأهل البيت في الوقت الحاضر..

وعلى الرغم من أن صوفية مصر يرفعون شعار: أبو بكر عمر عثمان علي، الذي تقوم على أساسه عقيدة أهل السنة ، هناك اتجاهات صوفية لديها قدر من الوعي يؤهلها لفهم حقيقة المؤامرة التي حيكت ضد أهل البيت ويخرجها من دائرة التصوف إلى دائرة التشيع..

- الأشراف

وكان الأشراف متواجدون في مصر من قبل ظهور الدولة الفاطمية ولهم أنشطتهم المشروعة والمعترف بها من قبل حكومات الولاة المتعاقبة على مصر..

ولم تكن أنشطة الأشراف هذه لها صلة بالسياسة إنما كانت أنشطة تقليدية هدفها تدبير أمور الأشراف والدفاع عن مصالحهم ورعايتهم من قبل نقيب يمثلهم كما هو حال أعيان المجتمع المصري وطوائفه آنذاك..

قال القلقشندي : نقابة الأشراف أو نقابة الطالبيين لا يكون نقيبها إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجلهم قدرا ، وله التصرف في أمورهم وحمايتهم من الأدعياء وعيادة مرضاهم والسير في جنائزهم وقضاء حوائجهم . ولا يقطع أمراً من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة شيخهم.. (١)

وكان لنقيب الأشراف اثنا عشر نقيباً ويخلع عليه ،فيسير بالطبل والبوق والجنود مثل الأمراء وله ديوان ومشارف وعامل ونائب وجارية في الشهر عشرون ديناراً ،ولمشارف ديوانه عشرة دنانير ،ولنائبه في النقابة ثمانية دنانير وللعامل خمسة دنانير..(٢)

(١)انظر صبح الأعشى جـ ٣ الجملة الرابعة في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية..

(٢)انظر إتعاظ الحنفا ج٣ ذكر طرف من ترتيب الدولة الفاطمية..

وهناك بركة ماء كانت معروفة بمصر تعرف ببركة الحبش ، وكان ماء النيل يغرقها في موسم الفيضان ، ثم تزرع بعد زوال الماء منها ، وقد أوقفت أراضي هذه البركة على الأشراف ، أوقفها على الأشراف من ولد علي بن أبي طالب من فاطمة طلائع بن زر يك وزير الفائز والعاضد من الخلفاء الفاطميين..(١)

وقال السيوطي : إن اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت العلوي أو العباسي ،فلما ولى الفاطميون مصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط فاستمر ذلك بمصر إلى الآن..(٢)

واستمرت نقابة الأشراف في مصر طو ال تلك العصور، إلا أنها في بعض فترات هذه العصور وأمام بعض الأحداث التي مرت بالساحة المصرية ،برز للنقابة دور على الساحة السياسية في ظل نقيب الأشراف في زمانه السيد عمر مكرم ،الذي قاد عدة انتفاضات شعبية ضد الفرنسيين حين دخلوا مصر وضد الانجليز حين قادوا حملة عام ١٨٠٧ م ،وضد ولاة العثمانيين عام ١٨٠٥ م..

وقد تمكن من الإطاحة بأحمد خورشيد باشا الوالي العثماني وتولية محمد علي مكانة..(٣)

ومن أعلام الأشراف أحمد عرابي الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق، وعبد الله النديم ومحمد كريم ورفاعة الطهطاوي..

وقد استمرت نقابة الأشراف حتى عهد عبد الناصر حيث قطعت الدولة الرواتب التي كانت تعطى للأشراف ،ثم عاودت نشاطها اليوم وكتبت إعلاناً تطالب فيه الأشراف بالانتساب إليها ومعهم المستندات التي تثبت نسبهم..

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٣ ذكر البرك..

(٢)انظر الحاوي للفتاوي..

(٣)انظر تأريخ الحبرتي وعمر مكرم بطل المقاومة الشعبية سلسلة أعلام العرب عدد رقم ٦٧ . .

وينتشر الأشراف اليوم في صعيد مصر وهناك بلدة في الجنوب تتبع محافظة قنا تسمى " الأشراف " ومعظم أهلها ينتسبون إلى أهل البيت مما يشير إلى الهجرات الطالبية والشيعية لجنوب مصر..

. . والأشراف في الأصل هم من شيعة أهل البيت الذين وفدوا إلى مصر ،وقد انصهروا في المجتمع السني بفعل ضغوط سياسية واجتماعية ،و لا يزال بعضهم يتمسك بالتشيع ..

ويبدوا هذا عند قبائل الجعافرة التي تسكن جنوب مصر حول محافظة أسوان و غالبيتها من المنتسبين للطرق الصوفية والقلة القليلة منها تلتزم بعقيدة الشيعة..

قال ابن خلدون: (وبالصعيد) الأعلى من أسوان وما وراءها إلى أرض النوبة إلى بلاد بجة قبائل متعدّدة وأحياء متفرّقة، كلهم من جهينة إحدى بطون قضاعة، ملئوا تلك القفار وغلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم، وزاحموا الحبشة في بلادهم و شاركوهم في أطرافها. والذين يلون أسوان هم يعرفون بأولاد الكنز، كان جدّهم كنز الدولة، وله مقامات مع الدول مذكورة، و نزل معهم في تلك المواطن من أسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبي طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة، وأخرجوهم منها، فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة، ويحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة..(١)

وقال صاحب البيان والإعراب: أما الطالبيون فمركزهم الرئيسي في وادي الكنوز ووادي النوبة إلى حدود دنقلة، ونحن نعلم أن جيرانهم " الكنوز " من بقايابني كنز الدولة " ربيعة " الذين كانوا سندا قوياً للدولة الفاطمية..

ولا يبعد أن يكون الطالبيون قد اختاروا هذه المنطقة لصلة تربطهم بالكنوز..

(١)انظر تأريخ ابن خلدون ج٦ الطبقة الرابعة من العرب المستعجمة أهل الجيل الناشئ لهذا العهد من بقية أهل الدولة الإسلامية من العرب..

ويبدو أن هذه المنطقة ظلت طالبية حتى وفد إليهم جماعات أخرى مثل الجوابرة والغربية فسكنوا إلى جوارهم، فالركابية يسكنون أواسط بلاد المحس، ومواطنها الرئيسية في مركز دنقلة وهم ينتسبون إلى جد من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو ركاب بن غلام الله بن عائذ..

وإن صحت الروايات المتواترة لديهم، تكون هجرتهم من الناحية الشرقية من طريق البحر الأحمر..

وقد هاجر منهم كثير إلى غرب السودان وقبيلة الجعافرة نسبة إلى جعفر بن أبي طالب، كانت منهم جماعات تنزل الصعيد الأعلى ومازالت بقاياهم إلى اليوم، بين قوص وأسوان..

ثم انتشرت طوائف منهم جنوباً إلى بلاد المحس. ومع ذلك فإن لهم شعبة الآن تعيش في كردفان، وتتصل بالجوامعة..(١)

وقد تم اختراق الأشراف في عصور عديدة من قبل عناصر مدفوعة من قبل الحكومات وأخرى تبحث عن القيمة ولا صلة لها بالنسب..

روى المقريزي في أحداث عام ٧٥٦ هـ : أنه في خامس عشر جمادى الآخرة قطعت يد الشريف المزور وضرب أصحابه بالمقارع وشهروا ، وكان في التزوير ومحاكاة الخطوط عجباً وسجن بسبب ذلك مراراً.. (٢)

وروى ابن حجر في حوادث سنة أربع وسبعين وسبعمائة

: وفيها عزل الشريف فخر الدين من نقابة الأشراف بسبب ما أنكر الشريف بدر الدين حسن النسابة أنه يرتشي ممن ليس بشريف، فيلبسه العلامة الخضراء..(٣)

(١)انظر البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب الباب الرابع القبائل العربية في وادي النيل..

(٢) انظر السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٣ القسم الأول..

(٣)انظر إنباء الغمر ج١

- مدن شيعية

هناك عدد من المدن في مصر برز التشيع فيها وارتبط بها دون غيرها من مدن مصر ولعل السبب في ذلك يعود إلى هجرات الطالبيين أو العلويين إلى هذه المدن ، أو يعود إلى وجود عدد من دعاة التشيع الذين استقروا بها..

وكانت قوص مركز الحكم في الصعيدطوال العصر الفاطمي مما جعلها مركز التشيع أيضاً..

قال جان كلود: إن البلد – الصعيد– يدين للفاطميين بازدهار بينما تدين لهم قوص بثروتها، وإذا كان قدر من التسامح النسبي من جانب السلطة الشيعية قد سمح باستمرار وجود أوساط من القضاة السنيين، عامرة بحيوية جديدة من جهة أخرى في هذا القرن السادس، فإن شيعية رائجة لم تكن أقل اتساعاً في الانتشار بين السكان، وهى شيعية مستنيرة يتمسك بها مسلمون متعلمون ، أو تعلق شعبي بالأسر العلوية المستقرة في الإقليم..

والحال أن المؤرخين المسلمين السنة اللاحقين قد التزموا التستر على هذا الواقع..

وعلى الرغم من كون الفاطميين أجانب ، فإنهم بحكم قوةالأشياء يظهرون بوصفهم (المصريون) في وجه صلاح الدين، أما القوات السنية فهى (الأكراد) او الغز جنود شيركوه التي ربما كانت قوص قد واصلت سد أبوابها في وجوههم في عام ٥٦٢هـ..(١)

(١)انظر ازدهار وانهيار حاضرة مصرية..

قال المقريزي:اعلم: أنّ قوص أعظم مدائن الصعيد..(١)

وقال الحميري: قوص مدينة كبيرة في البلاد المصرية في الجهة الشرقية من لليل وهي كبيرة بها منبر وأسواق جامعة وتجارات ودخل وخرج، والمسافر إليها كثير، و البضاعات نافقة والمكاسب رائجة والبركات ظاهرة..

وشرب أهلها من ماء النيل، وبها بقول طيبة وضروب من الفواكه و لحوم مسدفة حسنة المنظر لذيذة المأكل، ولكثرة نعمها..(٢)

و قال ابن تغري بردي: وكانت مدينة قوص قاعدة لإقليم يعرف بالأعمال القوصية نسبة إلى قوص من عهد الدولة الفاطمية إلى آخر أيام حكم المماليك..

وفى أيام الحكم العثمانى اندمجت الأعمال القوصية كلها بما فيها مدينة قوص فى ولاية جرجا التى كانت تمتدّ فى ذاك الوقت على جانبى النيل من مدينة أسيوط شمالا إلى وادى حلفا عند الشلال الثانى جنوبا..

ولمّا أنشئت مديرية قنا فى سنة ١٨٣٣ تتبعت لها مدينة قوص وجعلت قاعدة لأحد أقسام هذه المديرية ولا تزال قوص قاعدة لمركز قوص بمديرية قنا إلى اليوم.(٣)

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج ١ذكر مدينة قوص

(٢)انظر الروض المعطار في خبر الأقطار..

(٣)انظر النجوم الزاهرة ج٧لأيتو المعزّ أيبك التركمانىّ على مصر

و قال الأدفوي عن مدينة أسوان: ولما كانت البلاد للعبيديين غلب على أهلها التشيع، وكان بها قديما أيضاً ، وقد قل ذلك واضمحل ولله الحمد والمنة..

وقال عن مدينة أدفو: وكان التشيع بها فاشيا، وأهلها طائفتان: الإسماعيلية والإمامية، ثم ضعف حتى لا يكاد ينبذ به إلا أشخاص قليلة جداً ..

وقال عن مدينة إسنا: وكان التشيع بها فاشياً والرفض بها ماشياً فجف حتى خف ونزل بها الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي فزال بسببه كثير من ذلك ، وهدى الله على يديه خلقا كثيراً ..

وأسفون أيضا بلدة معروفة بالتشيع الشنع لكنه جف بها وقل..

وأرمنت كان أيضاً التشيع بها كثيراً فقل وفقد..(١)

وقال الشريف الإدريسي : ومدينة قفط متباعدة عن ضفة النيل من الجهة الشرقية وأهلها شيعة وهي مدينة جامعة متحضرة..(٢)

وجنوب مصر بمدنه أسوان واسنا وادفو وأرمنت وقفط كان مركزاً للتشيع حتىو لا تزال به بقايا تشيع حيت اليوم..

حيث كان الجنوب ملجأ للشيعة الفارين من وجه الأمويين والعباسيين والأيوبيين والمماليك فيما بعد..

وكان وجود الصالح طلائع كوال للصعيد من قبل الفاطميين قد أسهم إلى حد كبير في نشر التشيع بين ربوعه..

فقد كانت للصالح إهتمامات دعوية وثقافية وأدبية بالإضافة إلى اهتماماته السياسية..

وكانت القاهرة هي مركز حركة التشيع في مصر باعتبارها عاصمة الدولة الفاطمية ومقر الدعوة ومنها ينطلق الدعاة إلى أقاليم مصر ونجوعها..

والمدن الشيعية بالصعيد هي التي فجرت الثورات ضد صلاح الدين كما فجرت ثورات أخرى ضد المماليك والعثمانيين..

(١)انظر الطالع السعيد المقدمة..

(٢)انظر نزهة المشتاق في اختراق آفاق ج١ ، الجزء الرابع من الإقليم الثاني..

وعلى الرغم من وجود الدولة الفاطمية في مصر وسيطرتها على كل ربوعها شمالها وجنوبها لا نجد أثرا بارزا للتشيع في مناطق الوجه البحري (الشمال)..

وربما يكمن السبب في هذا إلى أن الهجرات العربية إلى مصر والتي تتابعت مع حركة الفتح الإسلامي استقرت في الجنوب وتمركزت به.. وأن الشمال حتى ذلك الوقت كان يتكون من أخلاط الناس ممن أصولهم غير عربية.. وقد كانت هناك أماكن ومدن في مصر موقوفة على العلويين..

وذكر ياقوت أن مدينة قفط كانت وقفا على العلويين من أيام الإمام علي..(١)

وكان في القاهرة تجمعات شيعية تقل وتكثر حسب أحوال الزمان في حي الحسين وكانت أغبلها من الشيعة الوافدين إلى مصر بهدف الاستقرار فيها ، والذين كانوا يأتون من الشام وبلاد فارس والعراق وغيرها..

ولا تزال لهذه العائلات بقايا في مصر حتى اليوم . .

روي زكي مبارك: أن الأعاجم من الشيعة كانوا يفضلون السكن بالقرب من المشهد الحسيني ،ويتظاهرون في مولده بالزينة الفاخرة والولائم العظيمة ويحزنون عليه حزنهم المشهور ، ويجتمعون في منزل يتخذونه لذلك ويخطب أحدهم بالفارسية شعر رثاء آل البيت..

وقد استمرت مواكب الشيعة احتفالاً بذكرى عاشوراء حتى فترة قريبة ،ويبدو أن هذه المواكب من بقايا العهد العثماني الذي أتيحت في أواخرهفرصة لبروز شيعي وا ِن كان محدوداً..(٢)

والأعاجم الذين ذكرهم زكي مبارك هم الفرس الشيعة الذين توافدوا على مصر في زمانه واستمر وجودهم فيها حتى اليوم..(٣)

(١)انظر معجم البلدان ج ٤ باب القاف والفاء وما يليهما..

(٢)انظر الخطط التوفيقية

(٣) كانت زوجة عبد الناصر تنتمي لهذه العائلات..

– عادات وتقاليد شيعية

على الرغم من الحملات التي شنها الأيوبيين على المصريين لمحو معالم التشيع من نفوسهم ، وتعمدهم القضاء على العادات والتقاليد الشيعية خاصة المواسم والأعياد..

رغم ذلك بقيت الكثير من العادات والتقاليد الشيعية توارثها المصريون جيلاً بعد جيل حتى زماننا هذا ، بل أصبحت هذه العادات والتقاليد جزءا من الشخصية المصرية.. ووجود مثل هذه العادات والتقاليد حتى اليوم يدل دلالة واضحة على أن التشيع استمر وجوده في الواقع المصري رغم البطش والإرهاب والتعتيم..

ومن بين العادات الشيعية الباقية في مصراليوم ذكرى عاشوراء وإن كان صلاح الدين قد حولها من ذكرى حزينة إلى ذكرى سعيدة واستمر المصريون يحتفلون بها على طريقته..

كذلك ذكرى الاحتفال بليلة النصف من شعبان وهي عادة شيعية لا تزال باقية تحتفل بها الطرق الصوفية اليوم..

و الاحتفال برأس السنة الهجرية..

وعادة اقتناء الفوانيس في رمضان ولعب الصبيان بها في الطرقات من العادات الشيعة التي لا زالت تمارس في رمضان وقد انتقلت من مصر إلى بلاد أخرى..

وعلى مستوى الأسماء لايزال اسم " السيد " من الأسماء المنتشرة في مصر ، ولا يزال طلق على كبار القوم وأعيان الناس من باب التشريف وتعلية المقام ، فيقال السيد فلان والسيدة فلانة..

واسم السيد هو في الحقيقة صفة تشريفة خاصة بالمنتسبين لأهل البيت فهي لا يطلق إلا عليهم ، فيقال السيدة زينب أو السيدة نفيسة أو سيدنا الحسين..

ولم يكن له وجود قبل العصر الفاطمي ولا في ظله إلا في محيط ذرية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)..

إلا أن المصريين أشاعوه بينهم بعد العصر الفاطمي من باب التجمل وتعلية مقامهم ومكانتهم..

وبالإضافة إلى اسم السيد هناك اسم على والحسن والحسين والذي حرفه المصريون استسهالا للنطق إلى حسن وحسين..

وبالغوا أكثر فدمجوا الاسمين في اسم واحد هو حسنين..

وتعد هذه الأسماء من أكثر الأسماء شيوعاً في مصر بالنسبة إلى الرجال ، أما بالنسبة إلى النساء فهناك اسم فاطمة وزينب وسكينة ونفيسة وغيرها..

ويظهر أن هناك موقف من التسمي بعائشة حيث نجد انتشاره محدوداً وفي الطبقات الدنيا، ولم يحظ هذا الاسم بالشيوع بين المصريين إلا على يد التيار السلفي الوهابي الحادث على الساحة المصرية..

وهناك كلمة عترة التي تتردد على ألسنة المصريين اليوم ويقصد بها عترة أهل البيت..

وفي مجال الأطعمة لا يزال كثير من المصريين يقاطعون الأرانب ولا يأكلونها وهي محرمة في مذهب الشيعة..

وفي مجال الأمثال هناك العديد من الأمثلة التي تتعلق بعائشة وعمر..

مثل المثل الذي يقول: خيبة الأمل راكبه جمل، ويقصد به عائشة وما فعلته في وقعة الجمل..

وما يردده العامة عند العراك : أنا حاخليك تعمل عيشه..

وهو تشبيه لحالة عائشة حين انكسرت في موقعة الجمل..

وما يردده العامة حول عمر مثل : الله الله ياعمر، وسي عمر..

وعلى الجانب الآخر كانت هذاك مسبة دائمة للشيعة بدأت مع العصر الأيوبيو لا تزال تردد على ألسنة العوام دون إدراك معناها وهي قولهم في حالة الغضب من شخص ما: يا ابن الرفضي..

وهي مسبة مشتقة من تسمية الشيعة بالروافض . .

أعيان الشيعة في مصر

لا زالوا يلقوا بظلالهم على الحاضر . .

لازال الكثير من أعيان الشيعة آثارهم باقية حتى اليوم..

ومشاهدهم معروفة وتهفو إليهم قلوب الناس..

ولا تزال هذه الرموز بارزة وضاءة رغم حملات التشويه والتعتيم التي لاقتها حركة التشيع في مصر ،وحملات البطش والكيد والتنكيل التي لا حقت أنصارها من قبل الحكومات المتعصبة بداية من الدولة الأموية وحتى الدولة العثمانية.. ولقد كانت فترة الحكم الفاطمي التي بدأت بعد سقوط الأخشيديين هي فترة ازدهار النشاط الشيعي في مصر والذي كان قد طوق وضرب من قبل الحكومات التي سبقت الفاطميين..

وقد تم التعتيم على هذه الفترة من قبل الأيوبيين والمماليك والعثمانيين حيث تم تحويل مصر من دولة شيعية حكومة وشعباً إلى دولة سنية بالحديد والنار وإن كانت بقيت عقيدة أهل البيت وحبهم وموالاتهم حية في نفوس الجماهير..

إن أعيان الشيعة في مصر لا زالوا يلقون بظلالهم على الحاضر ولا تزال آثارهم وبصماتهم واضحة على تأريخ مصر وواقعها..

وليس الاحتفاء بهم وإحياء مناسباتهم إلا دليلاً على كونهم لا يزالوا يعيشون في وجدان وقلوب المصريين..

ومن أبرز أعيان الشيعة في مصر السيدة زينب والحسين والسيدة نفيسة ومالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وطلائع بن زريك وبدر الدين الجمالي والأفضل أمير الجيوش والقاضي النعماني والأمير المختار المعروف بالمسبحي وسوف تتناول كل شخصية من هذه الشخصيات في هذا الفصل حسب الترتيب التاريخي..

- مالك الأشتر

هو مالك الأشتر النخعي أو مالك بن الحارث النخعي الساعد الأيمن للإمام علي وسيفه البتار..

خاض مع الإمام معاركة في مواجهة أهل القبلة من الصحابة والخوارج وأهل الشام.. وكانت له مكانة خاصة عند الإمام الذي كان يعتبره من أتباعه المخلصين الذين يوالونه بقلوبهم وسيوفهم..

وقد أسهم مالك في الثورة على عثمان وفي وقعة الجمل ،وقاد المعارك ضد معاوية في وقعة صفين ،وكاد أن يحقق النصر ويدحر جيوش الشام لولا حيلة ابن العاص برفع المصاحف..(١)

ويعرف عن مالك شدته في الحق وتعصبه للإمام علي ،ومن مظاهر هذه الشدة أنه كان يهدد المترددين والمتوقفين عن بيعة الإمام ويجبرهم على بيعته ،كما كان من المعارضين لوقف القتال في صفين..

واختاره الإمام حكماً بينه وبين معاوية إلا أن الخوارج رفضوا هذا الاختيار لخوفهم من أن يتسبب الأشتر في تفجر الصراع من جديد يعد أن توقف بسبب طلب التحكيم.. (٢)

وأثناء الصراع بين الإمام ومعاوية كانت أبصار الإمام تتجه نحو مصر التي بدأ يحرك فيها معاوية أنصاره بدعم من عمرو بن العاص الذي كان قد اتفق مع معاوية على أن يعطيه ولاية مصر مقابل الوقوف إلى جواره ضد الإمام..

وكان الإمام قد عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وأقام مكانه محمد بن أبي بكر ،إلا أن الواضح من سير الأحداث أن محمد بن أبي بكر لم تكن لديه القدرة التي تعينه على مواجهة مثيري الفتن والمتآمرين لحساب معاوية..

(١)أنظر وقعة صفين لابن مزاحم وكتب التأريخ حوادث عام ٣٧ و٣٨هـ..

(٢)أنظر المراجع السابقة ..

وهنا قرر الإمام أن يرسل مالك إلي مصر لحسم الصراع الدائر هناك وتسلم زمام القيادة من محمد بن أبي بكر..

وقد أحدث هذا القرار هزة كبيرة لمعاوية وابن العاص اللذان كانا يخشيان مالك أشد الخشية ،واضعين في حسابهم الآثار المترتبة على وصوله إلى مصر وتسلمه زمام القيادة فيها ، خاصة أن الإمام قد سلمه عهداً يستعين به في حكم مصر..(١)

وكان معاوية يدرك تماماً أن وصول مالك إلى مصر يعني ضياعها وخروجها عن دائرة نفوذه ،فمن ثم سعى ابن العاص إلى تحريضه للعمل على الحيلولة دون وصول مالك لعصر..

ولم يكن هناك من حل سوى التخلص من مالك فكان أن حرض معاوية رجل من أهل الخراج بمصر الذي لقى الأشتر وهو في طريقه لعصر واستضافه وسقاه عسلاً مسموماً مات بعده..(٢)

وكان حزن الإمام عليه شديداً وقال فيه حين أتاه خبره : رحم اللهمالكاً ، لقد كان لي كما كنت لرسول الله..

وكانت فرحة معاوية أشد، وقد قال مقولته الشهيرة عند سماعه خبر وفاته : إن لله جندا من العسل.. (٣)

ومالك الأشتر من بين عصبة المؤمن الذين قاموا بتغسيل وتكفين ودفن أبي ذر الغفاري حين مات في الصحراء وحيداً بعد أن نفاه عثمان..(٤)

(١)أنظر كتب التأريخ ، ويذكر أن عهد الإمام للأشتر كتبت فيه عدة مؤلفات لما يحتويه من معالم سياسيةوقانونية وا إدارية واقتصادية ،انظر كتاب عهد الأشتر . ونظرية الحكم والادارة في عهد الإمام للأشتر، وانظر نصه في نهج البلاغة..

(٢) أنظر كتب التأريخ..

(٣)انظر المختصر في أخبار البشر ج١ وقعة صفين وانظر كتب التأريخ الأخرى..

(٤)انظر سيرة أبو ذر في كتب التأريخ والتراجم..

- محمد بن أبي بكر

هو ربيب الإمام علي الذي تزوج بأمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر..

وكان مولده في حجة الوداع وأمه هي أسماء بنت عميس الخثعمية..

وقد شارك محمد بن أبي بكر في وقعة صفين مع الإمام ولازمه ونهل من عمله وخبرته وكان له بمثابة التابع الأمين..

وفي أثناء الصراع بين معاوية والإمام بعد مصرع عثمان وقعت في مصر عدة انتفاضات ،كان المحرك الأساس لها أنصار عثمان من أهالي قرية خربتا والذين استثمر هم معاوية في إثارة القلاقل في مصر ضد ولاة الإمام علي..

وأصدر الإمام قراراًبعزل قيس بن سعد بن عبادة وا إليه على مصر ودفع بمحمد ابن أبي بكر ليحل محله..

روى ابن تغري : كان معاوية يهاب مصر لأجل الشيعة وقصد معاوية أن يستعين بأخذ مصر على حرب علي..

وسير الجيوش بقيادة ابن العاص الذي أرسل لابن أبي بكر يطلب منه الاستسلام والخروج من مصر ، إلا أن محمد بن أبي بكر رفض الاستسلام ونشبت معركة هزم فيها جند محمد وأخذ أسيراً وأعدم حرقاً في جيفة حمار ميت..

وقيل أنه قطعت رأسه وأرسلت لمعاوية بدمشق وطيف به وهو أول رأس طيف به في الإسلام.. (١)

ويبدو أن الفتن والمؤامرات كانت أكبر من محمد ابن أبي بكر والامكانيات المتاحة له في مصر ، وقد حرص كثير من المؤرخين على إظهار ابن أبي بكر بمظهر الرجل العاجز والمستبد عديم الرأي والحنكة وكأن هذا طعنا غير مباشر للإمام علي الذي اختاره لهذه المهمة..

(١) انظر النجوم الزاهرة ج ١ ذكر ولاية محمد بن أبي بكر على مصر، وانظر تأريخ الطبري ج٤ولاية محمد بن أبي بكر..

إلا أن الحقيقة هي أن التواجد الشيعي في مصر بتلك الفترة لم يكن من القوة بحيث يمكنه الصمود أمام جيوش الشام ، خاصة أن معظم أهل مصر وقتئذ لم يكن يعنيهم هذا الصراع في شئ حيث إنهم كانوا على ملتهم ولم يكونوا قد دخلوا الإسلام بعد..

وألقى الإمام علي خطبة بعد مقتله قال فيها:

أَلاَ إِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتَتَحَهَا الْفَجَرَةُ أُولُو الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ الَّذِينَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبَغَوُا الإِسْلاَمَ عِوَجًا!

أَلاَ وَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ اسْتُشْهِدَ ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ ! (١)

(١)انظر الكامل ج ٢ حوادث عام ٣٨هـ ..

- زينب بنت علي

دخلت السيدة زينب مصر في أول شعبان عام ٦١ هـ بعد مضي حوالي نصف عام على مذبحة كربلاء التي شهدت فيها مصرع شقيقها الإمام الحسين وبقية أفراد بيت النبوة وأنصارهم بسيوف مجرمي بني أمية وزنادقة العرب.. (١)

وبقيت في مصر موضع إجلال المصريين وتقديرهم حتى توفيت في العام التالي أي في عام ٦٢ هـ ودفنت في موضع إقامتها في دار الوالي..(٢)

وكان المصريون يفدون إليها يلتمسون البركة والدعاء وسماع أحاديث جدها (صلى الله عليه وآله وسلم)) وكانت كثيرة العبادة وافرة العلم زاهدة فصيحة اللسان..

وقيل إن فاطمة بنت الحسين كانت بصحبتها حين قدومها لمصر ، وقد توفيت فيها ومرقدها معروف باسم مرقد فاطمة النبوية في مسجد يحمل اسمها ، وكانت بصحبتها أيضا السيدة سكينة..

روى ابن الأثير: زينب بنت علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وولدت في حياته..

وكانت مع أخيها الحسين لما قتل، وحملت إلى دمشق، وحضرت عند يزيد بن معاوية، وكلامها ليزيد حين طلب الشامي أختها فاطمة بنت علي من يزيد مشهور مذكور في التواريخ، وهو يدل على عقل وقوة جنان..(٣)

وقد ذكرت الدكتورة سعاد ماهر أن الكثير من المراجع العربية تقول بوصولها إلى مصر..(٤)

(١) انظر وقعة كربلاء في كتب التأريخ حوادث عام ٦١هـ..

(٢)انظر المواعظ والاعتبار ج ذكر المشاهد التي يتبرك الناس بزيارتها مشهد زين العابدين..

(٣)انظر أسد الغابة ج٧ ترجمة رقم ٦٩٦٩

(٤) انظر مساجد مصر وأولياؤها الصالحون لسعاد ماهر وكتب التأريخ..

- نفيسة بنت الحسن

لم تكشف لنا كتب التاريخ الدوافع التي أدت بقدوم السيدة نفيسة مع زوجها إلى مصر هل هي دوافع سياسية ناتجة من الضغوظ التي كان يواجهها أهلالبيت من قبل القو ى الحاكمة..

أم أن هناك دوافع أخرى . . ؟

ولا تعنينا هنا الإجابة على هذا السؤال ، وقد أجمع المؤرخون على أنها وصلت مصر وهذا ما يشهد به العامة والخاصة..

روى ابن خلكان : السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر ، وقيل دخلت مع أبيها الحسن و أن قبره بمصر لكنه غير مشهور..

وكان والد السيدة نفيسة والياً على المدينة من قبل أبي جعفر المنصور ثم غضب عليه وعزله..

ولعل هذا الحدث تكمن فيه إشارات تساعدنا على الإجابة على السؤال الذي طرحناه آنفا..

وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات . ويروي أن الشافعي لما دخل مصر سمع عليها الحديث . . وكان للمصريين فيها اعتقاد كبير وهو إلى الآن باق كما كان وحين توفي الشافعي أحضر جثمانه أمامها لتصلي عليه . فصلت عليه من وراء حجاب في موضع مشهدها اليوم . . ولما توفت عزم زوجها إسحاق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك..

فسأله المصريون بقاءها عندهم . فدفنت في الموضع المعروف . .

وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب . .(١)

(١)انظر وفيات الأعيان جـ ٥ رقم الترجمة ٧٣

وروى المقريزي : نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب . زوجها إسحاق بن جعفر الصادق وكان يلقب بإسحاق المؤتمن وهو من أهل الصلاح والخير والفضل والدين وروى عنه الحديث . .

وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه . ويقال إنها حجت ثلاثين حجة . وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار . وكانت حفظ القرآن وتفسيره..

توفيت عام ٢٠٨ هـ ودفنت في منزلها الذي هو قبرها الآن..

وأراد زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة ، فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم الحل البركة..

ويروى أن السيدة نفسية هي التي كانت تحفر قبرها بنفسها وقد توفيت في اليوم الذي أتمت فيه حفر هذا القبر ، كما يروي وقوع كثير من الكرامات على يديها..(١)

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٤ مشهد السيدة نفيسة ، وانظر ومرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٢ سنة تسع ومائتين،ومساجد مصر..

- القاضي النعماني

هو النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون أحد الأئمة الفضلاء والمشار إليهم . ويعد من أعلام القضاة . .

قال المسبحي في تاريخه : كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على ما لا مز يد عليه . وله عدة تصانيف منها كتاب اختلاف أصول المذاهب وغيره . .

وكان مالكي المذهب وانتقل إلى مذهب الإمامية ، وصنف كتاب (ابتداء الدعوة للعبيديين) وكتاب (الأخبار) في الفقه . وكتاب (الاقصار) في الفقه أيضاً ..

قال ابن زولاق : وكان أبو النعمان بن محمد القاضي في غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه ،وعالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس مع عقل وا إنصاف..

وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف وأملح سجع وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً ..

وله ردود على أبى حنيفة والشافعي ومالك ..

وكتاب (اختلاف الفقهاء) ينتصر فيه لأهل البيت..

وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة ..

وكان النعماني لصيق المعز لدين الله وجاء معه من إفريقية إلى مصر وتقلد القضاء في زمن العزير الخليفة الثاني من خلفاء الفاطميين بمصر..

قال ابن زولاق : ولم نشاهد بمصر لقاض من القضاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان،ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق..

ووافق ذلك استحقاقاًلما فيه من العلم والصيانة والتحفظ وا إقامة الحق والهيبة..

وكان جيد المعرفة بالأحكام متفنناً في علوم كثيرة ،حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس وله شعر..

وقد ارتفعت رتبة القاضي النعماني عند العزيز..

ولما توفي العزيز غسله القاضي النعماني وصلى عليه..
وتوفي النعماني في عام ٣٨٩ هـ في زمن الحاكم بأمر الله الذي صلى عليه..
وعند ذكر النعماني في المراجع التاريخية يحرص المؤرخون على اختصار اسمه فيسمونه (القاضي النعماني) تمييزاً له عن أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب..
ويطلق عليه مؤلفو الشيعة وبعض مؤرخي السنة (أبو حنيفة الشيعي)..(١)

(١)انظر أخبار قضاة مصر ووفيات الأعيان جـ ٥ رقم الترجمة ٧٣٧، وللقاضي النعماني كتاب مطبوع في مصر تحت عنوان:(دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام) طبع دار المعارف بالقاهرة ،و هو يعرض دعائم الإسلام السبعة عند الشيعة الفاطمية وهي الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة و الصوم والحج والجهاد ، وهو الكتاب المعتقد عند طائفة البهرة المسلإعيلية، وله ترجمة في دائرة المعارف الإسلامية مادة نعمان..

- المسبحي المؤرخ

هو الأمير المختار المعروف بالمسيحي المؤرخ والأديب كانت فيه فضائل ولديه معارف ورزق حظوة في التصانيف . وكان على زي الأجناد . واتصل بخدمة الحاكم وتولى بعض أعمال الصعيد..

له التاريخ الكبير وهو ثلاثين جزاء الذي قال في حقه (التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه ، وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء..

وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة وذكر نيلها وأحوال من حل بها وأشعار الشعراء ،وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والأدباء والمتغزلين وغير هم) وهو ثلاثة عشر ألف ورقة..

وله مؤلفات أخرى كثيرة ،وتوفي المسبحي في عام ٤٢٠ هـ..)١)

(١)انظر وفيات الأعيان ج٤ ترجمة رقم ٦٥٣، وانظر كتب التراجم ، ويذكر أن جميع مؤلفات المسبحي فقدت ولم يبق منها سوى الجزء الخاص بتأريخ عامي ٤١٤ - ٤١٥ هـ من تاريخه الكبير المسمى (أخبار مصر) ولذي تم طبعة منذ أكثر من ثلاثين عاماً تحت عنوان (أخبار مصر في سنتين) من إصدار الهيئة العامة للكتاب..

- بدر الدين الجمالي

كان بدر أرمني الجنسية وقد اشتراه جمال الدولة بن عمار وتربى عنده وتقدم بسببه وأصبح من الرجال المعدودين في ذو ي الآراء والشهامة وقوة العزم..

وينسب إليه حي الجمالية في وسط القاهرة القديمة..

وكان والي عكا أيام الخليفة الظاهر..

وتولى الوزارة أيام المستنصر..

روى ابن عساكر: استدعى أمير الجيوش بدر الجمالي من عكاء إلى مصر في سنة ٤٦٥ هـ فاستولى على الوزارة والتدبير بمصر ،وقتل من قتل من المقدمين و الأجناد وطالبي الفساد ،وتمهدت الأمور وسكنت الدهماء و ألزم المستنصر بالله القصر ولم يبق له نهي ولا أمر إلا الركوب في العيدين ،ولم يزل كذلك إلى أن توفي أمير الجيوش وانتصب مكانه ولده الأفضل..(١)

وكان على مذهب الإمامية..

و روى في سنة سبع وثمانين وأربعمائة : وفي هذه السنة وردت الأخبار من ناحية مصر بمرض أمير الجيوش بدر المستولي على أمرها وأنه أسكت في مرضه هذا و دام به إلى أن اشتد في جمادى الأولى منها وتوفي في العشر الأول منه..

وقد كان الأمر تمهد لولده الأفضل واستقامت حاله مع المقدمين وسائر الأجناد والعساكرية قبل و فاته وأطاعوا أمره وعملوا برأيه..(٢)

(١)انظر تأريخ دمشق ج ١ ولاية القائد ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان لدمشق في سنة ٤٣٣هـ

(٢) انظر المرجع السابق.

روى الذهبي: في سنة اثنتين وثمانين جهز أمير الجيوش بدر الجمالي نصير الدولة الجيوشي في جيش من مصر فافتتح صور وعكا، ونزل على عكا..(١)

ثم دخل وروى ابن الأثير سبع وعشرين وأربعمائة في السنة منتصف شعبان، توفي الظاهر لإعزاز دين الله بأبي الحسن علي أبي المعالي ورأى الحاكم الخليفة العلوي، بمصر..

مات ولي بعده ابنه أبو تميم معد، وتلقب بالله، والقاهرة سنة عشر وأربعمائة، وما فيه كانت قصة الخليفة، وله إذ بغداد خمسين وأربعمائة..

الحاكم في دولته بدر بن عبد الجمالي، لقب الأمير الجيوش، وكان عادلاً، حسن السيرة..(٢)

وروى في حوادث سنة ٤٨٧هـ: السنة، (في ذي القعدة) في أمير الجيوش الجمالي، صاحب الجيش بمصر، وقد جاوزها، وكان حاكم في دولة المستنصر، وجوع إليه..

كان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين، وبعده روى بين الرعية بدر، والحق ما خاف على نفسه خرج، وجمع وحشد، وقدم إلى مصر فاستولى عليه بأسره سنة ست وخمسين وأربعمائة، ثم أهل الفدية مشق مرة، فهرب منهم سنة ستين، وخرب العطاء لإقامة، ثم مضى أمير إلى مصر، وتقدم بها، وصار صاحب الأمر..

لما مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل..(٣)

(١) انظر تأريخ الإسلام عكا

(٢) انظر الكامل وولاية ابنه المستنصر..

(٣) المرجع السابق أمير الجيوش بمصر..

- الأفضل بن بدر الجمالي

لما أقعد المرض الوزير بدر الجمالي عمل على تسليم الوزارة لولده الأفضل وذلك في عهد المستنصر . فكان جديراً بها وأهلاً لها . .

وكان الأفضل كوالده على مذهب الشيعة الإمامية وليس على مذهب الشيعة الإسماعيليين مذهب الدولة ورجال الحكم آنذاك..

وبعد وفاة المستنصر قام الأفضل بتولية المستعلى مكانه وكان صغيراً ، مما أغضب نزار أكبر أولاد المستنصر الذي اعتبر نفسه أحق بالخلافة من أخيه الأصغر..

ونشبت حروب بين الأفضل ونزار انتهت بهزيمة نزار والقبض عليه وحبسه حتى الموت عام ٤٨٨ هـ..

وللأفضل مواقف جهادية ضد الصليبيين وقد تمكن من انتزع عدة مدن شامية من أيديهم ، وكان يدعم بصورة مستمرة مدن الشام المهددة من الصليبيين بالمؤن والذخائر وتسيير الأسطول المصري إليها كلما اقتضت الحاجة..

والأفضل هذا هو الذي قام بإعمار مشهد رأس الحسين في عسقلان بالشام قبل أن يتم إحضاره إلى مصر عام ٥٤٨ هـ..

روى ابن خلكان : وكان الأفضل حسن التدبير فحل الرأي وهو الذي أقام الآمر بأحكام الله مكان المستعلى بعد وفاته ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات ، فإنه كان كثير اللعب..

فحمله هذا - أي الآمر - على أن يعمل على قتله فأوثب عليه جماعة، وكان يسكن بمصر في داره المذكور وتقدم إلى ساحل البحر الليل وهي اليوم دار الوكالة فلما ركب من داره وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليه فقتلوه، وذلك في سلخ رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمة الله تعالى..

وروى ابن الأثير . وكان الأفضل حسن السيرة عادلاً ، وكان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها تضييقه على إمامهم ، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم..

ومنها ترك معارضة أهل السنة واعتقادهم والنهي عن معارضتهم وإذنه للناس في إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر..(١)

(١)انظر وفيات الأعيان ج٢ ترجمة رقم ٢٧٠ والكامل ج٨ سنة وبعض الخوارج من الأمراء وما بعدها، وانظر كتب التأريخ الأخرى..

- طلائع بن زريك

قدم طلائع في أول أمر مع جماعة من الفقراء لزيارة مشهد علي بن في النجف وكان على مذهب الشيعة الإمامة ، وقد التقى في رحلة هذه بأحد وجهاء العراق وهو السيد ابن معصوم إمام مشهد علي بن آنذاك . .

وروى أن ابن معصوم رأى في منامه الإمام علي وقال له:ورد عليك أربعين فقيراً من جملتهم رجل يقال له طلائع بن زريك من أكبر محبينا ، قل له اذهب فقد وليناك مصر..

فلما أصبح أمر أن ينادي من فيكم طلائع بن زريك ، فجاء طلائع وسلم..

فقص عليه ما رأى..

فسار حينئذ إلى مصر وترقى في الخدم حتى وصل إلى ولاية قوص بصعيد مصر في زمن خلافة الظافر الفاطمي . .

ولما قتل الظافر وكثرت الفتن وتهدد القصر الفاطمي بعث له نسوة القصر يستغثن به في الأخذ بثأر الظافر وجعلن في طي الكتب شعور النساء . .

فجمع طلائع الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير نصر بن عباس قاتل الظافر والذي فر من إمامه ليدخل طلائع القاهرة ويتسلم الوزارة..

ونعت منذ ذلك الحين بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين ، واستبد بالأمر لصغر سن الخليفة الفائز بنصر الله إلى أن مات الفائز،فأقام مكانه العاضد لدين الله وكان صغيراً أيضاً مما زاد من تمكن طلائع وتقوية شوكته . .

وقد أثقل طلائع على رجال القصر وضيق عليهم مما أدى في النهاية إلى تدبير مؤامرة لقتله فمات سنة ٥٥٦ هـ..

ومن تصانيفه كتاباً سماه " الاعتماد في الرد على أهل العناد " جمع له الفقهاء وناظر هم عليه ،وهو يتضمن إمامة علي والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك وله شعر كثير يشتمل على مجلدين في كل فن..

ومن شعره :

يا أمة سلكت ضلالاً بيناً * حتى استوى إقرارها وجحودها
ملتم إلى أن المعاصي لم* تكن إلا بتقدير الإله وجودها
لو صح ذا كان الإله بزعمكم * منع الشريعة أن تقام حدودها
حاشا وكلا أن يكون إلهنا * ينهي عن الفحشاء ثم يريدها

وله قصيدة سماها ، الجوهرية في الرد على القدرية..

ولم يترك في مدة حكمه جهاد الصليبيين وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر وكان يخرج البعوث في كل سنة مراراً . .

وأصبح أهل العلم يفدون إليه من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم ، كما كان يحمل في كل عام إلى أهل الحرمين من الأشراف سائر ما يحتاجون إليه من الكسرة وغيرها..

ويعود الفضل في نشر مذهب الشيعة بصعيد مصر وفي بقاع أخرى من أنحاء البلاد إلى طلائع بن زريك ،وقد أظهر المذهب الإمامي حين وصل إلى الحكم مخالفاً بذلك مذهب الدولة الإسماعيلي..

وكانت هناك حارة تسمى حارة الصالحيين منسوبة إلى الصالح طلائع لأن غلمانه كانوا يسكنونها والمكان المعروف بخوخة صالح ينسب إليه ، وموضع هذه الحارة كان بين المشهد الحسيني ورحبة الايدمري وبين البرقية ،وكانت من الحارات العظمية في مصر وقد خربت فيما بعد على أيدي الأيوبيين الذين سعوا إلى محو كل آثار الشيعة في مصر..

ويقع قبر الصالح طلائع إلى الجهة الغربية من جامع الأولياء في القرافة الكبرى، وهو ملاصق للجامع من الجهة المذكورة ، وحل محل مسجد الأولياء فيما بعد حوش أبي

يعلي ،وحزن الناس لوفاته حزناً عظيماً لحسن سيرته فقد كان جواداً فاضلاً شاكراً كثير الصدقات حسن الآثار.. (١)

روى المقريزي في حوادث سنة ست وخمسين وخمسمائة:وفيها قتل الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين، أبو الغارات طلائع بن رزيك..

وذلك أنه لما ثقلت وطأته وكثرت مضايقته لأهل القصر، أخذت السيدة العمة ست القصور، وهي أخت الظافر الصغرى، في العمل على قتله..(٢)

(١) أنظر وفيات الأعيان جـ ٢ ترجمة رقم ٢٨٨، وانظرسالكامل جـ ٩ ع وعيون بوخمسمائة ..

() انظر المواعظ والاعتبار ج٣

مشاهد الشيعة في مصر

ملاذ الجماهير وعقدة السلفيين..

في مصر مئات الأضرحة والمشاهد المنتشرة في المدن والقرى الكثرة الغالبة منها لأناس يمثلون رموز الصوفية وبعضهم علماء اشتهروا في زمانهم أو لهم كرامات تعمق من مكانتهم الروحية في قلوب الناس..
وذلك مثل ضريح السيدة زينب والحسين والسيدة نفيسة والرفاعي والشافعي بالقاهرة .
وضريح السيد البدوي بطنطار والمرسي بالإسكندرية والدسوقي بكفر الشيخ والشاذلي بعيذاب..
ويكتظ الصعيد بمئات الأضرحة حتى أنه يصعب أن توجد قرية من قراه لا يوجد بها ضريح أو على حد تعبير العامة (ولي)..
وفي أسوان يوجد أكثر من عشرة أضرحة ينتسب أصحابها لأهل البيت ترفرف من فوقها الأعلام الحمراء والخضراء..
وتنتشر في القاهرة وبقاع مصر الكثير من مشاهد الرؤيا الخالية من وجود جثمان صاحبها فيها..
وهذه المشاهد تقام بسبب رؤيا منامية يراها بعض التجار أو الأعيان لشخصية من شخصيات أهل البيت تطلب إقامة ضريح لها في مكان محدد، فيقوم صاحب الرؤيا بتنفيذ الطلب..
ومن أشهر هذه المشاهد : مشهد السيدة سكينة والسيدة رقية بالقرب من مشهد السيدة نفيسة..
ولقد شكلت هذه المشاهد والأضرحة ولا زالت تشكل استفزازاً كبيراً للسلفيين الوهابيين خاصة تلك المشاهد الشهيرة التي يقبل الجميع على زيارتها..
وسوف نعرض هنا للمشاهد التي يرتبط الشيعة بها ارتباطاً خاصاً وإن كان يشاركها هذا الارتباط الشارع المصري..

- مشهد مالك الأشتر

روى ابن الكلبي : لما سار الأشتر إلى مصر أخذ في طريق الحجاز فقدم المدينة فجاءه مولى لعثمان يقال له نافع وأظهر له الود ، فلم يزل معه إلى عين شمس (أعني المدينة الخراب خارج مصر بالقرب من المطرية) فلما وصل إلى عين شمس تلقاه أهل مصر بالهدايا وسقاء نافع العسل فمات..(١)

وهذه الرواية هي أقرب الروايات إلى الواقع وتؤكد صحة موضع قبره بمنطقة القلج الآن بالقرب من بلدة الخانكة وهذه المنطقة واقعة ضمن حدود مدينة عين شمس القديمة..

وأكثر زوار مرقد مالك الأشتر من العرب والأجانب فشهرته محدودة وسط المصريين ولذلك يلقبونه بالشيخ العجمي..

وقد تم تجديد مرقده مؤخراً على أيدي طائفة البهرة الإسماعيليةودفن إلى جوار ه شقيق شيخ البهرة..

(١)انظر النجوم الزاهرة ج ١ ذكر ولاية الأشتر النخعي على مصر..

– مشهد محمد بن أبي بكر

أجمع المؤرخون أن محمد بن أبي بكر أعدم حرقاً في جيفة حمار ميت بعد أن وقع في أسر جند معاوية..

روى ابن الأثير في حوادث سنة ثمان وثلاثين: فِي هَذِهِ السَّنَةِ قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمِصْرَ وَهُوَ عَامِلُ عَلِيٍّ عَلَيْهَا..

قَالَ لَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ – بعد أن أسروه –: ويْحَكُمْ مَا تَرَوْنَ فِي مَاءٍ..

قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ: لَا سَقَانِي اللَّهُ إِنْ سَقَيْتُكَ قَطْرَةً أَبَدًا إِنْ لَمْ تَقْتُلْ عُثْمَانَ

الْمَاءِ، وَاللَّهِ لَأَبْقَيْتُ لَكَ حَتَّى يَسْقِيَكَ مِنَ الْحَمِيمِ وَالْغَسَّاقِ!

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: يَا ابْنَ الْيَهُودِيَّةِ النَّسَّاجَةِ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، يَسْقِي

أَوْلِيَاءَهُ وَيُظْمِئُ أَعْدَاءَهُ وَأَمْثَالَكَ وَأَمْثَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَعَكَ. أَفَمِنْ هَؤُلَاءِ تَخَوَّفْتُمْ عَلَيَّ هَذَا.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَتَدْرِي مَا أَصْنَعُ بِكَ؟ أُدْخِلُكَ جَوْفَ حِمَارٍ مَيِّتٍ ثُمَّ أُحْرِقُهُ عَلَيْكَ بِالنَّارِ. فَقَالَ

مُحَمَّدٌ: إِنْ فَعَلْتَ بِي ذَلِكَ فَلَقَدْ فَعَلْتُمْ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ قَبْلِي وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَهَا

وَعَلَى أَوْلِيَائِكَ وَمُعَاوِيَةَ وَعَمْرٍو زَمَانًا لَا تَكُونُ إِلَّا عَلَيْكُمْ. فَغَضِبَ

مِنْهُ وَقَتَلَهُ ثُمَّ أَلْقَاهُ فِي جِيفَةِ حِمَارٍ، ثُمَّ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ..(١)

ويقع مرقده في بلدة ميت دمسيس التابعة لمدينة أجا بالقرب من المنصورة..

وهناك قبر ناحية الفسطاط يقال له محمد الصغير والعامة يعتقدون أنه محمد بن أبي بكر، إلا أن الراجح أن مرقده هو الذي بناحية المنصورة..

(١) انظر الكامل ج ٢ ذكر مُلْكِ الْعَاصِ مِصْرَ وَقَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، والطبري ج ٤ سنة ثمان وثلاثين ..

- مشهد السيدة زينب

وهو في مرقدها المعروف بحي السيدة زينب بالقاهرة نسبة إليها ، ويقام لها احتفال ضخم بمولدها في شهر رجب من كل عام..

وقد قام أحمد بن طولون بعمارة وترميم مرقدها ، ولما جاء المعز لدين الله إلى مصر بنى لها مشهداً عظيماً في عام ٣٦٩ هـ..

ثم جاء الحاكم بأمر الله من بعده فأوقف عليه عدة ضياع وقيساريات (أسواق ومحلات)..

وفي العصر العثماني عمر المشهد مرة أخرى وجعل له مسجداً في عام ٩٥٦ هـ ، وجدده عبد الرحمن كتخدا وأنشأ به ساقية وحوضها للطهارة والوضوء عام ١١٧٤ هـ..

أما المسجد الحالي فقد بنى الجزء الأول منه في عهد الخديوي توفيق ، والجزء الثاني في عهد الملك فاروق ، والثالث في عهد عبد الناصر.. (١)

(١)انظر الجبرتي ج١ سنة تسعين ومائة وألف ومساجد مصر..

- مشهد السيدة نفيسة

وهو مرقد السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب

زوجها إسحاق بن جعفر الصادق ،وكان يلقب بإسحاق المؤتمن من أهل الصلاح والتقوى والخير والدين وروى عنه الحديث..

ويطلق عليها نفيسة العلم وقد نقل عنها الشافعي..

وكانت السيدة نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه..

ويقال إنها حجت ثلاثين حجة..

وكانت كثيرة البكاء وقيام الليل وصيام النهار وتحفظ القرآن وتفسيره وقد توفيت عام ٢٠٨هـ ، في منزلها الذي هو قبرها الآن..

وأراد زوجها أن يحملها ليدفنها في المدينة مع أجدادها ، فسأله أهل مصر أن يتركها لتدفن عندهم من أجل التبرك بها..

ومزارها اليوم من أشهر مزارات أهل البيت في مصر ويقام لها مولد كبير، وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون هو الذي أمر بإنشاء مشهدها الحالي عام ٧١٤ هـ..

وكان أول احتفال بمولدها أقيم في عام ٨٨٩ هـ في عهد قايتباى..(١)

وقال ابن الموفق: السيدة العابدة، الزاهدة، المجتهدة، الورعة، صاحبة الكرامات المتنوعة، نجيبة دهرها، وفريدة عصرها، المرتقية بجدّها المفتخرة بأبيهاوجدّها، السيدة الرئيسة، السيدة نفيسة ابنة الحسن الأنور

وكانت كثيرة التلاوة للقرآن وتفسيره..

وكان قدومهما إلى مصر في شهر رمضان سنة ١٩٣، وقيل: سنة ١٩٦ هـ على خلاف فى التاريخ..

()انظر وفيات الأعيان ج ٥ ترجمة رقم٧٦٧، والبداية والنهايةسَنَةُ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ وفاة السيدة نفيسة والنجوم الزاهرة ج٢ ما وقع من الحوادث سنة ثمان ومائتين، وحسن المحاضرة ج١ ذكر من كان بمصر من الصلحاء والزهاد، وشذرات الذهب ج ٣ سنة ثمان ومائتين ، والمواعظ والاعتبار ج٤ذكر المشاهد التي يتبرك الناس بزيارتها..

ولما سمع أهل مصر بقدومها- وكان لها ذكر شائع عندهم- تلقّتها النساء والرجال بالهوادج من العريش ، ولم يزالوا معها إلى أن دخلت مصر ، فأنزلها عنده كبير التجار بمصر، وهو جمال الدين عبد الله بن الجصّاص وكان من

أصحاب المعروف والبر والمحبة والصّدقة للفقراء، والصالحين، والعلماء، والسادة الأشراف..

وحكى صاحب كتاب المشرق فى تاريخ المشرق أنّ الشافعى سمع منها الحديث..

وسماع الشافعى منها الحديث وهوالصحيح، خلافا لمن قال إنه قرأ عليها..

وكراماتها كثيرة..(١)

وقال السلفي الصالحة ابنة الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب الهاشمية الحسنية. صاحبة المشهد الّذي بين مصروالقاهرة..(٢)

ويذكر أن المصريين يرتبطون بالسيدة نفيسة ارتباطاً خاصاً ويكثر الزحام حول مرقدها يومي الأحد والخميس حين تقام حفلات الزواج هناك..

(١) انظر مرشد الزوار إلى قبور الأبرار لزين الدين عثمان بن الموفق..

(٢)انظر تأريخ الإسلام ج١٤ ترجمة رقم ٤٠٠

- مشهد رأس زيد بن على

ويقال له في مصر زين العابدين..

وروى : سرقه أهل مصر ودفنوه في موضعه الحالي وقدم به إلى مصر عام ١٢٢ هـ أبو الحكم بن الأبيض القيسي في جمادى الآخرة ، وقد خطب في الناس برأس زيد واجتمع الناس إليه في المسجد..

وذكر الكندي أن الأفضل أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد بن علي أمر بكشف المسجد وكان بوسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب ، فوجد هذا العضو الشريف..

قال المقريزي : وهو مشهد صحيح لأنه طيف بها في مصر..

وكان ذلك حين طائف الأمويين برأس زيد في الأمصار وجاءوا إلى مصر فسرقه الناس ودفنوه في الموضع الذي استخرجه منه الأفضل..

وهذا المشهد باق بين كيمان مدينة مصر يتبرّك الناس بزيارته ويقصدونه لا سيما في يوم عاشوراء، والعامّة تسميه زين العابدين، وهو وهم، وإنما زين العابدين أبوه، وليس قبره بمصر، بل قبره بالبقيع..

ولما قتل الإمام زيد سوّد الشيعة، أي لبست السواد، وكان أوّل من سوّد على زيد شيخ بني هاشم في وقته الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ورثاه بقصيدة طويلة، وشعره حجة احتج به سيبويه، توفي سنة تسع وعشرين ومائة.. (١)

وقد أطلق المصريون على الحي الذي يقع فيه مشهد الرأس حي زينهم، وهو يقع بجوار حي السيدة زينب..

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٤ ذكر المشاهد التي يتبرّك الناس بزيارتها مشهد زين العابدين..

- مشهد الحسين

كثرت غارات الصليبيين على الشام في أواخر العصر الفاطمي مما دفع بالفاطميين إلى الدخول في مواجهاتعسكرية معهم وا ٍجلائم عن القدس وعسقلان في عام ٤٩١ هـ على يد الأفضل بن أمير الجيوش..

والأفضل هذا هو الذي حمل رأس الحسين وكان مدفوناً في عسقلان فأخرجه وعطره وحمله في سفط إلى أجل دار بها وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحله في مقره.. وقيل إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه الأفضل.. إلا أن الفاطميين خشوا على الرأس من الصليبيين فقرروا حمله إلى القاهرة من عسقلان ليصل إلى مصر في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة..

وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضي المؤتمن ابن مسكين شارفها ، وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور..

ويذكر أن الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسلك ، فقدم به الأستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدمه وأنزل به إلى الكافوري ، ثم حمل في السرداب إلى القصر الزمرد..

ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة ، فكان من يدخل الخدمة يقبل الأرض أمام القبر ، وكانوا ينحرون يوم عاشوراء عند القبر الإبل والقبر والغنم ويكثرون النوح والبكاء، ويسبون من قتل الحسين ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم.. وذكر أن أبا صالح طلائع بنى مسجده خارج باب زويلة ليدفن به الرأس ويفور بهذه الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك..

وقالوا : لا يكون ذلك إلا عندنا ، فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه ، وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة..(١)

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج٢ المشهد الحسيني..

و روى العمراني عن رحلة الرأس: جاء الشمر- لعنه الله-فاحتزّ رأسه و وضعه في مخلاة فيها تبن وحمله إلى عبيد الله بن زياد فنفذه عبيد الله على هيئته تلك إلى يزيد..

فلما كان الرسول في بعض الطريق وأجنّه الليل عدل إلى دير فيه رهبان فبات فيه فحين انتصف الليل قام بعض الرهبان لشأنه فرأى عموداً من نور متصلاً بين تلك المخلاة وبين السماء فتقدم إلى المخلاة وفتّشها فوجد الرأس فيها..

فقال: لا شك أن هذا رأس المقتول بكربلاء، فمضى وأخبر بقية الرهبان، فحين جاءوا ورأوا تلك الصورة أسلموا كلّهم على الرأس وجعلوا الدير مسجداو، كانوا سبع مائة راهب..

ثم لما حمل رأسه إلى يزيدوكان بحضرته جماعة من أهل عسقلان فسألوه أن يدفن عندهم فسلّمه إليهم فدفنوه بمدينتهم وبنوا عليه مشهدا وهو إلى الآن يزار من الآفاق ويعرف بمشهد الرأس..(١)

وروى ابن جبير : فأول ما نبدأ بذكره منها الآثار والمشاهد المباركة التي ببركتها يمسكها الله عز وجل:فمن ذلك المشهدالعظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بنى عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الادراك به..(٢)

وقال ياقوت الحموي: وبمصر من المشاهد والمزارات: بالقاهرة مشهد به رأس الحسين بن علي، رضي الله عنه، نقل إليها من عسقلان لما أخذ الفرنج عسقلان وهو خلف دار المملكة يزار..(٣)

(١)انظر الإنباء في تأريخ الخلفاء ج١دولة بنى أميّة ذكر من بويع له بالخلافة في أيامهم..

(٢)انظر رحلة ابن جبير ذكر مصر والقاهرة وبعض آثارها العجيبة، وانظر رحلة ابن بطوطة..

(٣)انظر معجم البلدان ج٥ مصر

وقد أنكر خصوم الفاطميين وجود رأس الحسين بمصر..

قال ابن كثير: "وَعَنَتْهُ الْمُطَّلِئُ مَوْنَ بِالْفَاطِمِيِّينَ، الَّذِينَ كَانُوا الْمِصْرِيَّةَ قَبْلَ أَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ سِتِّينَ وَأَسِتِّمِائَةٍ الْحُسَيْنِ وَصَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَدَفَنُوهُ بِهَا وَعَبَّدُوا الْمَشْهَدَ الْمَشْهُورَ بِمِصْرَ، يَا لَهُ: تَاجُ الْحُسَيْنِ بَعْدَ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ قَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَّةً أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا أَصْلَ لِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُرَوِّجُوا بِذَلِكَ بُطْلَانَ مَا ادَّعَوْنَ النَّسَبِ، وَشَهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَبَةٌ خَوَنَةٌ..(١)

إلا أن الملفت للنظر هو أن الأيوبيين أبقوا على مرقد الرأس و لم يمسوه رغم وجوده في القصر الفاطمي..

والسؤال هنا: لماذا لم يخرب الأيوبيون المرقد كما خربوا القصور و الأزهر والمدارس و الآثار الفاطمية..؟

ولقد كان وجود رأس الحسين بمصر من العوامل الفاعلة التي ربطت المصريين بالتشيع وبأهل البيت..

وكان أيضاً من عوامل صمودهم في وجه الحملات المضادة المعادية التي قادها بني أيوب وإن كانت هذه الحملات قد نجحت إلى حد كبير في نقل المصريين من الشيعة إلى السنة ،إلا أنها لم تنجح في انتزاع حب أهل البيت من قلوبهم ، ذلك الحب الذي جعل من تسننهم تسنناً هشاً قابلاً للسقوط..

ومن مشاهد الشيعة أيضاً مشهد كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق الذي أشرنا سابقاً أن الشيعة كانوا يجتمعون حوله قبل دخول الفاطميين..

(١)انظر البداية والنهاية في أحداث وقتل الحسين بن علي ، وقد شكك ابن كثير في موضع قبره أيضاً سيراً على نهج إمامه ابن تيمية..

وكانت كلثوم من الزاهدات العابدات ومدفنها يقع بمقابر قريش بجوار مرقد الشافعي..
ومرقد مشهور لواحدة من بنات الإمام الصادق وتدعى عائشة وتسمى المنطقة التي يقع فيها المرقد بحي السيدة عائشة بجوار القلعة ويقام لها مولد كل عام..(١)

(١) انظر المواعظ والاعتبار ج ٤ ذكر المشاهد ومساجد مصر..

رحلات شيعية

الشيعة لا ينسون مصر ومصر لم تتساهم..

كانت مصر على الدوام محط أنظار الشيعة في العالم لما تمثله في أعينهم من مكانة ورصيد وتأثير على الساحة الإسلامية..

ونظرا لعمق الوجود الشيعي في مصر فقد شكل هذا جاذبية كبيرة لكثير من رموز الشيعة ودعاتها..

وعلى مر التاريخ كانت هناك هجرات ورحلات شيعية لا تنقطع عن مصر خاصة في فترات الاضطهاد وطوال العمر الأموي والعباسي..

وقد انقطعت هذه الهجرات والرحلات بعد سقوط الدولة الفاطمية.. ثم استؤنفت بعد ذلك في المصر الحديث وبرزت على الساحة المصرية عدة شخصيات شيعة كان لها أثرها الفكري والسياسي المستمر حتى اليوم..

ومن أشهر الشخصيات الشيعية الوافدةعلى مصر والتي لعبت دوراً بارزاً في ساحتها وتركت بصمتها على تاريخها الحديث..

شخصية السيد جمال الدين الأفغاني..

كذلك من أشهر الرحلات الشيعية رحلة آية الله الشيخ كاشف الغطاء لمصر في منتصف الستينات بصحبة وفد من علماء الشيعة العراقيين و بدعوة رسمية.. وهناك أيضا رحلة السيد عبد الحسين شرف الدين من لبنان و الحوار الذي دار بينه وبين شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري في أوائل القرن الماضي..

ورحلة السيد الزنجاني..

ورحلة نواب صفوي زعيم..

ورحلة السيد موسى الصدر..

ورحلة الشيخ محمد جواد مغنية..

وبالإضافة إلى هذا هناك رحلات الشيخ القمي المتكررة ضمن النشاط الذي كان يقوم به من أجل التقريب بين السنة والشيعة..

وعلى الجانب الآخر هناك رحلات سنية قام بها عدد من رجال الأزهر والمفكرين والسياسيين إلى النجف في العراق و هي مركز العلم والعلماء في فترة الستينات ،وإلى قم بإيران في نفس الفترة..

ومن هؤلاء الشيخ الفحام شيخ الأزهر والشيخ الشرياصي والشيخ الحصري وأحمد أمين الذي زار النجف مع وفد مصري بين مدرس وتلميذ عام ١٣٤٩ هـ ..

وهناك رحلتان قام بهما الكاتب السياسي محمد حسنين هيكل إلى إيران . الأولى في عام ٥١ والتقي فيها بآية الله الكاشاني . والثانية بعد الثورة والتقى فيها بالإمام الخميني ، وقد ألف في رحلته الأولى كتاب إيران فوق بركان ، وفي رحلته الثانية مدافع آيات الله ، وكلاهما طبع في مصر..

– رحلة السيد حمال الدين الأفغاني

ينتمي السيد جمال الدين الأفغاني إلى الحسن بن علي وموطنه أفغانستان ، وكانت أسرته من أصحاب السلطة والنفوذ فيها..

وقد قام الأفغاني بجولة سياحية طويلة في بلدان العالم الإسلامي واكتسب الكثير من التجارب والخبرة التي أتاحت له فرصة البروز والتأثير في بقاع كثيرة.. كما درس عدة لغات بالإضافة إلى لغته وهي العربية والفارسية والفرنسية ، ودرس الفلسفة و التصوف والعلوم الإسلامية الأخرى..

وكان الأفغاني قد انغمس في صراع داخلي بموطنه أفغانستان كانت نتيجته الخروج من أفغانستان طلبا للأمن..

ومع كثيرة البلاد التي طاف بها الأفغاني إلاأنه لم يحدث أثراً في أي من هذه البلاد كما أحدث في مصر التي أقام بها قرابة ثماني سنوات ،بدأت في مار س ١٨٧١ وامتدت حتى أغسطس ١٨٧٩..

والأفغاني كان مثالاً للمجاهدين المتجردين الذين عاشوا لأفكارهم ومبادئهم وكانت مصر عندوصوله في أسوأ أحوالها اقتصادياً وسياسياً ..

وقد بدأ الأفغاني نشاطه الفكري الذي تمثل في القاء المحاضرات والدروس العلمية تلك المحاضرات والدروس التي كسرت حالة الجمود الفكري السائدة في مصر آنذاك.. وكان من تلامذته محمد عبده وسعد زغلول والشيخ إبراهيم اللقاني ومحمود سامي البارودي..

وهو يبين من خلال هذه المحاضرات والدروس للناس سوء حالهم ومواضع بؤسهم ويبصرهم بما كان سبب فقرهم ، ويحرضهم أن يخرجوا من الظلمات إلى النور ، وألا يخشوا بأس الحاكم فليست قوته إلا بهم ، ولا غناه إلا منهم ، وأن يسعوا في طلب حقوقهم المغصوبة وسعادتهم المسلوبة..

وتركز جهد الأفغاني في العمل على بعث الوعي في نفوس المصريين ودفعهم نحو التغيير بالوسائل التالية :

- أسس جماعة تجمع بين الشيوخ والشباب هدفها تبني حرفة الكتابة وإنشاء الصحف..
- الخطابة وكان له أسلوب جذاب تأثيره بالغ على المستمعين..
- الصحف وقد أسس مجلة ساخرة تحت اسم (أبو نظارة) كانت موجهة للخديوي إسماعيل..

وبدأت الحكومة تشعر بنشاط الأفغاني وما يمثله من خطورة على سياستها واستقرارها وقرر مجلس الوزراء في عهد توفيق نفي الأفغاني لينتهي دوره في مصر ولكن رسالته ظلت باقية..

وليس هناك من خلاف بين المؤرخين والباحثين في حياة الأفغاني حول نسبه الذي يمتد في شجرة أهل البيت إلى الإمام الحسن بن على ، كما أنه ليس هناك خلاف حول ارتباطه بمذهب الشيعة وإن كانت الأطروحة الشيعية لم تكن واضحة في كلماته وكتاباته..

ويكفي أنه كان يعبر من خلال نشاطه ودعوته عن الإسلام النضالي الذي يواجه الظلم والاستعباد والفساد وهى رسالة أهل البيت..(١)

(١)أنظر في تاريخ الأفغاني ورحلته إلى مصر: زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين وجمال الدين الأفغاني لمحمود أبو رية ، ودائرة المعارف الإسلامية والرافعي..

- **رحلة السيد عبد الحسين شرف الدين**

هو واحد من أعلام الشيعة ورموزها العلمية البارزة ولد عام ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٢م وتوفي عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧ م..

درس في النجف الأشرف وذاع صيته بين أهل العلم في وقته وانتقل بعد ذلك إلى جبل عامل – جنوب لبنان – حيث حمل راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتصدى للظلم والاستبداد والطبقية ،مما أثار عليه كبراء القوم والولاة والمستعمر وقد تآلب كل هؤلاء عليه وحاكوا المؤامرات ضده.. وقد قام بدور فعال في مواجهة الفرنسيين الذين حاولوا اغتياله وضيقوا عليه مما دفع به إلى الفرار إلى دمشق بعائلته وقد احتلت قوات الفرنسيين داره وأحرقت مكتبته ،وكان بها الكثير من النفائس والمخطوطات..

ومن دمشق انطلق إلى فلسطين ومنها إلى مصر حيث احتفل بقدومه رجال العلم والأدب ورجال السياسة وكان ذلك عام ١٩١٨ م..

ولم تكن تلك رحلته الأولى إلى مصر فقد زارها قبل ذلك في عام ١٩١٠م في رحلة علمية جمعته بأهل الحديث وقادة الرأي والفقه من علماء مصر..

وفي هذه الرحلة التقى بشيخ الأزهر آنذاك الشيخ سليم البشري ودارت بينهملحوار ات ومناقشات ومراسلات حول الشيعة والسنة ،كانت من نتائجها كتاب المراجعات الشهير الذي جمع مائة واثنى عشر مراجعة حول شتى المسائل الخلافية بين المذهبين..(١)

وقد طبع هذا الكتاب أكثر من خمسين طبعة منها طبعتان بمصر واحدة في فترة السبعينات والأخرى في أواخر الثمانينات. . (٢)

(١) أنظر مقدمة المراجعات والشيخ سليم البشري توفي ١٩١٦م ، ويذكران هناك مراجعات دارات بين الشيخ محمد علي كاشف الغطاء وبين شيخ الأزهر الشيخ المراغي حول تفسير سورة الحجرات والذي كان قد نشر في مجلة الأزهر عام ١٣٥٩ هـ ، وأبدى عليه الشيخ كاشف الغطاء بعض الملاحظات ودارت المرسلات بينهما حول هذه السورة..

(٢)قدم الدكتور حامد حنفي داود للطبعة المصرية الأولى ، ويذكر أن السلفيين أصدروا رداً على كتاب المراجعات وحرضوا المسلمين عليه..

وكانت هناك مراسلات كثيرة حول هذا الكتاب بينه وأقطاب الفكر في مصر منهم الشيخ محمد محمد المدني أحد كبار علماء الأزهر ،والدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بكلية الحقوق جامعة القاهرة ،والأستاذ حسين عبد الغفار بالأمانة العامة العامة لمجلس الأمة ،والأستاذ محمد فكري أبو النصر والدكتور حفني داود رئيس قسم اللغة العربية كلية الألسن جامعة القاهرة وعين شمس..

– رحلة نواب صفوي

وهو شخصية إيرانية تزعمت حركة " فدائيان إسلام " المناوئة لحكم الشاه والتي كانت تدعو لنبذ الطائفية بين المسلمين والعمل على تطبيق الإسلام..

وكان نواب صفوي قد زار القاهرة وقوبل بحماس شديد وترحيب حار من قبل الإخوان المسلمين الذين رافقوه لزيارة مراقد أهل البيت في مصر في بداية الخمسينيات..(١)

وقد قرر الشاه تصفية نشاط فدائيان إسلام ،وتم القبض على نواب صفوي وحوكم وصدر ضده حكم بالإعدام اهتز له العالم الإسلامي في تلك الفترة..

قال فتحي يكن : كان لهذا الحكم الجائر صدى عنيفاً في البلاد الإسلامية وقد اهتزت له الجماهير المسلمة التي تقدر بطولة نواب وجهاده ،وثارت على هذا الحكم وطيرت آلاف البرقيات من أنحاء العالم الإسلامي ،تستنكر الحكم على المجاهد المؤمن الذي يعتبر القضاء عليه خسارة كبرى في العصر الحديث.. (٢)

ويذكر أن نواب صفوي هاجم حكم عبد الناصر لاعتقاله الإخوان وقال : حين يضطهد الطغاة رجل الإسلام في كل مكان يتسامى المسلمون فوق الخلافات المذهبية ويشاطرون إخوانهم المضطهدين آلامهم وأحزانهم..

ولا شك إننا بكفاحنا الإيجابي الإسلامي نستطيع إحباط خطط الأعداء التي ترمي إلى

التفريق بين المسلمين،إنه لا ضير في وجود الفرق المذهبية وليس بوسعنا إلغاؤها إنما الذي يجب أن نعمل على إيقافه ومنعه هو استغلال هذا الوضع لصالح المغرضين..(٣)

(١)كانت هذه الزيارة في يناير عام ٥٤

(٢)انظر الموسوعة الحركية جـ ١

(٣) انظر مجلة المسلمون الصادرة عن الإخوان عدد ٤ / عام ٥٤

- **رحلة الشيخ علي كاشف الغطاء**

تم دعوة الشيخ كاشف الغطاءرسمياً للمؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة والذي انعقد بتاريخ ١٣١٣ / ٥ / ١٩٦٥ ،وهو يعد واحداً من مراجع النجف الكبار..

وقد وقد وصل الشيخ كاشف الغطاءإلى القاهرة على رأس وفد من علماء النجف الأشرف في ١١ / ٥ / ٦٥ وكان في استقباله والوفد المرافق ممثل شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون وبعض رجال الأزهر..

وقامت الإذاعة بإجراء حوار معه أذيع وقتها من البرنامج العالم ،وكان الحوار يتركز حول القضية الفلسطينية وموقف الوفد العراقي من مؤتمرات البحوث الإسلامية..

ومما قاله في هذه الحوار : كم من حضارة كانت أثراً لجماعة ،وكم مدنية كانت صنيعة لمؤتمر ،وأمامكم بيعة الرضوان وهو أول مؤتمر إسلامي نال به العالم الإنساني الحظ الأوفى والحضارة السامية..

وأنه من الضروري جمع شمل المسلمين واتفاق كلمتهم على صعيد واحد حيث إن في وحدتهم قوة يندحر بها الأعداء وتتلاشى بها الخطط العدوانية . .

وحول الموقف من القضية الفلسطينية قال : لقد جاهرنا في قضية فلسطين وأثبتنا رأينا بصورة صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض في أن مشكلتها يلزم حلها على ضوء الدين الإسلامي الحنيف..

والطريف أنه صادف وقت وجوده والوفد المرافق في القاهرة ذكرى عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء فوجه كلمة من خلال الإذاعة المصرية بمناسبة هذه الذكرى أذيعت من صوت العرب في مساء يوم العاشر من محرم..

وتعتبر هذه الكلمة لمرجع شيعي كبير من خلال الإذاعة المصرية عن ذكرى عاشوراء حدثاً إعلامياً كبيراً وسابقة دعائية للشيعة في مصر لم تنالها منذ عهد الأيوبيين..(١)

وقام والوفد المرافق بزيارة مرقد رأس الحسين وقد لفت نظرهم ما شاهدوه من ظواهر الولاء لأهل البيت بأوسع معانيها..

كما زار مرقد السيدة زينب والسيدة نفيسة ،وزار بور سعيد وقرأ الفاتحة على أرواح شهداء معركة بور سعيد..

وتقديرا لموقف شيعة العراق المشرف إلى جانب مصر أثناء العدوان الثلاثي قدم محافظ بور سعيد ميدالية ذهبية لسماحته..

وقد نشرت جريدة الأهرام خبر هذه الرحلة في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ / ٥ / ٦٥ ونشرت جريدة الأهرام في تلك الفترة طلب آية الله كاشف الغطاء من المؤتمر في جلسة الثانية وجوب المبادرة باتخاذ قرار عاجل احتجاجاً على موقف ألمانيا الاتحادية العدواني الذي تمثل في الاعتراف بإسرائيل وا إمدادهابالمال والسلاح لقتال العر ب..

(١)

وبعد انتهاء المؤتمر قام الشيخ والوفد بتلبية الدعوات والمقابلات الصحفية والقيام بجولات تفقدية في أنحاء الجمهورية..

ومن بين الدعوات التي وجهت للوفد الدعوة المقدمة من شيخ الأزهر الشيخ حسن المأمون لتناول طعام العشاء في فندق سميراميس..

ومن الشيخ أحمد حسن الباقوري مدير جامعة الأزهر آنذاك لتناول العشاء في مبنى جامعة الأزهر..

(١)انظر نص الكلمة في ملاحق الكتاب..

(١)انظر جريدة الأهرام عدد ١٧ / ٥ / ٦٥ . وفي عدد ١٨ / ٥ ذكرت الجريدة كلمة الشيخ كاشف الغطاء حول إباحة التأمين واعتباره من قبيل الشركة وأرباحه من نوع الصلح المباح . .

ومن جميعة الشبان المسلمين بتناول طعام العشاء في مقر الجمعية..
ومن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية..
ومن نقابة المهن التعليمية..
وبالإضافة إلى هذا وجه الرئيس العراقي عبد السلام عارف الذي كان في زيارة لمصر الدعوة للشيخ كاشف الغطاء ومرافقيه لتناول العشاء معه في قصر عابدين..
وكان عبد الناصر ومعه عارف قد استقبلا الشيخ كاشف الغطاء والوفد المرافق له..
ومن بين الجولات التفقدية التي قام بها الوفد في مصر زيارته لمديرية التحرير وقطاع غزة وخط الهدنة ،وكان بصحبتهم شيخ الأزهر وأعضاء المؤتمر..
ثم زار السد العالي في أسوان ، ومدن القناة والاسكندرية ،بعض المصانع في هذه مثل مصنع شركة الغزل والنسيج ببور سعيد ،وشركة صناعة إطارات السيارات بالإسكندرية ،وشركة مصر للغزل والنسيج في كفر الدوار..
ومن بين المقابلات الصحفية التي أجريت مع الشيخ كاشف الغطاء اللقاء الذي أجري مع مجلة منبر الإسلام التي يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، واللقاء الذي أجرته معه مجلة روز اليوسف..
وكان الحوار مع روز اليوسف قد تطرق إلى موضوع زواج المتعة ورؤية الشيعة لهذا النوع من الزواج ،وربما هذه هي المرة الأولى التي طرق فيها مثل هذا الموضوع في مصر وعلى صفحات مجلة رسمية..(١)
وقد أثار هذا الموضوع الأستاذة مفيدة عبد الرحمن عضو مجلس الأمة في ذلك الوقت والتي أرسلت ردها على ما نشر تحت عنوان : أنا ضد زواج المتعة..(٢)

(١)عدد روز اليوسف رقم ١٩٣٠ / ٦٥ وأجرى الحوار عبد الله إمام، وسوف نعرض نص الحوار في ملاحق الكتاب..
(٢)انظر روز اليوسف عدد رقم ١٩٣١ / ٦٥ ، ونص الرد : قلقت جدا وأنا أقرأ حديث شيخ المذهب الشيعي العراقي عن زواج المتعة . .فظاهر الفكرة قد يبدو مغرياً لبعض الناس في بادنا خصوصا وأنه نظام منسوب للشريعة الإسلامية ، وصحيح

أن الإسلام قد عرف زواج المتعة في عهد الرسول ولكنه عرفه كضرورة أوجدتها ظروف الحرب وانتهي بانتهائها ، فلقد كان مقصوداً به حماية المسلم من الفتنة وهو في بلاد الغربة ولذلك فهو يتجاوز عن العقد المكتوب والشهود . . والسؤال بعد ذلك هو : ما الذي يدعو إلى زواج مؤقت ما دام الزواج الدائم متيسرا للناس . . إن الحالة الوحيدة التي تبرر هذا الزواج هي تغريب شبابنا في بلاد أجنبية لطلب العلم حماية أخلاقهم..

ويبدو أن موضوع المتعة أثار العديد من الشباب والشابات أيضاً حيث انهالت الرسائل على المجلة..

البعض أعلن عن غضبه ، والبعض الآخر طلب الاستفسار..

وكان الشيخ أحمد الشرباصي قد عارض هذا الزواج وأفتى بحرمته في حديثه للمجلة في تلك الفترة كما أبدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن رفضها له وأيدته الدكتور ة نوال السعداوي..(١)

وتعد رحلة آية الله الشيخ كاشف الغطاء إلى مصر من أشهر الرحلات الشيعية، وذلك للطابع الرسمي الذي أضفى عليها..

(١) قال الشيخ الشرباصي إن إجماع أئمة المسلمين (السنة) على أن زواج المتعة حرام ، وقالت الدكتورة عائشة عبد الرحمن : هذا الزواج المؤقت كان زواج ضرورة انتهى عندما زالت الضرورة ، فما هي الضرورة التي تدفعنا الآن للتفكير في استعادته..؟ وقالت الدكتورة نوال السعداوي : من هذا الشكل الجديد للزواج يمكن أن نقضي على مشاكل الزواج الحالية كالاكراه والكراهية والكذب والخيانة وتشرد الأطفال والضعف والخنوع والإنحلال الخلقي، ويمكن أن نوفر للإنسان في ظل الزواج حرية ومقدرة على الاختيار الدائم وفرصة للتجديد والتطور ،وبالتالي للتقدم ، ويمكن أن نحقق للإنسان الرغبتين المتناقضتين فيه وهما : الرغبة في الاستقرار الاجتماعي، والرغبة في التغيير والتجديد، انظر روز اليوسف لعدد رقم ١٩٣٢ / ٦٥ تحقيق تحت عنوان بدلاً من الحرام . زواج المتعة..

- رحلة الشيخ محمد جواد مغنية

وهو أحد أعلام الشيعة في لبنان رأس المحكمة الجعفرية العليا فيها ،وله الكثير من الكتب والمصنفات الإسلامية التي أصبح بعضها مراجع للإسلاميين في كل مكان..

قدم الشيخ مغنية إلى مصر لأول مرة عام ٦٣ وكانت أول زيارة يقوم بها هي زيارة مرقد رأس الحسين ، ثم زار مرقد السيدة زينب والمسجد الأزهر..

وهناك دار حوار طريف بينه وبين إمام المسجد عندما طلب منه الشيخ أن يعطيه صورة عن الأزهر..؟

قال الإمام : الكعبة واحدة الأزهر واحد..

فقال الشيخ : والله واحد ، فأصبح لدينا أقانيم ثلاثة : الله والكعبةوالأز هر كما يقول النصارى..

ثم قال له : أتعرف شيئا عن الشيعة..؟

قال : هم زائغون . .

قال الشيخ ومن أين عرفت أنهم زائغون..؟

قال : هكذا يقال..

فقال الشيخ : وأنا أقول : إنك زائغ ، فهل تأخذ بقولي..؟

ففتح كفيه وقال إقرأ الفاتحة فقرأها معه ومضى لسبيله.. (١)

وقد زار الشيخ جامعة الأزهر والقاهرة وعين شمس ودار الكتب، ثم اجتمع بشيخ الأزهر آنذاك الشيخ محمود شلتوت ودار بينهما حوار حول الوحدة الإسلامية وفتو ى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية..(٢)

(١)انظر كتابه تجارب مغنية..

(٢)انظر المرجع السابق..

وكان الشيخ مغنية قد التقى من قبل بالشيخ محمد أبو زهرة في دمشق عام ٦٠ ، كما التقى به الدكتور مصطفى محمود في بيروت عام٧٠..(١)

والجدير بالذكر هنا أن الشيخ مغنية هو أول من رد على محب الدين الخطيب في كتابه الذي أسماء (الخطوط العريضة) ونشره بمصر ،وكان من أوائل الكتب التي نشرت فيها ضد الشيعة ، وقد وصلته الكثير من رسالات التهديد بسبب رده هذا.. (٢)

(١) انظر المرجع السابق ..

(٢) انظر المرجع السابق ،ويذكر أن الشيخ مغنية التقي مع الشيخ شيخ الأزهر الفحام والشيخ الشرباصي والمقرئ الشيخ الحصري في مدينة قم بإيران..

- رحلة مرتضى الرضوي

قام الرضوي برحلتين إلى مصر ،الأولى في فترة الخمسينات ما بين عام ٥٧ وعام ٥٨ والثانية في منتصف السبعينات..

وفي كلا الرحلتين قام بدور ملحوظ في ميدان الفكر الإسلامي والوحدة الإسلامية ونشر الكثير من الكتب التي تدافع عن الشيعة ، كما التقى بكثير من الرموز الإسلامية والثقافية وأجرى حوارات معها ، ثم دون هذه اللقاءات والحوارات في كتاب كبير طبع بمصر في منتصف السبعينات باسم (مع رجال الفكر في القاهرة)..

ومن بين الرموز الإسلامية والثقافية التي التقى بها في مصر: الأستاذ أمين الخولي والشيخ أحمد حسن الباقوري والأستاذ أبو الوفا المراغي والأستاذ خالد محمد خالد والدكتور شوقي ضيف والدكتور طه حسين والدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ والأستاذ عبد الكريم الخطيب والأستاذ محمد زكي إبراهيم والأستاذ محمد قطب والشيخ محمود أبو رية والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد والأستاذ محمود محمد شاكر والشيخ محمد عبد المنعم خفاجي والشيخ محمد محمود حجازي والدكتور سليمان دنيا والدكتور حامد حفني داود والشيخ محمود شلتوت والدكتور زكي نجيب محمود والأستاذ عبد الحميد جودة السحار والشيخ محمد الغزالي..

قال الرضوي : هؤلاء مجموعة من رجال الفكر المرموقين دارت معهم موضوعات شيقة تترجم آراءهم في قضايا الفكر الإسلامي ، كما تدل على نظرتهم إلى هذه القضايا الأساسية في وحدة الكلمة وتراص الصفوف..(١)

(١) انظر مع رجال الفكر في القاهرة ، وهو كما يقول المؤلف حوار صريح في مختلف الشؤون الإسلامية يتبنى فكرتها أبطال هذا الكتاب بروح موضوعية تستهدف العمق والصراحة والتقريب..

ومن بين الكتب التي قام بنشرها الرضوي بمصر (تفسير شبر) ويقع في مجلد واحد وكتاب (علي ومناوئوه) وكتاب (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) وكتاب (المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي) وكتاب (وسائل الشيعة ومستدركاتها) وهو موسوعة فقيهة كبيرة وكتاب (أصل الشيعة وأصولها) وكتاب (الوضوء في الكاتب والسنة) و(السجود على التربة الحسينية)..

وقد حرص الرضوي على استقطاب الرموز الإسلامية والثقافية في مصر ، فكان لا يطبع كتاباً فيها إلا ويكون قد كتب مقدمته واحدا من هذه الرموز..(١)

ولم يكن نشاطه ينحصر في محيط الرموز الإسلامية والثقافية وا إنما تجاوز هذا الحد وأجرى اتصالات مع بعض المسئولين في محيط الثقافية وبعض الصحفيين..

وكان قد التقي مع مدير دار الكتب في عام ٦٥ وطلب بأن تقوم الدار بإفراد جناح خاص للكتب والمصنفات الشيعة ،وسوف تقوم الهيئة العلمية في النجف الأشرف بالعراق بإهداء الدار جميع هذه الكتب ،وتم تفويض الرضوي لتنفيذ هذا الأمر..

ويذكر أنه قد نشر في جريدة "المساء " في تلك الفترة خبراً تحت عنوان : قسم بدار الكتب يضم كتب الشيعة..(٢)

وفيما يتعلق برحلة الزنجاني ورحلة موسى الصدر رئيس المجلس الشيعي الأعلى بلبنان ومؤسس حركة " أمل " والتي التقى فيها بعدد من علماء الأزهر والمسؤولين وزار مراقد آل البيت في مصر ،فلم أتمكن من العثور على وثائقهما..

(١)قدم الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب وسائل الشيعة ، وقدم الدكتور سليمان دنيا لكتاب الشيعة وفنون الإسلام ،والشيخ أحمد حسن الباقوري لكتاب المختصر النافع.قيمامإا مقفة في ..

(٢)نشر الخبر في عدد تاريخ ٨ / ٩ / ١٩٦٥ ، ونص على ما يلي : رؤى إنشاء قسم خاص في دار الكتب المصرية العربية بالقاهرة للكتب الدينية للمذهب الإمامي الشيعي باعتباره أحد المذاهب الإسلامية والمقدر عدد أتباعه بأكثر من مائة مليون مسلم..

الأزهر والشيعة

موقف الأمس وموقف اليوم..

كان الأزهر أحد إنجازات الشيعة والبصمة الثابتة لهم في تأريخ مصر وواقعها..
إلا أن خصوم الشيعة من الحكومات والمذاهب رفضوا الاعتراف بهذا الفضل وعملوا على إضعاف الأزهر واستغلاله..
ومنذ سقوط الفاطميين وحتى اليوم وهو يستغل ..
يستغل من قبل الحكومات في كسب المشروعية باسم الدين..
ويستغل من قبل الفقهاء في دعم مذاهبهم..
والحكومات والفقهاء استخدموه لضرب الشيعة..
وهو مستمر في لعب هذا الدور..
ويمكن استثناء فترة قصيرة من عمر الأزهر اعتدل فيها تجاه الشيعة وهى الفترة الناصرية وحتى ظهور الثورة الإسلامية في إيران ،و التي تبنى فيها نهج التقريب سيراً مع سياسة الدولة..
وقد صرح شيخ الأزهر بيصار بقوله: : "الإمام الخميني أخ في الإسلام ومسلم صادق . . إن المسلمين باختلاف مذاهبهم إخوة في الإسلام . . والخميني يقف تحت لواء الإسلام كما أقف أنا..(١)
كان الموقف العدائي الذي تبناه السادات من إيران قد ألزم الأزهر بالعودة لموقفه السابق وا ٍعلان الحرب على الشيعة..
وقد ازداد موقفه تطرفاً بعد اشتعال الحرب العراقية الإيرانية ووقوف مصر إلى جانب العراق ضد إيران..(٢)
وأسهمت العناصر السلفية التي غزت الأزهر في تطرفه أكثر وأكثر في المرحلة الراهنة التي أصبح فيها التيار المخاصم للشيعة صاحب الصوت الأعلى..

(١)في حوار أجرته معه جريدة " الشرق الأوسط عام ٧٩
(٢)انظر بيان للناس من الأزهر الشريف الذي صدر عن الأزهر في عهد شيخه جاد الحق ثم قرر على المدارس الأزهرية..

وقد نص هذا البيان – الذي حوى فتاوى الأزهر ومواقفه من شتى القضايا– بخصوص الشيعة ما يلي: ومن أهم أصولهم تكفير الصحابة ولعنهم..

ادعاء أن القرآن الموجود في المصاحف الآن ناقص..

رفْض كل رواية تأتي عن غير أئمتهم..

التقية..

الجهاد غير مشروع..

– تأريخ الأزهر

ولا بد لنا قبل الخوض في تفاصيل موقف الأزهر من الشيعة من تقديم لمحة تأريخية عنه..

رون المصادر: ثمّ شرع جوهر في بناء جامعه بالقاهرة المعروف بجامع الأزهر وهو أوّل جامع بنته الرافضة بمصر، وفرغ من بنائه في شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلثمائة بعد أن كان ابتنى القاهرة..(١)

()انظر النجوم الزاهرة ج ٤ ذكر دخول جوهر إلى الديار المصريّة وكيف ملكها..

وروى السيوطي: قدم جوهر القائد ، واختط القاهرة، وبنى الجامع الأزهر في سنة ستين وثلاثمائة..(٢)

وَ روى ابن كثير عن جوهر: وَ تَكْمِيلِ الْقَاهِرَةِ فَفَرَغَ مِنْ بِنَائِهِ حَالًا سَرِيعًا، بِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَ سِتِّينَ، وَ هُوَ الَّذِي يُقَالُ: جُلُّ الْأَزْهَرِ..(٣)

(١)انظر كتب التأريخ حوادث عام ٣٦١هـ عام الفراغ من البناء..

(٢) انظر حسن المحاضرة ج٢ المدخل..

(٣)انظر البداية والنهاية حوادث ثمانين وثلاثمائة وفي أفنين الأعيان..

وروى المقريزي: جمع فيه وكتب بدائرة القبة التي في الرواق الأول وهي على يمنة المحراب، والمنبر ما نصه بعد البسملة: "مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه، وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي، وذلك في سنة ستين وثلثمائة..

وجدده الحاكم بأمر الله، ووقف عليه أوقافًا..

ثم إن المستنصر جدد هذا الجامع أيضاً وجدده الحافظ، وأنشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربي الذي في مقدم الجامع عرفت بمقصورة فاطمة..

ولم تنقطع الجمعة من الجامع الأزهر بالكلية، فلما ولي السلطان صلاح الدين بن أيوب، قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس، فعمل بمقتضى مذهبه، وهو امتناع إقامة خطبتين في بلد واحد، كما هو مذهب الشافعي، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر، وأقرها بالجامع الحاكمي لكونه أوسع..

فلم يزل الجامع الأزهر معطلاً من إقامة الخطبة فيه إلى أيام الظاهر بيبرس، فتحدث في إعادتها فيه، فامتنع قاضي القضاة ابن بنت الأعز وصمم، فولى السلطان قاضيا حنفياً، فأذن في إعادتها فأعيدت..

وكان قد سمي هذا الجامع عقب إنشائه بجامع القاهرة, باسم العاصمة الجديدة, وظلّ معروفًا بهذا الاسم زمنًا طويلاً، ثم زاحمه الاسم الجديد -الأزهر- ولكنا لا نستطيع أن نحدد نشوء التسمية الجديدة..

وقد ظل معروفًا باسمه القديم إلى القرن التاسع الهجري، إذ ذكره المقريزي في خططه بهذا الاسم مضافًا إليه اسمه الجديد -الأزهر- فقال: وهو الجامع الذي يعرف في وقتنا هذا بالجامع الأزهر, ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة..

بل ذكره ابن خلكان وقد تبك كتابه في القرن السابع الهجري - بما يفيد تداول الاسم الجديد, فقال في ترجمة جوهر: وأظن هذا الجامع هو المعروف بالأزهر..

واشتهاره في عهد ابن خلكان بهذا الاسم يدل على أنه عرف به من قبل ذلك, لكن في زمنٍ غير معروفٍ بالتحديد..

وبعضهم يرى أن هذه التسمية الجديدة سرت إليه بعد إنشاء القصور الفاطمية في عهد العزيز بالله, وقد كان يطلق عليها القصور الزاهرة..

هذا, وقد استُوِيَ الاسم الأول, وغلب الاسم الجديد عليه إلى اليوم, فأصبح معروفًا به فحسب..

وأما سرُّ هذه التسمية؛ فيرى فريق من المؤرخين أنه سُمِّيَ بذلك تفاؤلاً بما سيكون له من الشأن العظيم والمكانة الكبرى بإزهار العلوم فيه..

وفي دائرة المعارف الإسلامية, أن إنشاء الفاطميين لهذا المسجد يفسر الاسم الذي أطلق عليه, فقد قيل أن الزهر إشارة إلى الزهراء, وهو لقب فاطمة التي سُمِّيَ باسمها أيضًا مقصورة في المسجد..

وكان المسجد في العصور الماضية مركزًا للحياة الإسلامية, يقيم المسلمون فيه صلواتهم, ويعقدون به مجالس قضائهم, ويدعون إلى مذاهبم الخاصة, ويتحدثون فيه عن شئونهم العامة, ويودعون في خزائنه كتبهم ومخطوطاتهم..

ثم هم فوق ذلك يتخذون من رحابه وجنباته مجالس للدرس والتعليم, يجلس فيها الأساتذة, ويهفو إليها الراغبون في العلم, متنقلين كالطير في أرجائها, غير مقيدين بنظم أو برقابة..

وكان مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط, أول مدرسة دينية في مصر, ولم يكن يدرس به إذ ذاك إلاّ علم اللغة والدين؛ من قرآن وحديث..

ثم كان من بعده مسجد أحمد بن طولون مقرًّا هامًّا لتلقي هذه العلوم, التي كانت وحدها مقومات الفكر في ذلك الوقت..

حتى إذا فتح الفاطميون مصر, وأسسوا بها القاهرة, اتجهت رغبتهم إلى مؤسسة دينية تنافح عن مذهبهم الشيعي, وتدعو إليه, فأنشأوا الجامع الأزهر، وتمَّ للفاطميين غرضهم بعد ذلك بعامين, حين عين له العزيز بالله بن المعز لدين الله أساتذته الأولين ولم تكن الدراسة إذ ذاك تعدو اللغة العربية والدين و الفقه..

و في صفر سنة ٣٦٥هـ-أكتوبر سنة ٣٧٥م في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي إجلس قاضي القضاة - أبو الحسين عبن النعمان القيرواني - بالجامع الأزهر, وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة, وهو المسمى بكتاب "الاقتصار" في جمع حشد من العلماء والكبراء, وأثبتت أسماء الحاضرين, فكانت هذه أول حلقة للدرس بالجامع الأزهر..

و كانت هذه هي الحلقة الأولى للقراء والدرس في الجامع الأزهر, بعد أن مضى على إنشائه زهاء ثلاثة أعوام ونصف, وكانت بداية ضئيلة لحركة دراسية متواضعة, بيد أنها كانت بيئة جامعية في معنى من المعاني..

ثم توالت بعد ذلك حلقات بني النعمان بالأزهر, وكانوا من فضلاء علماء المغرب الذين اصطفتهم الخلافة الفاطمية, وجعلتهم دعامتها وألسنتها الرويجة, و كانت حلقات أولئك المغاربة العلماء بالأزهر حلقات دعاية دينية سياسية, يعمرها في أغلب الأحيان الأكابر والخاصة..

وفي مستهل عهد العزيز بالله في رمضان سنة ٣٦٥هـ جلس يعقوب بن كلس, وزير المعز لدين الله والعزيز من بعده بالجامع الأزهر, وقرأ على الناس كتاباً ما ألفه في الفقه الشيعي على المذهب الإسماعيلي, ضمَّنَهُ ما سمعه في ذلك من المعز لدين الله وولده العزيز, وهو المعروف بالرسالة الوزيرية, نسبةً إلى مؤلفها الوزير، وكان يجلس ليقرأه بنفسه على المستمعين؛ خاصَّتهم وعامَّتهم, ويسعى لدرسه جُلَّةُ الفقهاء والعلماء والقضاة والأدباء وأكابر القصر والدولة, وأفتى الناس يومئذ بما فيه..

وابن كلس, هو أول من فكَّر في رسم الخطة الجامعية للأزهر؛ ففي سنة ٣٧٨هـ استأذن الخليفة العزيز بالله أن يعين بالأزهر فريقًا من الفقهاء؛للقراء والدرس, يحضرون مجلسه, ويلازمونه, يعقدون مجالسهم به عصر كل جمعة بعد الصلاة, وكان عددهم سبعةً وثلاثين فقيهًا, ورئيسهم والمشرف على حلقتهم الفقيه: أبو يعقوب,وكان جُلُّ حديثهم في الفقه, وما له به صلة..

وقد رتَّب العزيز لهم مالاً , وأنشأ دارًا يسكنونها بجوار الأزهر,كما رتَّبَ لهم ابن كلس أيضًا رزقًا من ماله حثًّا وتشجيعًا..

ثم أنشأ الحاكم بأمر الله ولد العزيز بالله دار الحكمة الفاطمية, أو دار العلم الشهيرة, في العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ, أي: بعد ما يقرب من خمسمائة وثلاثين عامًا من قيام الأزهر..

حوَقدَّثَ المسبحيُّ, عما لقيته هذه الدار من رعايةٍ وعنايةٍ , بأنه مما لم يجتمع مثله لأحد قط من الملوك..

كانو لقيام هذه الدار أثر بالغ في سَيرْ الدراسة بالأزهر, بل كانت افسنًا جبًّا لمعهدٍ وليدٍ لم تتأثل نظمه, ولم تتوطد دعائمه، فلا عجب إذن أن تركد ريحه, وأن تفتر حلقات الدرس والعلم فيه, وأن تجتذب إليها أنظار الكثيرين من طلاب الأزهر؛ ففيها جدة, وروعة, واستيعاب..

وكان التعليم فيها على نفقة الدولة, وهيء فيها للباحثين والطلاب جميع الأدوات الكتابية, وكان لهم أن يقرأوا وأن ينسخوا ما شاؤوا, ولهم أن يستمعوا من المحاضرات والدروس ما شاؤوا..

تمت هذه الدار في أكناف هذه الرعاية, وأوى إليها بأسلوبها وبشهرتها كثير من علماء الشرق, وأصبح بين تلاميذها نوابغ كثيرون..

ولبثت دار الحكمة قرناً تنافس الأزهر في رسالته العلمية, وتظفر بالسبق والغلبة في كثير من الأحيان, وإن كان الزهر على رغم طغيانها لم يتخلف عن الرسالة التي كان يضطلع بها, إلاّ أنها لم تدع له قوته كاملةً ..

ولم تلبث كذلك حتى انتهى أمير الجيوش "الأفضل شاهنشاه" بإبطالها, وإغلاقها صدر القرن السادس الهجري أيام الخليفة الآمر بإحكام الله "٤٩٥-٥٢٤هـ" لما ذاع من تدخلها في العقائد..

ثم أعادها "المأمون البطائحي" وزير هذا الخليفة, سنة ٥١٧هـ على نسق جديد, روعي فيه تخفيف حدتها المذهبية, وعُني بتدريس القرآن وعلومه عنايةً خاصة..

وإنها, وإن مكثت في هذا المظهر الجديد نصف قرن حتى نهاية الدولة الفاطمية, كانت معهداً مغموراً ليس له من الشأن ما يتصل بماضيه العظيم..

كان لهذا الاضطراب السياسي أثره في دار الحكمة وفي الأزهر معاً فقد فترت حركة الدرس والتحصيل تبعاً لركود الحياة العامة, واضطراب الحياة الخاصة في ذلك الحين..

ثم جاء الأيوبيون فأغضوا عن الأزهر بإنشاء المدارس الأخرى, دُوِّنَ بها المذهب الشافعيُّ, وإن صحبته المذاهب الأخرى، وأخذت مدارسهم تجتذب إليها كثيرين ممن كان الأزهر يزخر بهم، وبلغ عددهم زمن المقريزي، خمساً وأربعين مدرسة..

وكان الأيوبيون ومن حذا حذوهم, يتأنقون في بنائها وزخرفتها, ويجعلون فيها خزائن للكتب, ويجمعون لها نفائس المخطوطات، في الحديث والفقه وغيرهما من العلوم، ويقفون عليها الأوقاف, ويعينون لها الأساتذة؛ فينقطعون للعلم والدرس..

وبعد أحقابٍ طوالٍ تطور الأزهر مع الزمن, وتأثر بالحركة الثقافية؛ فبدأت به دراسة الفقه على المذاهب الأربعة, وبعض العلوم الأخرى؛ كالحساب والهندسة والفلك.. ومن ذلك الوقت, أصبح للأزهر أهميةً بالغةً, وشهرةً ذائعةً في ربوع العالم كله, وتَكَوَّنَ

في مصر جَوٌّ علميٌّ راق, يمد الطلاب بقسطٍ وافرٍ من علوم الحياة, ويهيئ للأساتذة العلماء فرصة الانقطاع للدرس..

وأخذ العلم ينبعث من أقطار الأزهر, ويشع في مختلف البلاد الإسلامية، وأصبح شرفًا عظيمًا أن ينتسب الطالب إليه..

ولكن العناية انقبضت عن الأزهر في مستهلِّ القرن السادس عشر الميلاديِّ ؛ إذ أخذ الضعف يدب فيه وقت الفتح العثمانيّ , وركدت علوم اللغة والآداب, بعد أن كانت موضع دراسةٍ مستفيضةٍ ..

وأصبحت دراسة الفقه والحديث جامدةً تستظهر, وتتخذ في العلم بمظهرًا شكليًّا محضًا، وزالت منه علوم الحياة على وجه التقريب إلاّ ضربًا من الحساب للحاجة إليه في مسائل المواريث, وطرفًا من مبادئ علم الهيئة لضبط المواقيت, وتحديد مواعيد الصلاة, وبعض نظريات الهندسة والفلك وأشباه ذلك..(١)

(١)انظر المواعظ والاعتبار وصبح الأعشى والخطط التوفيقية وتاريخ الجامع الأزهر, لمحمد عبد الله عنان ،وانظر أثر الأزهر في النهضة الأدبية الحديثة ج١ فصل تاريخ التعليم في الأزهر..

- دعاة الشقاق

ومن الغرائب أن رجال الأزهر اليوم يقفون موقف المتفرج بينما تقوم العناصر السلفية المتطرفة بالتحدث باسم الأزهر خاصة فيما يتعلق بالشيعة..

وقد ضربت هذه العناصر جهود العلماء السابقين من شيوخ الأزهر وغيرهم التي بذلوها في محيط الوفاق ونبذ الخلاف والتقريب بين المسلمين..

وكأن هذه العناصر تريد أن تشعلها ناراً تحرق به مصر..

وليس غريباً مثل هذا السلوك على هؤلاء الذين لا يعترفون بسواهم ويعتقدون بمبدأ المواطنة ويدينون بالولاء والتبعية لفقهاء الوهابية في صحراء الجزيرة العربية..

إن أمثال هؤلاء لا يحترمون الأزهر ولا قيمة له عندهم كما هو واضح من من منشوراتهم وفتاوى أئمتهم من البدو الأجلاف..

وهم فقط يستغلونه لتمرير مذهبهم المتخلف وأفكارهم المعوجة والمتخلفة..

ولا يحترمون تراث هذا الوطن ولا تأريخه ولا رموزه..وهم بهذا يقدمون لنا الدليل القاطع على أنهم لا ينتمون لهذا الوطن..

ومن لا ينتمي لهذا الوطن فهو لا يريد به خيراً..

وقد أصدروا مؤخراً منشوراً يؤكد عداء الأزهر للشيعةتحت عنوان:

الأزهر والشيعة الوجه الآخر ، شقاق لا وفاق"

إلا أن الأعجب والأغرب هو أن يصدر من قبل الأزهر منشوراً يدعمه بدلاً من أن يرد عليه..

يقول المنشور السلفي: لا أحد ينكر ما لمصر من ثقل في العالم الإسلامي ، ولا أحد ينكر ما للأزهر من مكانة في قلوب المسلمين في العالم ، ولذلك يحاول الشيعة دائماً استغلال ذلك في الدعاية لدينهم الباطل ، وذلك بطرق كثيرة:

منها تضليل علماء الأزهر بخدعة التقريب بين السنة والشيعة..

ونحاول هنا إثبات أن الأزهر وعلمائه ضد تزكية دين الشيعة ، وضد اعتباره مذهباً خامساً ، وإن خالف بعضهم ذلك فإنه فعل ذلك نتيجة انخداعه بتقية الشيعة

ودعوتهم الكاذبة إلى التقريب بين دين الإسلام – دين أهل السنة والجماعة – وبين باطلهم..

وليتأمل القارئ قوله: وإن كان من علماء الأزهر من قال ذلك فإنما قاله لعدم علمه بحقيقة دين الشيعة الروافض ، وبسبب انخداعه بدعوة التقريب بين السنة والشيعة..

وهو يظهر لنا مدى استخفاف المنشور بالأزهر و رجاله وتصوريهم كجهلاء لا يملكون شيئاً من العلم والوعي مما يسر للشيعة خداعهم وتضليلهم باسم التقريب..

وتأمل اللغة المتطرفة التي تحصر الإسلام في دائرة مذهب أهل السنة، وتعتبر الشيعة يمثلون ديناً آخر وهو ما يعني ضمناً تكفيرهم..

والمنشور يصور لنا أن رجال الأزهر ليسوا جميعهم على موقف واحد تجاه الشيعة فهم قد انقسموا إلى فريقين:

الأول ضد تزكية الشيعة..

والثاني مع الشيعة، وهم الذين خدعوا حسب ما جاء في المنشور..

وهذا يعني أن الأزهر لا يعادي الشيعة، وإنما هو قسم منه..

وإذا كان هناك من يتعاطف مع الشيعة من رجاله ولا يتطرف في مواجهتهم فلا يجوز لأحد أن يدعي أن الأزهر يعادي الشيعة..

وهو بهذا الموقف يكون قد صادر الآخرين و احتكر التحدث بلسانه..

وهو ما يحاول أن يصوره المنشور الذي يتحدث بلسان السلفيين لا بلسان الأزهر..

يقول المنشور: ولقد استطاع الشيعة الروافض في ظل دعوة التقريب أن يخدعوا شيخ الأزهر محمود شلتوت بالقول بأن مذهب الشيعة لا يفترق عن مذهب أهل السنة ، وطلبوا منه أن يصدر فتوى في شأن جواز التعبد بالمذهب الجعفري. فاستجاب لهم وأصدر فتواه في سنة ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٥٩م بجواز التعبد بالمذهب الجعفري..

وطار الشيعة الروافض بهذا فرحاً واعتبروا فتوى الشيخ شلتوت هي القطف الشهي والثمرة الكبرى لدعوة التقريب لأنها تعطيهم –كما يتصورون – (الشرعية) في التبشير بالتشيع في ديار السنة..

ولكن هل كانت فتوى الشيخ شلتوت مبنية على دراسة لمذهب الشيعة أم

مبنية على تصديق الشيخ شلتوت لدعاوى الشيعي محمد القمي ،مؤسس جماعة التقريب وغيره بأنه لا خلاف بين السنّة والشيعة؟!!

الذي رجحه الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري صاحب كتاب «مسألةُ التّقريب بين أهْل السُّنة والشّيعَة»هو الثاني بناءً على ما سمعه من بعض معاصري الشيخ شلتوت ومجالسيه..

ومما يؤكد جهل الشيخ شلتوت بالشيعة أنه يرى أن السبيل الوحيد إلى إعادة الصف الإسلامي إلى وحدته وقوته أنيتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله..

وأن نطرح وراء ظهورنا تلكم التأويلات البعيدة للنصوص الشرعية من كتاب وسنّة صحيحة ، وأن نفهمها كما فهمها المعاصرون للتنزيل ، وأن نجعل أهْوَنا تبعًا لديننا ، ولا نجعل ديننا تبعًا لأهوائنا..

وأن نحارب احتكار فرد أو أفراد تعاليم الدين ، فما كان الإسلام دين أسرارٍ وأحَاجٍ لا يعرفها إلا طائفة خاصة تُطْلِع عليها من تشاء وتمنعها عمن تشاء، فما انتقل الرسول ص إلى الرفيق الأعلى حتى بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ، وطلب من أصحابه وأتباعه أن يبلّغوا ما علموه..

(هذا ما قاله الشيخ شلتوت في مقدمته لكتاب «إسلام بلا مذاهب»)

وقد ردد ذلك بعض علماء الأزهر ، ومنهم الدكتور محمد سيد طنطاوي.ومما يوضح انخداعه بدعوة التقريب بين السنة والشيعة..

ويواصل المنشور تأكيده على جهل شيوخ الأزهر وبقدم لنا الدليل القاطع على أنه يمثل من لا يحترمون الأزهر ولا مصر وينطق بلسانهم..

وهم بدو جزيرة العرب الوهابيين الذين يعدون مراجع السلفيين وعلى رأسهم القفاري المذكور وكتابه الذي حوى فتاوى ومواقف بعض رجال الأزهر المعادية للشيعة، وهو المرجع الأساس للمنشور..

وما ذكره الشيخ شلتوت حول السبيل إلى إعادة وحدة الصف الإسلامي ورفض احتكار الدين ،هو عين العقل والصواب، وهو يكشف لنا تجرد الرجل وعدله وإنصافه في مواجهة المخالفين..

ويكشف لنا من جهة أخرى جهل السلفيين وغباوتهم وضيق أفقهم وانغلاقهم وتعصبهم، فهم ضد العقل ووحدة الصف وقبول الآخر..

وهم لا يعترفون إلا بمذهبهم وأئمتهم..

وتحت عنوان: دور الأزهر في الدفاع عن الإسلام ضد ضلالات الشيعة ،قال المنشور:لكثير من علماء الأزهر – وفقهم الله – دور كبير في التحذير من دين الشيعة ، وذلك عن طريق إصدار الكتب ، والتحدث على القنوات الفضائية ، وتحذير طلابهم من ذلك ، ومحاولة منع نشر كتب الشيعة ، والدفاع عن الصحابة ضد افتراءات الشيعة والعلمانيين..

فقد قرر الأزهر الشريف في ٢٠٠٦/١٢/٣ منع عدد من المطبوعات الشيعية التي يتم تداولها بمصر، وقامت الجهات الأمنية وجهاز المطبوعات بالتعاون مع مجمع البحوث الإسلامية بعملية المصادرة والمنع..

وطالب الأزهر بمنع تداول كتاب (الملحمة الحسينية) والذي تطاول فيه الكاتب – عليه من الله ما يستحق – علي الصحابيين الجليلين معاوية بن أبي سفيان و سمرة بن جندب..

وأوضح تقرير الأزهر حول الكتاب أنه يجب عدم نشره أو تداولة حفاظًا علي عقيدة أهل السنة والجماعة..

كما طالب الأزهر أيضا بمنع وتداول مجلة (أهل البيت) والتي تبني و جهة نظر الشيعة الإمامية الاثني عشرية ،والتي تخالف في كثير من أصولها مذهب أهل السنة والجماعة. وتهاجم من أولها إلي آخرها صحابة رسول الله..

وأكد الأزهر أيضًا أن هذه المجلة تحاول ترسيخ الفكر الشيعي في مصر.

ومثل هذا الكلام يهدف لتوريط الأزهر والزج به في صدام مع المخالفين من الشيعة وغيرهم ومحاولة تكميم أفواههم، ليكون الرابح في النهاية هم السلفيون..

ومسألة الصحابة التي يتشدق بها هؤلاء هى أشبة بلعبة قميص عثمان، فهم ليسوا ركناً من أركان الدين، ولا يوجد أي دليل شرعي صريح يحرم المساس بمن انحرف منهم، أو يضفي عليهم القداسة بمجموعهم دون تمييز..

وحق النقد من الحقوق الشرعية التي أوجبها الإسلام ضمن رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

إلا أن هؤلاء يتسلحون بالعقل الروائي، وينتزعون الروايات والأقوال من هنا وهناك ليضخموا من مسألة الصحابة، وما هذه الروايات والأقوال بحجة على أحد..

وهى ليست سوى رؤية مذهبية تعصب لها الحنابلة خاصة ثم استثمرتها الحكومات في ضرب الشيعة والوقيعة بينهم وبين المسلمين، مما أدى لشيوعها كعقيدة، وهى في الحقية لا صلة لها بالاعتقاد أو أصول الدين..

- منشور الأزهر

اتجه الأزهر مؤخراً وبعد سقوط النظام السابق إلىاتخاذ موقفاً عدئياً من الشيعة..

والسؤال هنا ما هو السبب في تبدل موقفه وتحوله لهذه الدرجة..؟

هل في سيطرة العناصر السلفية..؟

أم هو مسايرة للوضع الجديد..؟

أم إن السبب يكمن في كثافة للتبرعات الخارجية من الجهات الوهابية..؟

وأي ما يكون السبب فنحن أمام أزهر جديد يمتاز بالضعف الشديد و يعاني من افتقاد الرموز وانعدام التأثير، وهو في حاجة ماسة إلى التجديد..

وقد أصبح رموز الوهابية هم الأعلى منه صوتاً والأكثر شعبية و تواجداً..

ومن المؤسف أن مجلة الأزهر الناطقة بلسانه ،والتي هبط مستواها كثيراً منذ عقود

- ولازال يهبط — تتحول إلى بوق يستنفر الناس ضد الشيعة، و تنشر على صفحاتها الأكاذيب، وتلصق بهم كل عجيب وغريب..(١)

وقد صدر عددها بتاريخ ذو الحجة ١٤٣٣هـ نوفمبر ٢٠١٢م وبه ملحق بمنشور يحمل عنوان (الخطوط العريضة لدين الشيعة) الذي كتبه محب الدين الخطب منذ أكثر من نصف قرن بتقديم رئيس التحرير..(٢)

(١) برز هذا التحول منذ أن تسلم رئاسة تحريرها محمد عمارة مؤخراً ..

(٢) محب الدين الخطيب أحد الشوام الذين فروا لمصر من وجه الأتراك العثمانيين في أوائل القرن الماضي ،وكان على صلة بالوهابيين، وقد أسس بمصر المطبعة السلفية ومكتبتها ، وهو من المترصين بالشيعة وأول من نشر كتب ضدهم في العشرينيات من القرن الماضي، توفي بالقاهرة عام ١٩٦٨م..

ثم صدر عدد آخر بتاريخ المحرم١٤٣٤هـ ديسمبر٢٠١٢م ملحق به منشور يحمل عنوان(الأزهر والشيعة تأريخ وفتاوى وآراء)، دراسة وتقديم رئيس التحرير أيضاً ..

وكان الملحق الأول قد تبناه الوهابيون ونشروه في كل مكان بعدة لغات منذ عقود..

أما الملحق الثاني فيعد صورة طبق الأصل من المنشور السلفي السابق..

قال رئيس التحرير في مقدمة الملحق الثاني: في عهد الدولة الفاطمية تحولت مصر إلى مركز الخلافة ، ونمت على أرضها إنجازات مدنية وحضارية هائلة..

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: إذا كانت مصر قد تحولت إلى مركز خلافة وأصبحت متبوعة بعد أن كانت تابعة، ونمت على أرضها إنجازات مدنية وحضارية هائلة على يد الفاطميين الشيعة، فلماذا نحاربهم ونشوه صورتهم ونحرض الناس على مذهبهم..؟

أليس هذا الإنجاز الذي قام به الفاطميون يدل على وطنيتهم وحبهم لمصر..؟

وهل يكره أحد من المصريين من نفع مصر وخدمها وأسهم في رقيها وتقدمها..؟

والجواب على هذه التساؤلات وغيرها يتركز في التعصب المذهبي..

لقد قدم هؤلاء مذاهبهم على الوطن، واعتبروها ديناً ، وعدوا الدفاع عنها مقدم على الدفاع عن الوطن..

والطريف أنه وضعت خارطة للدولة الفاطمية على الغلاف الداخلي للملحق وكتب تحتها: دولة الخلافة الفاطمية في أقصى اتساع لها..

وهو الاتساع الذي ضم مصر والشام والمغرب العربي و جزيرة العرب حتى حدود العراق..

والسؤال هنا: هل يمكن أن يكون أصحاب هذا الإنجاز على زيغ وضلال..؟

والجواب يكمن في سؤال آخر نوجهه للسلفيين والأزهريين هو : ماذا فعل لمصر أصحاب الهدى والاستقامة حسب منظوركم من الدول والحكومات التي تبنت مذهبكم..؟

وفي التساؤلات التالية:

هل جعلوها تابعة أم متبوعة..؟

هل استنزفوا ثرواتها ونهبوها أم احتفظوا بها لأبنائها..؟

هل أكرموا شعبها أم أهانوه..؟

هل حققوا الأمن لمصر..؟

هل تسامحوا مع المخالفين واحترموهم..؟

وهل التطرف والإرهاب الذي ساد مصر منذ عقود ، ولازال يسودها، والدماء التي أريقت ، والأموال التي استحلت كانت بسبب الشيعة..؟

إن التأريخ يشهد ويجيب..(١)

وكذلك الواقع أيضاً..

أنه بدافع التعصب المذهبي أعلن خصوم الشيعة على مستوى الماضي عن فرحتهم الغامرة بسقوط الفاطميين..

ولازال هؤلاء يعلنونها على مستوى الحاضر..

وتناسوا ما حدث لمصر والمصريين في الوقت الذي دخلوا فيه معترك السياسة ، وأصبحوا من المنادين بحقوق الإنسان..

وبدافع التعصب المذهبي تغاضى الأزهر وأصحاب المصالح عن جرائم الفرق السلفية الوهابية في حق مصر والمصريين وقبلوا توبتهم أو ما أسموه مراجعاتهم، وفتحوا لهم البلاد ليرتعوا فيها، ويشهروا حرابهم في وجه الجميع باسم الحرية، ويشوهوا صورة الإسلام وصورة مصر..

(١)انظر فصل فضل الشيعة على مصر..

البهرة

الفاطميون يعودون لمصر بعد غيبة أكثر من ثمانية قرون..

تنتمي طائفة البهرة إلى الإسماعيلية..

والاسماعيلية واحدة من فرق الشيعة التي تنسب لإسماعيل بن الإمام جعفر الصادق وتحصر الإمامة في نسله ، فمن ثم هي لا تعترف ببقية الأئمة الإثنى عشر بعد الإمام جعفر الصادق..

ولأجل ذلك سميت الطائفة بالشيعة الإسماعيلية تمييزا لها عن الشيعة الإمامية التي تعتقد بوصية الإمام جعفر لإبنه موسى الكاظم الإمام السابع الذي لا تعترف به الإسماعيلية..

وهذا هو جوهر الخلاف بين الإسماعيلية والإمامية..

وقد انقسمت الإسماعيلية إلى طائفتين :

المستعلية وهي ما يطلق عليه البهرة وهى تعتقد في إحدى وعشرين إماماً ..

والنزارية وهي ما يطلق عليه الاغاخانية..

أما سبب هذا الإنقسام فيعود إلى عهد المستنصر بالله الفاطمي عام ٤٨٧ هـ حين وقع الخلاف حول تعيين الإمام بعد وفاة المستنصر..

– نشأة البهرة

كان للمستنصر الفاطمي عدة أولاد منهم محمد ونزار وعبد الله وإسماعيل و حيدرة وأحمد ، وكانت الدولة في قبضة بدر الجمالي وزير المستنصر ومن بعده ولده الأفضل..

وأراد الأفضل تعيين أحمد الأصغر خليفة للمستنصر بعد وفاته فتصدى له نزار الابن الأكبر ورفض مبايعة أخاه الأصغر الذي لقب بالمستعلي..

روى المقريزي عن المستعلى بالله :أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور..

ولد في ثامن عشر المحرم، وقيل في العشرين من المحرم، سنة ثمان وستين و أربعمائة، وبويع له في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، سنة سبع وثمانين وأربعمائة، حين مات أبوه المستنصر..

وذلك أن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي عندما مات المستنصر بادر إلى القصر وأجلسه ولقبه بالمستعلى، وبعث فأحضر إليه نزاراً وعبد الله وإسماعيل، أو لاد المستنصر..

فلما حضروا وشاهدوا أخاهم أحمد وكان أصغرهم، قد جلس على تخت الخلافة أنفوا من ذلك

وقال كل منهم إن والده وعده بالخلافة..

وقال نزار: إن قطعت ما بايعت من هو أصغر سناً مني وخط والدي عندي بأني ولي عهده وأنا أحضره، وخرج مسرعاً ليحضر الخط، فمضى من حيث لا يشعر به أحد وتوجه في خفية إلى الإسكندرية..

فلما أبطأ أرسل الأفضل من يستعجله بالحضور، فلم يوجد، وفتش عليه في القصر فلم يوقف له على خبر ولا عرف كيف توجه فاضطرب الأفضل لذلك وانزعج انزعاجاً شديداً ..

وبادر الأفضل فأجلس أبا القاسم ولقب بالمستعلى بالله. وأصبح في بكرة يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة فأخرجه إلى الإيوان، وأجلسه على سر ير الملك، وجلس هو على دكة الوزارة، وحضر قاضي القضاة المؤيد بنصر الإمام علي بن نافع بن الكحال، والشهود، فأخذ البيعة على مقدمي الدولة وأمرائها و رؤسائها و جميع الأعيان..(١)

(١)انظر إتعاظ الحنفا ج٣ المستعلي بالله..

إلا أن ابن كثير يقول بأن المستنصر عهد بالحكم من بعده لولده نزار لكن الأفضل نقض العهد..

وكان ابن كثير يروي: وقد عهد بالأمر إلى ولده نزار فأخذ الأفضل بدر الجمالي بعد موت أبيه. وأمر الناس فبايعوا أحمد بن مطر، وأخذ له بالمتعلي..

فهرب نزار إلى الإسكندرية فجمع له الأفضل وبايعه قاضي الإسكندرية: جلال الدولة بن عمار، فقصده الأفضل فحاصره وقاتلهم نزار وهزمهم الأفضل وأسر القاضي ونزار، فقتل القاضي وحبس نزار بين حيطين حتى مات وقرر المتعلي بالخلافة، وعمره إحدى وعشرون سنة..(١)

وروى الذهبي في حوادث سنة خمس وتسعين وأربعمئة: وفيها توفي المستعلي بالله، أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله، معدّ بن الظاهر علي بن الحاكم منصور العبيدي صاحب مصر، ولي الأمر بعد أبيه ثمان سنين، ومات في صفر، وله تسع وعشرون سنة..

وفي أيامه انقطعت دولته من الشام، واستولى عليها الأتراك والفرنج ولم يكن له مع الأفضل حلّ ولا ربط، بل كان الأفضل أمير الجيوش، هو الكلّ ..

وفي أيامه هرب أخوه نزار، الذي تنسب إليه الدعوة النزارية بقلعة الألموت، فدخل الاسكندرية وبايعه أهلها، وساعده قاضيها ابن عمار، ومتولّيها أفتكين، فنازلهم الأفضل، فبرز لحربه أفتكين وهزمه، ثم نازلهم ثانياً وظفر بهم ورجع إلى القاهرة بأفتكين ونزار، فذبح أفتكين، وبنى على نزار حائطاً فهلك..(٢)

(١)انظر البداية والنهاية ج ١٢ سنة سبع وثمانين وأربعمائةه..

(٢)انظر العبر في خبر من غبر ج٢

وقيل أن الحسن بن الصباح زعيم الفرقة الشهيرة بالحشاشين وهو أحد الدعاة الإسماعيلية البارزين في تلك الفرقة خطب لنزار وعمل على تكوين فرقة له عرفت وقتها بالنزارية ، وأرسل بعض أتباعه لإحضار نزار من مصر إلى فارس حيث مقر دعوته..

وقيل أيضاً إن نزار فر من الحصار حول الإسكندرية واتجه إلى ابن الصباح في فارس وتزوج ابنته ونص بالإمامة من بعده على ولده منها..

و النزارية هم أصحاب الفرق الفدائية التي طاردت صلاح الدين و كان من ضحاياها الوزير نظام الملك وزير ألب أرسلان وملك شاه من ملوك السلاجقة ، وقد حاولوا قتل الخليفة الآمر بأحكام الله ابن المستعلي في عام ٥٢٤ هـ..

ويذكر أن هذه الفرق الانتحارية أصابت المجتمع السلجوقي بالرعب حيث كانت غاراتهم لا تنقطع عن السلاجقة..

وكما تذكر كتب التاريخ فقد كان الحسن بن الصباح على درجة كبيرة من الفقه وقد دون عقائده في كتب ، وهو من ثم الذي أعطى الدفعة العقدية الأولى لاتجاه النزارية وعمل على نشره في بلاد فارس وما ورائها..

وتمكن من الاستيلاء على بعض القلاع الواقعة على بحر قزوين منها قلعة الموت الحصينة التي اتخذها مقراً له ولأتباعه ، وبدأ يشكل خطورة على السلاجقة الذين كانوا يسيطرون على فارس وكذلك على العباسيين في بغداد..

روى ابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٧هـ: هذه السَّنَةَ ، عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، تُوُفِّيَ مُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعَدُّ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ ، بِ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سِتِّينَ سَنَةً وَأَكَانَ مُسْبَعًا تِّينَ سَنَةً ، وَهُوَ الَّذِي خَطَبَ لَهُ الْبَسَاسِيرِيُّ بِبَغْدَادَ وَذَكَرْنَا ذَلِكَ ..

ـانَ الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ، رَئِيسَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، قَدْ قَصَدَهُ فِي تَاجِرٍ،
ـتَمَعَ بِهِ، وَخَاطَبَهُ فِي إِقَامَةِ الدَّعْوَةِ لِلْإِمَامِ الْمُعْتَضِدِ، فَعَادَ النَّاسُ إِلَيْهِ سِرًّا، ثُمَّ
أَظْهَرَهَا، وَمَا لَكَ قَالَ لِلْمُسْتَنْصِرِ مِنْ أَمْرِي بَعْدَكَ..؟
ـبْنِي نِزَارٌ، وَهُوَ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ، وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةُ يَقُولُونَ بِإِمَامَةِ نِزَارٍ..
وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ بَعْدَهُ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بِاللَّهِ، وَفِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ
وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكَانَ قَدْ عَهِدَ فِي خِلَافَتِهِ بِالْخَيْرِ، فَخَلَعَهُ الْأَفْضَلُ
وَبَايَعَ الْمُسْتَعْلِي بِاللَّهِ..
ـبَ نِزَارٌ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَبِهَا نَاصِرُ الدَّوْلَةِ، فَأَقَامَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَسَمَّوْهُ
الْمُصْطَفَى لِدِينِ اللَّهِ، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَلَعَنَ الْأَفْضَلَ..
وَأَعَانَهُ أَيْضًا الْقَاضِي جَلَالَةُ الدَّوْلَةِ بْنُ عَمَّارٍ فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَنَسَبَهُ الْأَفْضَلُ،
ـصَرَهُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَعَادَ عَنْهُ مَقْهُورًا، ثُمَّ كَرَّ دَيْنَهُ، وَحَاصَرَ إِلَهَهُ وَأَخَذَهُ،
وَأَخَذَ أَفْتَكِينَ فَقَتَلَهُ، وَتَسَلَّمَ الْمُسْتَعْلِي فَلَمَّا عَلَيْهِ عَائِطًا، وَقَتَلَ الْقَاضِي
جَلَالَ الدَّوْلَةِ بْنَ عَمَّارٍ وَمَنْ أَعَانَهُ..(١)

(١) انظر الكامل في التاريخ ٨/٤٨٧ مستنصر، وولاية ابنه المستعلي، وانظر ترجمة ابن الصباح في كتب التراجم والتأريخ..

ووَهَرِيَ عن قلعة ألموت: حي قَزْوِينَ، قيل كان من ملوك الدَّيْلَم كان
التَّصَيُّد، فأَرْسَلَ يَوْمًا عُقَابًا، وتبعه قَدْ قَطَعَ على مَوْضِعِ هذه القَلْعَة،
دَهُ مَوْضِعًا وحَصِينًا، فأَمَرَ بِبِنَاءِ قَلْعَةٍ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ ألموت عَنْ نَوَاهُ مَبْلِسَانِ
الدَّيْلَم: تَعْلِيمُ الْعُقَابِ..

وَيُقَالُ لِذَلِكَ وَالْمَمَوَاتُ يُجَاوِرُهُ طَالْقَانُ وَفِيهَا صَنْعَةٌ أَشْهَرُ لَهَا أَوْتُ..

نَ الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ رَجُلاً شَهْمًا، كَافِيًا عَلَمًا بِالْهَنْ الْحِسَابِ النُّجُومِ،
وَالسِّحْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ..

مَضَى ابْنُ الصَّبَّاحِ فَطَافَ الْبِلاَدَ، وَوَصَلَ إِلَى مَرْدَاحِ الْمُسْتَنْصِرِ صَاحِبِهَا،
رَهُ، وَأَعْطَاهُ مَالاً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى إِمَامَتِهِ..

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: فَمَنِ الإِمَامُ بَعْدَكَ؟

رَ إِلَى ابْنِهِ نِزَارٍ، وَعَادَ مِنْ مِصْرَ إِلَى يَرُومَ الْجَوْزِ يَرُومُ بِرَكْوَرَ الْجَعَ إِلَى
انَ، وَدَخَلَ كَاشْغَرَ، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ، يَطُولُ عَلَى قَضْمِ لُهُمْ، فَلَمَّا رَأَى قَلْعَةَ
مُوتَ، وَاخْتَبَرَ أَهْلَ تِلْكَ النَّوَاحِي، أَقَامَ عَهْدَهُمْ إِلَى غَمْوِ فِيهِمْ، وَعَاهَدَهُمْ فِي
رِّ، وَأَظْهَرَ الزُّهْدَ السِّ، وَلَبِسَ الْمِسْحَ، فَعَتَبَ رُأَكُمْ..

الْعَلَوِيُّ صَاحِبُ الْقَلْعَةِ حَسَنُ الظَّنِّ فِيهِ، سَيُنَبِّهُ إِلَيْكُمَا بِأَحْ، فَكَلَّمَ الْحَسَنُ
رَهُ، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْعَلَوِيِّ بِالْقَلْعَةِ..

: اخْرُجْ فَقَالَ لَهُ هَذِهِ الْقَلْعَةِ، فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ، وَنَزَحَ ابْنُ فَأَمَّ الصَّبَّاحِ بَعْضَ
سْحَابِهِ بِإِخْرَاجِ الْعَلَوِيِّ، فَأَخْرَجُوهُ إِلَى دَمَغَانَ، وَأَعْطَوْا مَلَكَ الْقَلْعَةَ..

غَ الْخَبَرُ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ بَعَثَ عَلَيْكُمَا إِقْوَتَ، فَحَوَصَفَرِيهَا، وَأَخَذُوا
لَيْهِ الطُّرُقَ، فَضَاقَ ذَرْعُهُ بِالْحَصْرِ، فَأَرْسَلَ مَنْ تَلَقَّى نِظَامَ الْمُلْكِ قُتِلَ، فَلَمَّا رَجَعَ
الْعَسْكَرُ عَنْهَا..(١)

(١)انظر المرجع السابق ج٨ حوادث سنة ٤٩٤هـ، وتوفي ابن الصباح في عام ٥١٨هـ ..

لقد أدى الخلاف حول أحقية الإمامة من بعد المستنصر إلى انقسام فرقة الإسماعيلية وانتقل هذا الخلاف إلى الهند التي كانت قد وصلتها دعوة الشيع من قبل ظهور الفاطميين عن طريق اليمن،ثم عن طريق البحرين بعد ظهور الفاطميين..

واتجه شيعة الهند القدامي إلى تبني الدعوة المستعلية وأصبح يطلق عليهم اسم البهرة وهي كلمة تعني بالعربية : تاجر . .

وربما كان سبب ظهور كلمة البهرة وإطلاقها على اتجاه المستعلية يعود سببه إلى العلاقات التجارية التي تربط هؤلاء الهنود الشيعة بمصر واليمن..

من هنا ارتبط المستعلية بمصر ارتباطاً روحياً لكونها تمثل قاعدة الفاطميين وبها مراقد أئمتهم وآثارهم..

أما النزارية فتعد السلمية بحمص في سوريا القاعدة التأريخية لها ، وإن كانت تنظر لمصر بعين القداسة ،وهى تعترف بالأئمة الفاطميين حتى المستنصر فقط..

وقد انقسمت المستعلية في الهند إلى طائفتين : داودية وسليمانية ، نسبة إلى أسماء اثنين من كبار دعاتهم ، والذين يأتون إلى مصر ينتسبون إلى داودية ..

وهم في عبادتهم وشعائرهم لا يختلفون عن الشيعة الإمامية في شئ..

ويحتفظ البهرة في الهند بكثير من الكتب الفاطمية التي نقلت إليها من اليمن ومصر خاصة بعد سقوط الدولة الفاطمية ، وما لحق بتراث الفاطميين من تدمير وإحراق على يد صلاح الدين..

ومن بين هذا الكتب السجلات المستنصرية ودعائم الإسلام للقاضي النعمان وهو كتاب الفقه الأساس عند طائفة البهرة وقد تم طبع كلا الكتابين في مصر..(١)

(١)أنظر الإمام المستنصر بالله الفاطمي للدكتور عبد المنعم الماجد ومقدمة كتاب دعائم الإسلام المطبوع في مصر تحقيق آصفي بن علي أصغر فيضي ، وقد تعاون مع أصغر في هذا الكتاب كثير من المفكرين والأساتذة في مقدمتهم الدكتور طه حسين وهو الذي زكى الكتاب لدى دار المعارف ، وعمل فهارس هذا الكتاب محمد فؤاد عبد الباقي

ومن عجائب القدر أن باحثاً هندياً (آصفي أصغر) يعيد إلى مصر كتاباً من أقدم كتبها فقد منها واحتفظ به بأمانة في بلاد بعيدة عنها وهي بلاد الهند..

- العودة إلى مصر

وهناك إشارات تاريخية تؤكد أن كثير من الشيعة المصريين الذين فروا من وجه صلاح الدين اتجهوا إلى الهند وأقاموا فيها ، مما يومئ إلى أن من هؤلاء البهرة من تمتد أصوله إلى مصر واليمن وبقاع عربية أخرى..

والظاهر أن عودة البهرة إلى مصر بدأت في أواخر السبعينات في عهد السادات وبدأت في الازدياد في فترة الثمانينات..

وقد اتجه البهرة فور وصولهم إلى مصر للقاهرة الفاطمية وأقاموا فيها و بدأوا رحلة البحث عن مراقد وآثار الأئمة الفاطميين والعمل على بعثها وتجديدها..

وكان من أشهر الآثار الفاطمية التي قام البهرة بتجديدها في مصر مسجد الحاكم بأمر الله المسمى بالجامع الأنور الملاصق لسور القاهرة من الجهة الشمالية بجوار بوابة الفتوح ،وهو من أضخم مساجد القاهرة ،وقد استخدمه الصلاح الدين ومن بعده ملوك الأيوبيين بعد أن تم إغلاق الجامع الأزهر..

ولم تقتصر مهمة البهرة في مصر على آثار الفاطميين وحدهم بل امتدت لتشمل مراقد أهل البيت في مصر ، فقاموا بتجديد مرقد السيدة زينب ومقصورتها ،كما جددوا مقصورة رأس الحسين،وجددوا قبر مالك الأشتر الذي دفن إلى جواره وأخراً شقيق شيخ البهرة..

قال الأستاذ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية : البهرة أي كبار التجار ويقولون إنهم أحفاد الفاطميين ، هاجروا في الحكم الأيوبي وتنقلوا في البلاد حتى استقروا بالهند ، وهم معتدلون في الغالب ، وهم الذين جددوا جامع الحاكم بعد اندثاره ،و وهبوا لمشهد الحسين والسيدة زينب ضرائح الذهب والفضة فهم غير الأغاخانية، و كان الأزهر قد أهدى سلطانهم الدكتوراه الفخرية ، فهم مسلمون.. (١)

(١)أنظر أهل القبلة كلهم موحدون للأستاذ محمد زكي إبراهيم . من المطبوعات العشيرة المحمدية..

ويلاحظ أن طائفة البهرة يقيمون شعائرهم علناً في مسجد الحاكم بأمر الله ويبدو من ظاهرهم التمسك بالسنن والهيئات الإسلامية..

كما يلاحظ عليهم الانضباط والنظام فهم يسيرون جماعات بشوارع القاهرة ويمسكون بالمصاحف في أيديهم ،ونسوتهم محجبات وقد اعتاد رؤيتهم رجل الشارع في مصر..

وهم لم يكتفوا بمجرد الإقامة في مصر وبجوار القاهرة القديمة ،بل اتجهوا إلى إقامة المشاريع التجارية وبعضهم اشتروا بيوتاً ومحلات تجارية فيشارع المعز لدين الله الفاطمي الذي يشق قلب القاهرة القديمة..

وبتوافد البهرة على مصر يزداد التواجد الشيعي فيها بعد أن كان قد اختفى منها طيلة ثمانية قرون..

– شبهات حول البهرة

وقد أثيرت العديد من الشبهات من حول البهرة في الفترة الأخيرة ضمن حملة قادتها بعض الأطراف المعادية للشيعة..

ومن هذه الشبهات ما يثار حول دور البهرة في مصر والأهداف التي جاءوا لتحقيقها فيها ، وما يثار حول عقائدهم وحقيقة مذهبهم،وما يثار حول تعديهم على الآثار..

ومثل هذه الشبهات إنما كانت لها أبعاد سياسية خاصة في فترة الحرب العراقية الايرانية..

وقد حاول البعض إثارة الحكومة على البهرة وطردهم من مصر ، إلا أن الحكومة على ما يبدو كانت راضية عليهم ومطمئنة إلى وجودهم بمصر..

ولم تظهر أية بوادر من البهرة تستفز الحكومة أو تثير جهاز الأمن عليهم ، وكلا الطرفين يتعامل مع الآخر وفق حدود مرسومة..

أما بخصوص معتقداتهم فهم يدينون بالمذهب الإسماعيلي كما ذكرنا ويمثلون الجانب المعتدل منه ،..

وطائفة البهرة في مصر ترتبط بعلاقات وثيقة مع الحكومة ، وإمام الطائفة كان على علاقة بالسادات وحسني مبارك ولهم علاقات وثيقة بوزارة الأوقاف وقد تبرعوا لها بملايين الدولارات..

فضل الشيعة على مصر

التأريخ يشهد والواقع يؤكد..

مع منتصف القرن الرابع الهجري ودخول الفاطميين مصر تم إحياء نهج أهل البيت..
وأصبحت مصر متبوعة بعد أن كانت تابعة..
وأصبحت لها قوة ووزن وعاصمة للمرة الأولى في تاريخ المسلمين..
وكانت حدود مصر في زمن الفاطميين تمتد حتى العراق شرقاً وتونس وما ورائها غرباً والسودان جنوباً بالإضافة لجزيرة العرب..
واستمرت مصر في هذا الوضع أكثر من قرنين..
وفي ظل ضعف الفاطميين ظهر الأيوبيون الأكراد وانتزعوا الشام من مصر..
ثم خططوا لإسقاط دولة الفاطميين..
وجاءتهم الفرصة حين طلب العاضد آخر خلفاء الفاطميين من نور الدين حاكم الشام العون لمقاومة الحملات الصليبية على مصر..
وأرسل نور الدين قوة كردية للمساعدة فيها صلاح الدين..
وبدلاً من أن تقوم القوة بدورها انقلبت على العاضد وأسقطت الدولة الفاطمية وأعلنت تبعيتها لبغداد..
ثم بعد وفاة نور الدين واستيلاء صلاح الدين على مملكته استقل بها عن بغداد..
وتحولت مصر إلى تابعة لدمشق عاصمة دولة الأيوبيين من جديد..
وجاء المماليك من بعدهم فجعلوها تابعة لدمشق في دولتهم الأولى بزعامة الظاهر بيبرس..
وعادت القاهرة لتكون العاصمة مرة أخرى في دولة المماليك الثانية وتصبح دمشق تابعة لها..
وبهزيمة السلطان الغوري آخر سلاطين الدولة المملوكية الثانية على يد العثمانيين سقطت مصر وأصبحت تابعة للأستانة..
ومنذ ذلك الحين انتهى دورها وفقدت أهميتها حتى جاء محمد علي فأحيا هذا الدور، لتفقده من جديد بعد رحيله..
وكانت هذه هى المقدمة..

- الإمام علي ومصر

وحين تسلم الإمام على الحكم عام ٣٦هـ أصدر أمره بعزل ولاة عثمان وعلى رأسهم عمرو بن العاص والي مصر..

وكان ابن العاص يرتع في مصر دون حسيب أو رقيب..

وكانت تلك أولى بركات أهل البيت على مصر..

وأرسل الإمام محمد بن أبي بكر حاكماً لمصر من قبله لكنه لم يصمد أمام هجمات ابن العاص التي حاول من خلالها استرداد حكم مصر..

فأرسل مالك الأشتر والياً عليها ومعه وصية لأهل مصر كانت بمثابة أول دستور في التاريخ يحقق العدل والأمن والنهوض والتقدم لمصر..

ومن كتاب للإمام علي كتبه لأهل مصر حين أرسل مالك والياً :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصى في أرضه وذهب بحقه ، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن (المسافر)، فلا معروف يستراح إليه ،ولا منكر يتناهى عنه..

أما بعد فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله عز وجل ، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث فاسمعوا له وأطيعوا أمره.. وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحة لكم وشدة شكيمته على عدوكم ..(١)

ومن نصوص الوصية أو العهد الذي كتبه: اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم..

أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة بهم، واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان:

(١) انظر نص الكتاب في نهج البلاغة باب المختار من كتب أمير المؤمنين ورسائله رقم٣٨

إما أخ لك في الدين..

وا إما نظير لك في الخلق..

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم(أبغضهم) عندك أطلبهم لمعائب الناس..

ولا تدخل في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر..

ولا جباناً يضعفك عن الأمور،ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور..

وشر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأثمة(جمع آثم)..

والصق بأهل الورع والصدق..

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة..

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غني ببعضها عن بعض..

وا إن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد..

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج..

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات..

وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف (تذهب) بالفريقين من البائع والمبتاع..

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى (المرضى)..

وتعهد أهل اليتم وذوي الرقة (المتقدمون) في السن..

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك..

وأما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيتك..

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد..

وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته..

وا إياك والدماء وسفكها بغير حلها..

وا إياك والعجلة بالأمور قبل أوانها..(١)

(١)انظر المرجع السابق رقم٥٣

إلا أن مصر كانت سيئة الحظ ولم تحظ بالاستقرار والتمتع بدستور الإمام ، إذ أدي انتصار معاوية في وقعة صفين ومقتل الإمام لعودة عمرو بن العاص لحكم مصر من جديد..(١)

ومنذ ذلك الحين وحتى العصر الإخشيدى دخلت مصر دوامة الظلم والفساد والاستنزاف حيث أصبحت ثرواتها ومقدراتها تذهب لخزائن الخلفاء في دمشق وبغداد بالإضافة لخزائن ولاتها..

روى: جبى عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب إثنى عشر ألف ألف دينار فصرفه عثمان(أي عزله) وقلدها عبد الله بن أبي سرح فجباها أربعة عشر ألف ألف..

فقال عثمان لعمرو: يا أبا عيد الله أعلمت أن اللقحة بعدك درت..؟

فقال : تعم ، ولكنها أجاعت أولادها..(٢)

وقال محمد بن زياد الحارثي يصف مصر: ومصر خزانة أمير المؤمنين التي يحمل عليها حمل مؤنة ثغوره وأطرافه ويقوت بها عامة جنده ورعيته..(٣)

وقد اهتم الأمويون بجمع المال وكان المصدر الرئيس لهم هو مصر، ومن ثم زادت الضغوط على المصريين بسبب الجباية حتى أنه كان يحال بينهم والدخول في الإسلام حتى لا يتأثر الخراج..(٤)

وازداد حال مصر سوءاً في ظل حكم العباسيين وضوعف الخراج وكثرت المظالم وتفجرت الثورات..(٥)

(١) عودة عمرو لمصر كان نتيجة الاتفاق مع معاوية ضد الإمام علي ، انظر حوادث وقعة صفين عام ٣٧هـ في كتب التاريخ..

(٢) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج٥ حرف الميم ترجمة مصر..

(٣) المرجع السابق..

(٤)انظر الخطط للمقريزي ج١/١٢٨ والقضاة للكندي..

(٥)انظر تراجم ولاة مصر من قبل العباسيين في بدائع الزهور لابن إياس والنجوم الزاهرة فترة ما بعد عام ١٣٢هـ وحسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة للسيوطي..

روي ابن تغري في النجوم الزاهرة حوادث عام ٩٠هـ في ذكر ولاية قرة بن شريك على مصر من قبل الوليد بن عبد الملك:كان قرة من أمراء بني أمية وولاه الوليد على مصر، وكان سئ التدبير خبيثاً ظالماً غشوماً فاسقاً،قدم مصر سنة تسع وثمانين أو سنة تسعين،وكان الوليد عزل أخاه عبد الله بن عبد الملك بن مروان،وولي قرة وأمره ببناء جامع مصر والزيادة فيه سنة اثنتين وتسعين فأقام في بنائه سنتين،وكان الصناع إذا انصرفوا من البناء دعا - أي قرة - بالخمور والزمور والطبول فيشرب الخمر في المسجد طوال الليل، ويقول: لنا الليل ولهم النهار،وكان أشر خلق الله..

وروى في حوادث عام ٦٩هـ وكان المتولي على خراج مصر أسامة بن زيد التنوخي : كتب سليمان بن عبد الملك إلى أسامة: احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتي ينصرم، قال: فذلك أول شدة دخلت على أهل مصر ..

وروي ابن بطوطة في رحلته: أن أحد خلفاء بني العباس غضب على أهل مصر فقرر أن يولي عليهم أحقر عبيده،وأصغرهم شأناً قصداً لإذلالهم والتنكيل بهم، وكان عبده خصيب من أحقر عبيده إذ كان يتولي تسخين الحمام، فخلع عليه وأمره على مصر..

وأنفق خمارويه أموالاً طائلة من خزانة مصر لتجهيز إبنته قطرالندي لما زوجها للخليفة العباسي المعتضد..

وذكر ابن تغري في حوادث عام ٥٥٢هـ: أن أحمد بن طولون أنفق علي بناء مسجده مائة ألف دينار وعشرين ألف..

وفي حوادث عام ٢٧٠هـ ذكر: أن مصروف مطبخ خمارويه ولده بلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار كل شهر،وهذا سوي مصروف حرمه وجواريه..

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذكر الذهبي: أن قطر الندى قدمت على خمارويه من مصر، ومعها عمها لتزف إلى المعتضد، فدخل عليها في ربيع الأول. وكان في جهازها أربعة آلاف تكة مجوهرة، وعشرة صناديق جواهر، قوم ما دخل معها فكان ألف ألف دينار ونيف. أعطاه ذلك أبوها..(١)

(١)انظر تأريخ الإسلام ج٢١ قدوم قطر الندى على المعتضد..

وروى الملطي : في سنة اثنتين وثمانين ومائتين جهز خمارويه ابنته أحسن جهاز وبعث بها الى المعتضد في المحرّم..

وفي هذه السنة لثلث خلون من ذي الحجة قتل خمارويه بدمشق ذبحه على فراشه بعض خاصته، ولما قتل اقعدوا مكانه ابنه هارون والتزم أنه يحمل من مصر إلى خزانة المعتضد في كل سنة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار..(١)

وذكر ابن إياس في بدائع الزهور عام وفاة صلاح الدين(٥٨٩هـ):وتولى ولده العزيز بالله على مصر وسار مع الناس في مصر أقبح سيرة ،وتجاهر بالمعاصي والمنكرات حتي غلا سعر العنب في أيامه لكثرة من يعصره،وحملت أواني الخمر جهاراً من غير إنكار،وحميت بيوت المزارة - الدعارة- وأماكن الحشيش،وأباح ذلك أرباب الأمر والنهي،وأقيمت عليهم الضرائب الثقيلة حتي صار يؤخذ من أرباب هذه الجهات في كل يوم ستة عشر دينار حماية للسلطان،ولم يقدر أحد أن يعارض أماكن الفسوق في أيامه ،واضطربت أحوال الديار المصرية من قلة العدل وكثرة المعاصي والفسوق..

وسن المماليك سنة القتل واستحلال الأموال والأعراض، وقد بدأوا بقتل عز الدين أيبك ثم شجرة الدر ثم قطز ، ثم استمروا في قتل بعضهم وكثرت مظالمهم وانتهاكاتهم وأراقتهم لدماء العباد وسلب أموالهم..

وما فعله سليم الأول بمصر والمصريين حين غزاها يعجز التأريخ عن وصفه وتعجز الأقلام عن رصده..

وكان فقهاء المذاهب قد راسلوا سليم وطالبوه بغزو مصر حتى يتخلصوا من المماليك..

(١)انظر تأريخ مختصر الدول ج١المعتضد بن الموفق..

روى ابن إياس: ثم إن العثمانية طفشت في جميع الحارات والأماكن وحطوا غيظهم في العبيد والغلمان والعوام ولعبوا فيهم بالسبف وراح الصالح بالطالح ،فصارت جثثهم مرمية في الطرقات من باب زويله إلى مصر العتيقة،فكان مقدار من قتل فوق العشرة آلاف إنسان ولولا لطف الله تعالى لفنى أهل مصر قاطبة بالسيف..

ولم بقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط إلا ما كان في زمن بختنصر البابلي..

لكن ابن عثمان هتك حريم مصر، وما خرج منها حتى غنم أموالها وقتل أبطالها ويتم أطفالها وأسر رجالها وبدد أحوالها وأظهر أهوالها..(١)

وروى الجبرتي: وأخذ صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التي لم توجد في بلاده بحيث أنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة..(٢)

وتحالف بعض المماليك مع سليم وسهلوا الاستيلاء على مصر ، فأطلق سليم أيديهم في البلاد فعاثوا فيها فساداً وأهلكوا الحرث والنسل واستحلوا الأموال وأراقوا الدماء وهتكوا الأعراض، حتى جاء محمد علي فقضى عليهم..

وهكذا كان حال مصر والمصريين في ظل الحكومات الغازية التي تتلاعب بالدين..

حتى جاء الفاطميون وتحقق لمصر الاستقلال والسيادة للمرة الأولى في تاريخ المسلمين..

وهذا أول المكاسب لمصر على يد الفاطميين الشيعة..

وتمكن الفاطميون من السيطرة على بلاد الشام وضمها لمصر بالإضافة لبلاد المغرب التي ملكوها من قبل ..

وهذا ثاني المكاسب..

وأسس الفاطميون جيشاً وطنياً قوياً من أبناء مصر..

وهذا ثالث المكاسب..

(١)انظر بدائع الزهور في وقائع الدهور حوادث عام ٩٢٣هـ عام دخول سليم مصر..

(٢)انظر تاريخ عجائب الآثار في التراجم والآخبار المجلد الأول ..

وشارك المصريون في حكم مصر وا إدارتها لأول مرة منذ الغزو العربي ..

وهذا رابع المكاسب ..

لقد عاشت مصر أزهى عصورها في ظل الفاطميين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً..

وعاش المسيحيون في جو من الحرية والتسامح وقد تحرروا من الضغوط وصور التضييق التي كانت تحاصرهم طوال الحكم الأموي والعباسي..

وكذلك أصحاب المذاهب من أهل السنة..

ونال المصريون العزة والكرامة وسعة العيش التي حرموا منها طوال العهود السابقة..

وأنشأ الفاطميون جامعة الزهراء التي أصبحت علامة لمصر ومنارة لها ..

وهذا خامس المكاسب ..

وأقام الحاكم بأمر مكتبة دار الحكمة التى لم يكن لها مثيل في الشرق بما تحوي من نفائس الكتب..

وهذا سادس المكاسب..

– **أبناء الرسول**(صلى الله عليه وآله وسلم)

جذبت مصر الكثير من الرموز من أبناء الرسول(ص) من الأشراف الطالبيين وغيرهم بداية من عصر الإمام علي وحتى العصر الحديث..

وهذه الرموز تنقسم إلى قسمين:

الأول رموز في مجال الدين..

الثاني : رموز في مجال الفكر والثقافة والسياسة..

وأصبح للرموز الدينية مراقد شهيرة تهفو إليها قلوب المصريين في كل مكان..

وتعكف من حولها جموع الشعب وتحيي ذكراها..

ولقد أسهمت هذه المراقد بدور كبير في تحقيق الاستقرار العقدي والاطمئنان النفسي للواقع المصري ، وهو ما شكل حصانة لأفراد الشعب ضد الأفكار المعوجة والمذاهب المنحرفة والعقائد الزائغة الضالة وعلى رأسها الوهابية..

ومن جهة أخرى أسهمت في تحقيق الانتعاش الاقتصادي لأبناء الشعب ودعم حركة السباحة طوال العام من خلال حركة الاحتفال الدائمة بأصحاب هذه المراقد وما يصاحبها من تدفق جماهيري ينعش الأسواق ويحقق المنافع للناس..

وليس أدل على هذا من تلك الأحياء التي أقيمت من حول هذه المراقد مثل حي الحسين وحي السيدة زينب وحي السيدة نفيسة وحي زينهم وغيرها من الأحياء..

وحي زينهم الذي نشأ من حول مرقد زين العابدين بجوار السيدة زينب هو في الحقيقة يضم رأس زيد بن الإمام زين العابدين الذي قاد الثورة على هشام بن عبد الملك واستشهد في عام ١٢٢هـ..

وهناك حي الحسينية الذي يقع أمام باب الفتوح..

قال المقريزي: الحسينيّة هى منسوبة لجماعة الأشراف الحسينيّين ، كانوا في أيّام الملك الكامل محمد بن العادل، قدموا من الحجاز فنزلوا بها واستوطنوها، وبنوا بها المدابغ وصنعوا فيها الأدم (الجلد) المشبّه بالطائفىّ ..(١)

وفي حي المطرية يوجد مرقد سيدي إبراهيم وهو إبراهيم بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن علي الملقب بالكامل..

وبعد إبراهيم أحد ثوار أهل البيت الذي تزعم الثورة على المنصور العباسي مع شقيقه محمد ذو النفس الزكية وقتل عام ١٤٥هـ ، وأرسلت رأسه إلى مصر ليطاف بها ودفنت في هذا المكان..

وفي حي باب الشعرية يوجد مرقد عبد الوهاب الشعراني الحسيني صاحب الكرامات والفتوحات(ت٩٧٣هـ)..

وبالإضافة إلى الأحياء هناك المقابر التي أقيمت من جول هذه المراقد من أجل التبرك بأصحابها..

ومنها مقبرة السيدة نفيسة..

(١)انظر المواعظ والاعتبار ج ٣ ذكر الأمير حسن بن الخليفة الحافظ..

ومقبرة قريش القديمة التي ضمت مرقد الشافعي وتضم العديد من أبناء الرسول(ص)..
ومنهم يحي الشبيهي وهو يحي بن القاسم الطيب بن محمد بن جعفر الصادق..
وسمى الشبيهي لشبهه برسول الله (ص)..
وقد دعاه ابن طولون لمصر واستقبله أهلها بحفاوة بالغة..
وجاء بصحبته الفقيه القاسم الطيب بن محمد الباقر ولما توفي دفن إلى جواره عام ٢٦٠هـ..
وقد نشرا الكثير من العلم في مصر..
وذكرت المصادر للشبيهي الكثير من الكرامات..
وتضم مقبرة قريش أيضاً قير السيدة كلثوم شقيقة يحي التي تقع بالقرب من مرقده..
ودخل مصر في عهد ابن طولون أيضاً محمد بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين، وتوفي بها عام ٢٦٢هـ..
وله مرقد في حي مصر القديمة..
وقد أطلق عليه العامة لقب ساعي البحر بسبب أن النيل توقف في بعض السنين فلجأ الناس إليه لطلب الدعاء بعودة المياه ، فجاء إلى حافة النهر ودعا فعاد النيل كما كان..
ومن المقابر التي نشأت حول مراقد أبناء الرسول مقبرة زينهم خلف مرقد السيدة زينب..
ويعد حي الحسين بالقاهرة القديمة من أهم الأحياء السياحية والتجارية في مصر ببركة وجود رأس الحسين فيه..
وفي مواجهة حي الحسين يقع حي الأزهر التجاري الذي اكتسب قيمة كبيرة لوجوده في مواجهة الحسين وتقع به أهم أسواق القاهرة..
وفي حي الخليفة المجاور للسيدة نفيسة توجد الكثير من المشاهد للسيدة سكينة والسيدة رقية ومحمد الديباج المعروف بمحمد الجعفري الذي ثار على المأمون العباسي، وجميعها مشاهد رؤيا..

ومشاهد الرؤيا هذه عبارة عن رموز وهي خالية من جثامين هؤلاء وقد أقامها الأعيان والتجار على أساس رؤيا منامية تدعوهم لإقامة هذه المشاهد في أماكنها..

وهو ما يكشف لنا مدى حالة الحب والولاء التي يكنها أبناء مصر لأهل البيت..

وهذه الأحياء المتجاورة تشكل أساس القاهرة وجميع الأحياء الأخرى هى حادثة عليها ، فالقاهرة شيعية الأساس والمنبع والروح..

وقد تحولت قرية مغمورة من قرى وسط الدلتا إلى محافظة كبيرة ببركات مرقد السيد البدوي الحسيني(ت٦٧٥هـ) الذي يعد من أشهر أبناء الرسول في مصر..

وكذلك قامت محافظة أخرى وعاصمتها دسوق على مرقد الدسوقي (ت٦٧٦هـ) أحد تلاميذه وهى محافظة كفر الشيخ..

والدسوقي ومعه شقيقه العتريس المدفون بجوار مرقد السيدة زينب شاركا في محاربة الصليبيين والتتار مع نجم الدين أيوب وقطز..

وتسمت قرية من قرى محافظة الشرقية باسم قرية أبو مسلم نسبة إلى سليم أبو مسلم الحسيني الذي ولد عام ٥٣١هـ في همدان بإيران التي كانت مركز الشيعة والتشيع في العصر العباسي..

وفد إلى مصر مع أقاربه وأنصاره من الفقهاء وانتشروا في مصر شرقاً وغرباً وذلك في عام ٦١٠هـ واتخذ من محلة بحطيط التي عرفت فيما بعد بكفر مسلم مقراً له..

وكان لأبي مسلم وأولاده وأقاربه دوراً كبيراً في مقاومة الغزوات الصليبية على مصر وتعبئة المجاهدين وتجهيزهم..

وسقط العديد من أهله وأقاربه شهداء في حرب دمياط والمنصورة..

وقبورهم وأضرحتهم منتشرة في بلقاس والمنصورة وما حولها..

كذلك عمرت صحراء عيذاب وتوافد المحبين عليها لوجود مرقد أبي الحسن الشاذلي الحسيني الذي توفي فيها أثناء مسيره للحج عام ٦٥٦هـ..

واستوطن أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الحسيني الأقصر(ت٦٤٢هـ) في عهد نجم الدين أيوب ولقب بأبي الحجاج الأقصري..

وكان مباركاً كثير الخيرات واسع الكرم محسناً للناس..(١)

وأحدث وجود مراقد أبناء الرسول في القرى والأماكن الأخرى نقلة اقتصادية واجتماعية كبيرة..

وهو ما يؤكد لنا أن بركات هذه الرموز لا تنقطع على المستوى المادي والروحي..

وهذه المراقد هى التي حفظت قيمة أهل البيت ومكانتهم في نفوس المصريين ، وحالت دون انحرافهم عن حبهم وموالاتهم..

وأفشلت مؤمرات الأيوبيين وغيرهم التي حاولت طمس صورة أهل البيت وعزلهم عن المصريين..

وأفشلت أبضاً مؤمرات الوهابيين الذين حاولوا مراراً وتكراراً غزو عقول المصريين وا إفساد عقيدتهم بل وشكلت سداً منبعاً في مواجهتهم,,

وليس بعد هذا الفضل من فضل..

وقد انجذب الشافعي محب أهل البيت وناصرهم لمصر لوجود السيدة نفيسة فيها، وقدم إليها في عام ١٩٩هـ واستقر بها حتى وفاته في عام ٢٠٤هـ..

وطوال هذه السنوات كان على صلة وثيقة بالسيدة نفيسة ينهل من علومها وينعم ببركاتها..

وقد أحدث الشافعي بمصر هزة عقلية وفقهية كبيرة لما كان يتمتع بع من عقل وعلم وخلق ونسب أيضاً حيث يصفه أهل السير بابن عم الرسول(ص)..

وانجذب نحوه الفقهاء وطلاب العلم من شتى الآفاق حتى تحولت مصر في زمانه إلى قبلة للعلم والعلماء..

وهو ما أدى إلى حسده من قبل أصحاب المذاهب الأخرى المتعصبين الذين حاكوا ضده المؤامرات وسعوا للوقيعة بينه وبين والي مصر من قبل بني العباس..

(١)انظر تراجم هؤلاء وغيرهم في مساجد مصر وتاريخ السخاوي وتحفة الأحباب والخطط التوفيقية ومرشد الزوار إلى قبور الأبرار لزين الدين عثمان بن الموفق والمواعظ والاعتبار للمقريزي ورحلة ابن الجبير وابن بطوطة وغيرها..

روى في حوادث عام ١٨٤هـ أنه تم القبض على الشافعي وحمل إلى بغداد مكبلاً بالأغلال مع تسعة من العلويين اتهموا بالتشبع لأهل البيت ، وحكم هارون الرشيد عليهم بالقتل عدا الشافعي الذي ناظر الرشيد وتمكن من دفع التهمة عن نفسه..

وأنشد الشافعي في حب أهل البيت الكثير من الأشعار..

ولعل أشعاره وأقواله في أهل البيت هى التي فتحت عليه باب الفتنة ومنحت خصومه الفرصة للوقيعة به..

وله بيت شعر شهير يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي(١)

وكان لأبناء الرسول من القسم الثاني بصمة بارزة في تاريخ مصر وواقعها..

وعلى رأس هؤلاء :

عمر مكرم..

محمد كريم..

رفاعة الطهطاوي..

علي مبارك..

احمد عرابي..

عبد الله النديم..

جمال الدين الأفغاني..

ويعد عمر مكرم الذي ينتهي نسبة إلى الإمام الحسين من أوائل زعماء مصر في العصر الحديث..

وقام بدور كبير في وأد الفتنة وتحقيق الاستقرار في مصر بعد أن دب الخلاف ووقع الصدام بين الأميرين المملوكين مراد وإبراهيم والوالي العثماني..

ثم أصبح نقيباً لأشراف مصر..

(١) الرافضة اسم التصق بأنصار أهل البيت بسبب موقفهم الرافض للحكام والمذاهب ، والثقلان أي الإنس والجن، انظر ديوان الشافعي..

وكان من قادة المقاومة الشعبية ضد الغزاة الفرنسيين علم ١٧٩٨م..

ولما دخل نابليون مصر عزله من منصبه وعين مكانه الشيخ البكري..

وتزعم بعد ذلك ثورة القاهرة ضد الجنرال كليبر عام١٨٠٠م..

ثم تزعم الثورة ضد الوالي العثماني خورشيد باشا عام ١٨٠٥م ونجح في عزله وتولية محمد علي مكانه..

وضد الغزاة الانجليز علم ١٨٠٧م..(١)

إلا أنه بعد أن استقامت الأمور لمحمد علي قرر التخلص منه فعزله من منصب نقيب الأشراف ونفاه إلى دمياط وعين مكانه الشيخ السادات..

قال الجبرتي: وشيعه الكثير وبكوا عليه حزناً لفراقه..

وتوفي عمر مكرم علم ١٨٢٢م..

وكان محمد كريم حاكم الأسكندرية فترة دخول نابليون مصر وشخصية محبوبة من الشعب..

وتزعم حركة المقاومة الشعبية ضد الفرنسيين..

وطل يقاوم داخل قلعة قايتباي المحاصرة من كل جانب حتى استسلم بعد أن وجد أنه لا فائدة من الاستمرار في المقاومة..

وأعجب نابليون بشجاعة كريم واستبساله في الدفاع عن وطنه وقرر الإبقاء عليه حاكناً على الأسكندرية ومساعداً للجنرال كليبر..

وحاول نابليون استخدام السيد محمد كريم بعد أن أعجب بشجاعته واستبساله في الدفاع عن وطنه..

إلا أن كليبر ارتاب في أمره وشك في ولائه لهم واتهمه بالخيانة ودعم الثورة ضد الفرنسيين..

وأصدر أمره بالقبض عليه وا إبعاده عن الأسكتدرية..

وتم ترحيله إلى القاهرة في ١٢/٨/١٧٩٨م ووضع في السجن رهن التحقيق..

(١)انظر تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ج٢ وج٣ حوادث عام١٢١٤:٤ ١٢٣٤هـ ،وانظر عمر مكرم سلسلة أعلام العرب..

وأصدر نابليون أمره بإعدام السيد محمد كريم في ١٧٩٨/٩/٥م..
وسمح له أن يفتدي نفسه بمبلغ ثلاثين ألف ريال خلال يوم واحد فرفض لينفذ فيه حكم الإعدام في اليوم التالي رمياً بالرصاص في ميدان القلعة..(١)
أما رفاعة الطهطاوي فقد درس بالأزهر ثم اتجه نحو الانفتاح وطلب العلوم العصرية وتتلمذ على يد الشيخ حسن العطار تلك الشخصية العلمية المرموقة في زمانها في مجال الفقه والفلك وعلوم العصر..
وبعد رفاعة أول مبعوث مسلم خرج من مصر لأوربا مما أكسبه الخبرة والوعي والإلمام بلغة الأجانب..
وهو ما أهله حين العودة لمصر من أن يلعب دوراً هاماً في مجال الترجمة واللغات والفنون والفكر السياسي حتى أصبح علامة بارزة في تاريخ مصر الحديث..
وقد أسس الطهطاوي مدرسة نهضوية أسهمت في خلق جيل من المثقفين والمترجمين والإداريين الذين انتفعت بهم مصر في جميع المجالات..(٢)
ومن بعده يأتي علي مبارك الذي وضع بصمة بارزة في مجال التعليم والفكر ..
وأنشأ المدارس و الكتاتيب ، ثم دار الكتب الوطنية التي حفظت تراث مصر من الضياع..(٣)

(١) انظر عبد الرحمن الرافعي تاريخ الحركة القومية والخطط التوفيقية والسيد محمد كريم لمحمد فتحي الشاعر..
(٢)انظر الرافعي والخطط التوفيقية، وانظر تخليص الإبريز ومناهج الألباب للطهطاوي، و زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين..
(٣)انظر الرافعي عصر إسماعيل وزعماء الإصلاح في العصر الحديث وعلى مبارك سلسلة أعلام العرب..

وفي عصر الخديو ي توفيق برز الضابط الثائر أحمد عرابي الذي ينتهي نسبه للإمام موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سيد الشهداء..

برز في يوم الجمعة ٩/ ١٨٨١م كناطق باسم الأمة المظلومة المضطهدة..

وكصادع بالحق في عصر الخوف والصمت في وجه طاغية ظالم مستبد هو توفيق المتحصن بالإنجليز..

إلا أن الخديوي وأعوانه من الخونة والأجانب قرروا إجهاض هذه الثورة ولما فشلوا أمام قوة الأمة ورجالها بزعامة عرابي لجأوا للإنجليز الذين تحركوا لغزو مصر..

وفي يوم ١٨٨٢/٧/١١م بدأ الإنجليز عدوانهم على الأسكندرية..

وأخذ عرابي ورجاله يعدون العدة للجهاد والدفاع عن مصر..

ودخل في مواجهة مع الانجليز في منطقة كفر الدوار ثم القصاصين والتل الكبير..

إلا أن الهزيمة لحقت بعرابي وقواته لأسباب كثيرة ليس مجالها هنا..

وبهذه الهزيمة دخل الإنجليز مصر والخديوي توفيق في حمايتهم واعتقل عرابي ورجاله وتم القضاء على الثورة..

وقدم عرابي ورجاله للمحاكمة التي أصدرت حكمها بإعدام عرابي لكن صدر مرسوم من الخديو ي باستبداله بالنفي المؤبد..(١)

(١)أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه لمحمود الخفيف ط الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ومذكرات عرابي والثورة العرابية للرافعي،وقد طال حكم النفي أيضاً محمود سامي البارودي وثلاثة آخرين من رجال عرابي..

ويعد عبد الله النديم أحد رموز مصر الثورية المجددة..

وهو خطيب الثورة العرابية الذي عمل على تحريك الشارع المصري ضد الظلم والفساد والنفوذ الأجنبي..

وكان النديم يتحرك من خلال دائرتين:

الأولى: نشر التعليم ومحاربة الجهل..

الثانية: إيقاظ الرأي العام وتحريك العقول الجامدة..

وقام بإنشاء العديد من الجمعيات والمدارس والمحافل..

ودعا إلى الحكم الدستوري وتقوية اللغة العربية ورفض تقليد الأجانب..

وحارب النفوذ الأجنبي والمظاهر الاجتماعية الضارة المفسدة التي وفدت على مصر وعلى رأسها : المواخير والملاهي والحانات..(١)

ومن فضل أهل البيت على مصر بروز السيد جمال الدين الأفغاني الحسيني على ساحتها..

والدور الذي لعبه فيها..

والبصمة التي تركها في الواقع المصري على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي..

وقد أقام الأفغاني بمصر في الفترة من عام ١٨٧١م إلى عام ١٨٧٩م..

والمتأمل في حركة الأفغاني يكتشف مدى عظيم الدور الذي لعبة وآثاره على مصر والمصريين، فقد بعث العقل من رقدته، وأحيا الأمل في النفوس بعد أن سيطر اليأس على الجميع,,

وتمكن من إعداد الكثير من الشخصيات والرموز التي أسهمت في نهضة مصر وتطورها..

وهو ما دفع بحكومة الخديوي توفيق إلى إصدار قرارها بإبعاده عن مصر..

(١)انظر عبد الله النديم سلسلة أعلام العرب..

وعلى رأس تلاميذ الأفغاني الشيخ محمد عيده الذي قاد حركة تجديد وا إصلاح الأزهر وبعث دوره من جديد بعد أن غاب عن الواقع والأحداث..

وواجه العديد من الصعوبات والعراقيل من رجال الأزهر الجامدين والمتعصبين الذين يعيشون بعقل الماضي الرافضين للتجديد والإصلاح..

قال محمد عبده : أخذ السيد جمال الدين في حمل من يحضر مجلسه من أهل العلم وأرباب الأقلام على التحرير وا إنشاء الفصول الأدبية والعلمية في موضوعات مختلفة لا تخرج جامعتها عن إصلاح الأفكار وتهذيب الأخلاق،

فتسابق لذلك الكتاب وتبارت الأقلام، وأخذت الحرية الفكرية تظهر في الجرائد إلى درجة يظن الناظر فيها أنه في عالم الخيال، أو في أرض غير هذه الأرض..

ومن يطلع على أعداد جريدة مصر وجريدة التجارة وجريدة مرآة الشرق والأهرام وصداها يعرف حقيقة ما ذكرتا..(١)

والخلاصة أن القيمة والوزن والدور الذي تمتعت به مصر ولا تزال تتمتع به إنما هو من بركات أهل البيت عليها..

وا إن الفضل في وجود مصر الإسلامية بعود للفاطميين الشيعة..

والسؤال هنا هو : أي وزن ، وأي دور ، وأي قيمة كان من الممكن أن تكون فيها بدون أبناء أهل البيت وأنصارهم التي ارتفعت وقويت بهم..؟

وقاتل الله السياسة والمذاهب التي دفعت بالحكام والفقهاء إلى محاربتهم وهم أهل الفضل عليها..

وفتحت الأبواب على مصارعها أمام المد السلفي الوهابي الدخيل على مصر وأهلها لتدفع الثمن غالياً وتفقد عزتها ودورها وأمنها واستقرارها ورفاهيتها..

(١) انظر مذكرات محمد عبده وما كتب في الأفغاني كثير..

الغارة على الشيعة

الحرب المقدسة..

لم تكن قضية الشيعة تشغل الساحة الإسلامية في مصر قبل ظهور الثورة الإسلامية في إيران..

ولم يكن مذهب الشيعة مطروح كمذهب منافس لمذهب أهل السنة فيها..

حتى أنه لم يكن أحد في الوسط الإسلامي يسمع بجماعة التقريب أو جمعية آل البيت أو يطلع على أي من الكتب الشيعية الكثيرة التي صدرت بمصر في تلك الفترة وهي كثيرة..

وكانت التيارات الإسلامية منشغلة ببعضها،الإخوان منشغلون بالجهاد والتكفير والسلفيين ، والجهاد منشغل بالحكومة، والسلفيون منشغلون بالصوفية والأضرحة.. والإسلام الرسمي لم يكن يظهر أي بادرة عداء تجاه الشيعة فقد كانت العلاقات وطيدة بين الأزهر ووزارة الأوقاف وبين هيئات وعلماء شيعة من إيران والعراق ولبنان..

- بين الأمن والسياسة

إلا أنه وبمجرد قيام الثورة الإسلامية في إيران تغير الوضع ،وتغيرموقف التيار ات الإسلامية من تأييد الثورة ومناصرتها في البداية ،إلى الكفر بها ومعاداتها مع قيام الحرب العراقية الايرانية..

وبدأ العمل في تفجير الخلافات القديمة بين السنة والشيعة ونشر الشائعات ضد الشيعة وتشكيك المسلمين فيهم وفي الثورة الإسلامية..

وطوقت الساحة الإسلامية في مصر بحرب إعلامية عاتية شرسة صبت حمم غضبها علىالشيعة وا يران ،واستخدمت فيها كل الوسائل الاعلامية من كتب وخطب ومؤتمرات وا ذاعات وقنوات فضائية وصحافة ودور نشر وخلافه.. ولم ينج من هذه الفتنة سوى عدد قليل من الدعاة أصحاب البصيرة أما البقية فقد غرقوا في موجات النفط المتتابعة ،والتي كانت تتدفق على مصر بغزارة في تلك الفترة..

وساعد العقل السلفي المهيمن على الإسلاميين في مصر على استمرار هذه الحرب حتى اليوم التي يظهر الدور الأجنبي فيها بوضوح..

ويمكن القول أن الحرب على الشيعة في مصر لها العديد من الدوافع في مقدمتها الدافع العقدي ثم الدافع الأمني ثم الدافع الشخصي..

الدافع العقدي هو محرك الإسلاميين الذين يخشون من أفكار الشيعة على مذاهبهم..

والدافع الأمني هو محرك الحكومة بزعم عمالة الشيعة لإيران..

و الدافع الشخصي وهو محرك أهل الأهواء والمصالح الذين ينتفعون من هذه الحرب..

والمراقب للحرب التي تشن على الشيعة في مصر يبهره حجمها وأدواتها والامكانيات التي سخرت لها والتيارات المختلفة التي تسهم فيها..

مما يدفع إلى التساؤل : هل حجم الشيعة في مصر بهذا القدر الذي يتطلب مثل هذه الحرب..؟

وهل الخوف من الشيعة أم من إيران..؟

والحق أن الحرب الدائرة على الشيعة في مصر هى حرب مذهبية تم استثمارها سياسيا..

وتعد صورة مكررة من حروب الماضي التي كان يشنها الحنابلة في بغداد..

والسلفيون الذين يقودون هذه الحرب ماهم إلا حنابلة في الحقيقة..

وجوهر هذه الحرب يكمن في الخوف من الشيعة على عقائدهم التي يتصورون أنها عقيدة أهل الحق، وهو اعتقاد يستمد قوته من التعصب لا من النصوص..

ولو كان هؤلاء يثقون في معتقداتهم ما خافوا كل هذا الخوف من الشيعة..

وما شنوا هذه الحرب..

وإذا كان الشيعة بهذه الصورة الهشة الضعيفة المخيفة التي يشيعونها فما هى الحاجة لهذه الضجة الإعلامية..

وكيف لهم أن يصمدوا ويستمروا طوال هذه القرون الطويلة أمام الدول والفرق والمذاهب وشتى صور الإرهاب والبطش والتنكيل..؟

والجواب يكمن في تمسك الشيعة بأهل البيت..

وهذا هو سر بقاؤهم..

وهو سر قوتهم أيضاً..

لقد أتاحت فترة الحكم الملكي الليبرالية الفرصة لبروز الشيعة من جديد على الرغم من مقاومة الأزهر..

وكان هذا البروز بتمثل في نشاط الأشراف الطالبيين ونقابتهم..

وفي الإيرانيين الذين وفدوا إلى مصر في القرن الثامن عشر الميلادي..

وفي بعض الطرق الصوفية الشيعية..

إلا أن هذا البروز توارى بعد سقوط الحكم الملكي وانتهاء الفترة لليبرالية في ظل حكم الضباط بزعامة عبد الناصر الذي أغلق نقابة الأشراف..

وضرب التيار الإسلامي..

وعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات مما أدى إلى ذهاب العديد من الأعراف والتقاليد الشيعية التي كانت سائدة في المجتمع المصري منذ قرون..

ثم جاءت فترة الجمهورية الثانية بزعامة السادات الذي فتح الأبواب على مصارعها لعودة التيار الإسلامي مع بداية السبعينيات فعاد الإخوان والسلفيين بقوة..

وبرز معهم الشيعة بصورة ضعيفة..

وتمثل هذا الظهور في جمعية أهل البيت..

وجماعة التقريب بين المذاهب..

ونشاط بعض العناصر الوافدة من العراق وإيران..

وهذه الأنشطة استمرت طوال فترة السبعينيات..

وتوقفت بعد تغير موقف النظام المصري تجاه إيران وثورتها عدا أنشطة العناصر الوافدة التي تم اكتشافها فيما بعد وضربها ضمن ما سمى بالتنظيمات الشيعية..(١)

(١)صدر قرار بوقف نشاط جمعية آل البيت وجاء في قرار الوقف أن الجمعية تمثل خطورة على عقائد الناس ووحدة صفوفهم ببث أفكار غريبة تخالف الدين الإسلامي وتؤيد الفكر الشيعي..

وتم مصادرة المسجد الوحيد التابع للجمعية والذي كان يحمل اسم مسجد آل البيت وضمه إلى مساجد الحكومة، وكان عمر الجمعية لا يتجاوز ستة أعوام بدأت في ٢٢ / ٨ / ٧٣ وانتهت في ٢ / ١٢ /٧٩..

– الجيل الجديد

ومع دخول مرحلة الثمانينيات برزت العديد من التحولات بين شباب التيارات الإسلامية الذين أصابهم الإحباط وفقدان الثقة في العديد من الدعاة والشخصيات بعد التجارب الفاشلة التي مر بها تيار الجهاد وتيار التكفير ثم الإخوان والسلفيين..(١)

(١)انظر تفصيل هذه المسألة في كتابنا : السيف والطاغوت..

وبدأ هؤلاء الشباب رحلة البحث عن البديل..

والتفتوا إلى الحرب الدائرة على الشيعة..

وتلقفوا المنشورات المحاربة للشيعة..

وانغمسوا في المصادر ليصلوا في النهاية إلى الإسلام الآخر الذي يدعوا إليه الشيعة وهو إسلام أهل البيت..

ومن هنا برزت ظاهرة التحول من السنة إلى الشيعة..

وترك العديد من الشباب الإخوان..

وترك العديد منهم التكفير..

وترك العديد منهم الجهاد..

وترك العديد منهم السلفية..

واتجه الجميع نحو أهل البيت..

وانتبهت الحكومة لهذه الظاهرة التي كشفت لها عن وجود نشاط شيعي في مصر..

وقررت التصدي لها..

وكانت أولى الضربات الأمنية تمثلت في القبض على مجموعة من المصريين معظمهم ممن كان ضمن الجماعات وعدد من العرب المقيمين في مصر فيما عرف بالتنظيم الشيعي الخميني عام ٨٨..(٢)

(١)انظر لنا حول هذه المسألة كتاب : السيف والطاغوت..

(٢)تصدرت أخبار هذا التنظيم المزعوم الصفحات الأولى للصحف الحكومية، وقد ضم التنظيم (٣١) مصرياً و (٨)عرب ، وتم ترحيل العناصر العربية إلى بلادها، انظر ملاحق الكتاب..

وقد أثار ظهور هذا التنظيم ضجة واسعة وقتها على مستوى مصر والعام العربي حيث ضم عناصر من البحرين والكويت والعراق اتهموا جميعا بالانتماء لحزب الله والعمالة لإيران..

وأصيب الرأي العام بدهشة شديدة..

كان الجميع يتصور أن الشيعة مجرد حالة تأريخية انتهت منذ قرون طويلة و لا يمكن لها أن تعود..

وسارعت العراق والكويت والبحرين بطلب عناصرها ضمن التنظيم لتحري الأمر وبحث إذا ما كان حزب الله قد تغلغل في بلادهم..

والطريف أن هذا التنظيم المزعوم قد شكل دعاية كبيرة للشيعة في مصر بصورة غير مباشرة ،ودفع بالرأي العام إلى محاولة التعرف على الشيعة..

ثم وجهت في العام التالي ضربة ثانية للشيعة فيما عرف بالتنظيم الشيعي الخميني أيضاً ، ويبدو أن الحكومة لم تكتف بالتنظيم الأول فقررت أن تخترع تنظيماً ثانياً يفي بالغرض الذي عجز عن تحقيقه التنظيم الأول..(١)

إلا أن الرأي العام استقبل الاعلان عن اكتشاف التنظيم الثاني بفتور شديد ولم يحظ التنظيم المزعوم بتركيز إعلامي كبير مثلما حدث مع سابقه..

و الملفت للنظر في قضية التنظيم الثاني أن التهم التي وجهت للأول هي نفس التهم التي وجهت للثاني ،حتى أن مانشيتات الصحف كانت متقاربة إلى حد كبير..

(١) لم يضم التنظيم الثاني أحداً من عناصر التنظيم الأول حتى تكون المسألة مقنعة للرأي العام ، وقد ضم بين صفوفه الدكتور فهمي الشناوي الذي اتهم بمعالجة الإمام الخميني ولم يكن يضم عناصر غير مصرية ، وقد أفرج عن المعتقلين فيه بعد بضعة شهور كما كان حال التنظيم الأول ..

ومع بداية عام ٩٠ بدأت الضغوط والحملة على الشيعة تتلاشى تدريجياً مع توقف الحرب العراقية الايرانية ،وكأنها كانت موقوتة بهذه الحرب..

إلا أنه في النصف الثاني من التسعينيات تم توجيه ضربة ثالثة للشيعة تحت نفس المسمى السابق ووجهت لهم نفس التهم..

وضم التنظيم الثالث عناصر من التنظيم الأول والثاني بالإضافة إلى بعض العناصر الجديدة..(١)

و الحقيقة أن الشيعة في مصر سقطوا ضحية الخلاف المصري الإيراني وهو ما كان يمثل الشق السياسي في المسألة الشيعية..

إلا أن هذا الشققد تنحى جانباً اليوم وحل محله الشق العقدي المذهبي الذي أضفى القداسة على الحرب الدائرة على الشيعة..

وكان لوجود الكثير من العناصر العربية الشيعية في مصر دوره الفاعل في دعم التيار الشيعي الجديد ، فقد كانت مصر مكتظة بالعراقيين الشيعة الفارين من وجه صدام والذين أقاموا في مصر لغرض الدراسة ، كما كان بها الكثير أيضاً من شيعة البحرين والجزيرة العربية الذين يقيمون لنفس الغرض..

وقد تم القبض على بعض هذه العناصر العربية في دائرة التنظيم الشيعي الخميني في عام ٨٨ ومنذ ذلك الحين توقف نشاط الشيعة العرب في مصر..

وكان البعض من العراقيين قد قام بطبع عدد من الكتب الشيعية والكتب المعادية لنظام صدام حسين ونشرها في الأوساط الثقافية..

ومن هذه الكتب كتاب أصل الشيعة وأصولها وكتاب الحرب العراقية الايرانية وكتاب أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة ، ونحو وحدة إسلامية وغيرها..

(١) كانت الضربة الثالثة في عام ١٩٩٦م..

وكانت الساحة المصرية تكتظ بالعشرات من دور النشر السلفية المدعومة من السعودية ،والتي قام بتأسيسها عناصر من الجماعات الإسلامية التي سبق اعتقالها في قضايا إسلامية ، ولا تزال هذه الدور تعمل حتى اليوم وتتكاثر..

ومع دخول ثورة الاتصالات أفلت الشيعة من الحصار..

وبرز التيار الشيعي مستثمراً هذه الثورة في إثبات وجوده والتواصل مع شيعة العالم من خلال الأنترنت والقنوات الفضائية ..

وواجه حرباً شديدة من قبل القوى المتربصة به التي امتلكت العديد من القنوات ووسائل الاتصال..

ومن قبل الأزهر..

وبرز قانون ازدراء الأديان وقوانين أخرى بهدف تطويق الشيعة..

وأصدر الأزهر و السلفيين في مواجهة الشيعة المئات من المنشورات المحرضة التي تؤلب الرأي العام عليهم ..

وإذا كان التيار الشيعي قد انتعش بعد سقوط نظام مبارك ففي المقابل انتعشت القوى المعادية للشيعة بصورة أكبر نتيجة لما تملكه من إمكانيات وما تقف ورائها من جهات..

وتمكنت هذه القوى من السيطرة على الشارع والبرلمان والحكم ..

كانت المواجهة في الماضي تنحصر في الدائرة الأمنية..

وأصبحت اليوم تنحصر في الدائرة العقدية..

من هنا أصبح الشيعة مهددون أكثر مما مضى..

ملاحق

ملحق (١)

خلفاء الدولة الفاطمية الشيعة في مصر

المعز لدين الله ٣٤١ – ٣٦٥ هـ (٩٥٢ – ٩٧٥ م)

العزيز بالله ٣٦٥ – ٣٨٦ هـ (٩٧٥ – ٩٩٦ م)

الحاكم بأمر الله ٣٨٦ – ٤١١ هـ (٩٩٦ – ١٠٢٠ م)

الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١ – ٤٢٧ هـ (١٠٢٠ – ١٠٣٥ م)

المستنصر بالله ٤٢٧ – ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ – ١٠٩٤ م)

المستعلي ٤٨٧ – ٤٩٥ هـ (١٠٩٤ – ١١٠١ م)

منشأ البهرة الآمر ٤٩٥ – ٥٢٣ هـ (١١٠١ – ١١٣٠ م)

الحافظ ٥٢٤ – ٥٤٤ هـ (١١٣٠ – ١١٤٩ م)

الظافر ٥٤٤ – ٥٤٩ هـ (١١٤٩ – ١١٥٤ م)

الفائز ٥٤٩ – ٥٥٥ هـ (١١٥٤ – ١١٦٠ م)

العاضد ٥٥٥ – ٥٦٧ هـ (١١٦٠ – ١١٧١ م)

ملحق (٢)

المحضر الذي ظهر في عهد الحاكم من قبل الخلافة العباسية طعنا في نسب الفاطميين..

الجويني ، كتاب تاريخ جهانكشاي ، تحقيق سيد جلال ، طهران ١٢٥٢ هـ

ص ٩٩ – ١٠٠

هذا ما شهد به الشهود، أن معد بن إسماعيل المستولي على مصر، هو معد بن إسماعيل عبد الرحمن بن سعيد ، وأنهم منتسبون إلى ديصان ابن سعد الدين ، ينتسب إليه الديصانية ، وأن سعيدا المذكور صار إلى المغرب ، ويسمى عبيد الله ويلقب المهدي ، وأن هذا الناجم الحاكم بمصر هو منصور ، الملقب بالحاكم – حكم الله عليه بالبوار والدمار – ابن نزار بن معد ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس – عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه –و لا يتعلقون منه بنسب ، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، لم يتوقف أحد من أهل بيوتات الظالمين من إطلاق القول في هؤلاء ، لأنهم خوارج أدعياء وأن هذا الإنكار لباطلهم كان سابقا بالحرمين ، وفي أول أمرهم بالمغرب انتشر انتشارا عظيما ، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق وزنادقة ملحدون معطلون ، وللاسلام حاجزون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون ، عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمور ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء ، وادعوا الربوبية ، وكتب ذلك في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة ، وشهد بذلك من العلويين الشرفاء : المرتضى والرضي الموسويان ، وجماعة منهم ، وشهد من الفقهاء المعتبرين الشيخ أبو حامد الاسفرايني ، وأبو الحسن القدوري ، وقاضي القضاة محمد بن أحمد ، وأبو عبد الله البيضاوي .

ملحق (٣)

النجف الأشرف – – – بغداد في ٣١ / ٣ / ١٩٦٥

السيد سماحة آية الله الإمام الشيخ علي كاشف الغطاء السلام عليكم ورحمة الله . .
وبعد : يتشرف سفير الجمهورية
العربية المتحدة بدعوة سماحتكم لحضور المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والذي ينعقد بالقاهرة من يوم الخميس ٢٨ من ذي الحجة سنة ١٣٨٤ هـ
الموافق ٢٩ من نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ إلى يوم السبت ٨ من محرم سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ٨ من آيار (مايو) سنة ١٩٦٥ م . ويسرنا أن نتلقى موافقة سماحتكم على قبول
هذه الدعوة . . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام السفير أمين حامد هويدي سفارة الجمهورية العربية المتحدة . ببغداد . تحريرا في ٦ / ٤ سنة ١٩٦٥ سنة ١٣٨٤
السيد سماحة آية الله الإمام الشيخ علي كاشف الغطاء السلام عليكم ورحمة الله . .
إلحاقا لكتاب السفارة المؤرخ ٣١ / ٣ / ١٩٦٥ بدعوة سماحتكم لحضور المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والذي ينعقد بالقاهرة ابتداء من ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩٦٥ . .
أتشرف بالإحاطة الى أنه قد تقرر تأجيل انعقاد المؤتمر السالف الذكر الى يوم ١٣ آيار (مايو) سنة ١٨٦٥ وذلك بمناسبة موسم الحج . . ويسرنا أن نتلقى موافقة سماحتكم على قبول هذه الدعوة . .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام
السفير أمين حامد هويدي نص برقيتي الدعوة المرسلة إلى الشيخ علي كاشف الغطاء لحضور مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني . .

ملحق (٤)

نص الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ الإمام علي كاشف الغطاء بمناسبة ذكرى كربلاء وأذيعت من صوت العرب مساء العاشر من محرم عام ١٣٨٥ هـ ١١ / ٥ / ٦٥ :

في تلك الغمرة العالمية من الاضطراب وفي ذلك الوقت الرهيب القلق الذي ساد العالم الإسلامي وفي ذلك الحين من التسابق بين الفئات التي لم يستحكم الإيمان في قلوبها لاكتساب القوة الحاكمة ونوال الحظوة لديها . .

كان يعز على أبي الضيم أبي الشهداء أن يقف مكتوب اليد ينظر إلى انهيار ما شيده جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبوه أمير المؤمنين والصحابة المجاهدون بحشد جميع ما يملكون من قوى معاديه ومعنوية لإخراج الأمة الإسلامية في قالب بديع الوضع والنظام . يعز على أبي الضيم أن تكون الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس بفضل التضحيات من سراة رجال الدين الحنيف أن تصبح تسودها اللامبالاة واللامسؤولية تتخبط في بحر من الشلل والفساد وترزخ تحت كابوس الاستعباد من أهل الاستبداد بعبئه الثقيل يخبت أنفاسها ، ويشل قواها ، ويقعدها عن النمو والتقدم نحو مغانم المجد والسؤدد..

وهذا ما حدى بأبي الضيم أبي عبد الله الحسين أن ينتفض فيشمر عن ساعدي الجد ليتدارك الأمر ويتلافى سوء المغبة مع المخلصين من أبناء أمته في عملية الإنقاذ والصلاح . فوقف في تلك الغمرة ، عالما بالمغبة ، عارفا بالمصير بقلب راسخ الإيمان كالطود الأشم وصرح بقوله :

إن كان دين محمد لم يستقم * إلا بقتلي يا سيوف خذيني

وقف ووراءه جيش من الخيرة ما أظلت الخضراء وأقلت الغبراء قد علموا أن لهم الشمس التي تشرق بنورها الأيام والكهف الذي يحيى به الإسلام ، فزحف لإعادة دور الحياة الحرة لأمته من جديد وللقضاء على الفوضى والتشويق في جميع الميادين وبعثها ثورة عارمة زعزعت بناء المعتدين وزلزلت حصون العابثين.. يستهدف بذلك بناء مجمع سليم من المساوئ والآفات ، نزيه من الباطل والعاهات .

متجرعاً من الغصص والمحن ما لا تبرك الإبل على مثله مضحياً بنفسه ونفيسة في سبيل إعلاء كلمة الله والدعوة لدينه الحنيف تضحيات هزت العالم الإسلامي ومجدت التاريخ ..

تلمس في جوانبها وأطرافها مجداً وشرفاً وهداية للحق وبداية للسعادة تجد فيها الدين والعقيدة ، ترى فيها التضحية والفناء في حب الخير ، تدرك فيها القيم الإنسانية بمثلها العليا ، تضحية جعلت العدو يفقد رشده وصوابه حتى أصبح يتخبط في دم سيد الشهداء ،ويغرق ببحر من دماء السادة الصلحاء ويستبيح المدينة المنورة ويحاصر البيت الحرام ويقذف الكعبة بحجارة المنجنيق . .

هذه صفحة من ثورة أبي عبد الله الحسين تقرأ فيها الخطط التي يجب أن يتخذها القادة والخطوات التي يلزم أن يتبعها السادة لنيل الأهداف الجليلة والغايات النبيلة..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

ملحق (٥)

مكتب شيخ الجامع الأزهر

بسم الله الر حمن الرحيم

نص الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية..

قيل لفضيلته : إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلا ؟ فأجاب فضيلته :

١ – إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول : إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان – ولا حرج عليه في شئ من ذلك..

٢ – إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة ، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب ، أو مقصورة على مذهب ، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونهم في فقههم ، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات..

التوقيع

شيخ الجامع الأزهر

ملحق رقم(٦)

خطاب الشيخ شلتوت إلى سكرتير جماعة التقريب بين المذاهب

السيد صاحب الفضيلة العلامة الجليل الأستاذ محمد تقي القمي

السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية سلام عليكم ورحمة الله . .

أما بعد . . فيسرني أن أبعث سماحتكم بصورة موقع عليها بإمضائي من الفتوى التي أصدرتها في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية ، راجياً أن تجعلو ها في سجلات دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أسمهمنا معكم في تأسيسها ووفقنا الله لتحقيق رسالتها..

والسلام عليكم ورحمة الله . .

ملحق (٧)

نص حوار روز اليوسف مع الإمام علي بن كاشف الغطاء عدد (١٩٣٠) ٨ يونيو ١٩٦٥..

الإمام علي كاشف الغطاء يقول :

الدين الإسلامي يساير الحضارة التي توفر السعادة للانسان..

زواج المتعة يجب أن يطبق في كل أنحاء العالم..

تحديد النسل جائز لمجرد أن الزوجة غير قادرة على تربية الأولاد..

تحقيق يكتبه عبد الله إمام

التقيت بأحد زعماء الشيعة في العراق : قال لي إنه سيعقد مؤتمراً في العراق للتقريب بين المذهب الشيعي والمذهب السني حتى لا يترك للاستعمار وأعداءه وحدة الكلمة أن يغذوا الخلافات الطائفية..

تحدث عن زواج المتعة وشرح كيف يمكن للر جل أن يتزوج امرأة لمدة محدودة شهرا أو شهرين أو ربما أقل بلا عقد مكتوب وبلا شهود مجرد موافقة شفوية بين الاثنين فقط . وتحدث عن الأزياء والموضات وعن السينما والتمثيل والاختلاط ، قال إنه لا يرى مانعا في أن تحدد المرأة نسلها ولكنه يعارض الإجهاض..

وا إمام الشيعة جاء إلى القاهرة على رأس وفد من علماء الشيعة لأول مرة ، واسمه الإمام آية الله علي كاشف الغطاء ، إنه واحد من عائلة كاشف الغطاء التي تتزعم الشيعة في العراق منذ أكثر من ثلاثة قرون ، ومقره مدينة النجف..

والإمام علي كاشف الغطاء هو أحد زعماء الشيعة في العراق ، عمره اثنان وخمسون عاما ، ولد في مدينة النجف وتخرج في مدرستها وهي أشبه بالأزهر الشريف..

وأعد قائمة طويلة من الكتب ، أخذ يعدد لي بعضها من أربعين مجلداً ، كتب تتضمن دراسات فلسفية ودينية وروحية و مناظرات ، وأبحاثاً عديدة في اللغة والنحو والأرواح والشياطين والجن والنفس . لم يترك مجالاً دون أن يكون له فيه دراسات ورأي ، ومن أبرز آرائه التي قالها بمجرد أن جلست معه إننا نعيش الآن في عصر

الصناعة كانت الحياة زمان ليس فيها شئ وأصبح فيها كل شئ ، حتى الطعام كان زمانا صنفا أو ربما صنفين ، وتطور كل شئ حتى أنواع الطعام..

وا ِن واجب علماء الدين أن يلاحقوا هذا التطور الهائل ، ولا يقفوا جامدين مكانهم ، فالاسلام لا يمكن أن يصطدم بالحضارة الصحيحة التي تتجسم فيها سعادة الإنسان ، بل إن الإسلام يوجب هذه الحضارة..

وهذه هي المرة الأولى التي يزور فيها الجمهورية العربية المتحدة ليحضر مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ، ومن المهم أن وفداً من علماء الشيعة جاءوا إلى المؤتمر وجاء وفد آخر من علماء السنة من العراق أيضا ،وجلسوا في قاعة واحدة تبادلوا فيها الرأي فيما يهم المسلمين..

ويرى الإمام ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد كلمة المسلمين ، فالفرقة لا يستفيد منها إلا المستعمر وليس هناك خلافات جوهرية في العقيدة بين المذاهب الإسلامية المختلفة..

ولزعيم الشيعة موقف مشرف إثناء تأميم قناة السويس ، فقد أصدر فتوى أيد فيها تأميم القناة ودعا فيها إلى مساندة الشعب المصري في معركته ، ولقد التقيت بالإمام في فندق أطلس بالقاهرة ، وكان محدداً لي أن أمضي معه نصف ساعة ، فأمضيت معه أربع ساعات لم أمل خلالها من حديثه ، وفتح لي الرجل قلبه ، وأجاب على كل سؤال ومن الطبيعي أن أول سؤال لي كان عن أوجه الخلافات بين المذهب السني والمذهب الشيعي..

قال : الخلافات ليست جو هرية ، وأنا أعجب أن المسيحية رغم ما بينها من اختلافات في العقائد فهي متفقة ، ونحن والحمد لله نتفق في العقيدة وا ِنما نختلف في الفروع ، والانشقاق الطائفي تحول إلى ترنيمة عذبة يرقص عليها الإستعمار والطامعون ، ونحن جميعا نؤمن أن الإسلام جاء للسعادة البشرية ، ومما لا شك فيه أن الانشقاق الطائفي والمذهبي ضد السعادة ..

الشئ الثاني أننا نقول إن كل شخص يتمسك بدينه الإسلامي ليعيش عيشة راضية في الآخرة وتختلف الأساليب لذلك ، وفي الحياة تجد اختلافاً في طرق المعيشة الأخروية ، وإني أعتقد أنه لو خرج محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للوجود لما رضي بهذا الانشقاق وبهذا الاختلافات التي سلطت علينا الأعداء..

هل هناك محاولات للتقريب بين المذهبين.. ؟

نعم . . هناك محاولات عظيمة ولعل مجمع البحوث الإسلامية يكون أحد الأسباب القوية في التقريب بين مذهب التسنن والتشيع ، وإني لأرجو له التوفيق في هذه الأعمال التي ترفع مستوي الإسلام والمسلمين في هذا العصر الذي تبلبلت فيه الأفكار وانعدمت فيه المثل العليا..

هل بذلت هذه المحاولات فعلاً..؟

لقد ظهرت بوادرها في المؤتمر الأخير لمجمع البحوث الإسلامية ، وأهمها ما كنا نلمسه من أعضائه من فتح باب للاجتهاد فهي خطوة موفقة للتقريب بين المذهبين..

على مستوي الجمهورية العراقية هل بذلت هذه المحاولات ؟

الجمهورية العراقية جادة بكل قواها لجمع الصف ووحدة الكلمة ، وأن ما تقوم به من الأعمال الدينية تبشر بالخير لإزالة الفرقة وتوحيد الكلمة ، وعند ما أعود إلى العراق فسوف أعقد مؤتمراً إسلامياً في العراق لنعرض فيه مشاكل المسلمين،والحوادث التي تمر عليهم ،وسنلتقي فيه برجالات السنة وعلمائهم ، ونأمل أن نوفق في هذا المؤتمر إلى توحيد كلمة المسلمين والقضاء على الطائفية..

الحقيقة أن هناك بعض الأحكام في المذهب الشيعي تتطلب فهماً ، أنا مثلا لا أفهم حكاية زواج المتعة..؟

قبل أن أشرح لك زواج المتعة أقول إنه لا حل لمشكلة الزواج بين الرجل والمرأة إلا بزواج المتعة وسيجئ يوم على العالم يكون الزواج فيه نوعاً من هذا القبيل ، وزواج المتعة زواج مؤقت بعقد محدود الأجل ، كأن يتزوج الإنسان لمدة شهر أو شهرين أو

سنة ، وعند انتهاء مدة العقد تنتهي آثاره ، ويستطيع الرجل أن ينهيه في أي وقت ، والعقد هنا غير مكتوب..

هناك شهود.. ؟

نحن لا نحتاج إلى شهود في الزواج عموماً ، ولكن في الطلاق لا بد من شهود ، على أن الأولاد الذين من هذا الزواج يلحقون بالرجل ، وإذا انتهى العقد وكانت المرأة حاملا لا تتزوج حتى تضع وليدها ، فإذا لم تكن حاملاً فإنها تمضي العدة..

هل يمكن أن يكون هذا الزواج لمدة يوم أو أسبوع..؟

يمكن ولكن هذا لا يحدث عادة..

وما الحكمة بوجوده بجوار الزواج الدائم..؟

هو في صالح المرأة والأسرة فإن فيه حلاً لمشاكل الطلاق ، ويجعل المرأة تعيش في حرص على أن يستمر هذا الزواج ويتجدد ، ولقد جربنا ما يقع من نتائج للعقد المؤقت للزواج فوجدنا نتيجة الدوام..

ولكن ذلك يجعل المرأة تعيش قلقة طول حياتها..؟

تعيش المرأة حياتها تحرص على جو التفاهم بينها وبين زوجها ، وأنا أعتقد أن مشاكل الزواج لن تحل إلا بالعقد المنقطع ، وسيأتي يوم كما قلت لا يكون الزواج إلا بالعقد المؤقت ، هذا فضلاً عن أن هذا الزواج يعصم من الانحراف..

هل يدفع الرجل نفقة للزوجة بعد ذلك..؟

لا إلا إذا اشترطت ذلك ، ولكنه لا بد أن يدفع مهراً ..

هل له إذا كان متزوجاً بأربعة أن يتزوج زواج المتعة أيضاً إلى جانب ذلك..؟

يمكن ولكن أي رجل يستطيع ذلك ، ولا بد أن تعرف أن الإنسان أحياناً يمر بلحظات ضعف فيكون الموقف أما زنا ، أو عقد زواج متعة ، والأفضل هو عقد المتعة..

والطلاق ، إن الأصوات ترتفع عندنا تطالب بتحديده..؟

نعم لا بد أن يحدد ، وعندنا هناك عوائق كثيرة ضد الطلاق ، فالطلاق المعلق لا يقع ، والطلاق في حالات الغضب لا يقع ، وأثناء الحيض لا يقع ، وفي طهر واقعها فيه

لا يقع ، ولا بد أن يكون أمام شاهدين من الشهود العدول ، بالاختصار لا بد من وضع قيود على الطلاق وإلا يكون لغواً ..

هناك أصوات أخرى تطالب بمنع تحديد تعدد الزوجات..؟

هذا يسبب من الخسارة أكثر مما يسبب من نفع ، وأنا لا أوافق على ذلك..

يثور أيضاً حديث حول أزياء المرأة وخروجها على المألوف فما رأيكم في ذلك..؟

الإسلام جاء لرفع مستوى المرأة وهو يمنع من تبرجها ، وأعتقد أن الصالح يقضي بذلك أيضاً حتى لا تدخل في شؤون الرجال ، فاشتراكها في شؤون الحياة تكلفها العناء والجمع بين موجبات البيت وموجبات العمل للرزق ،والثاني مهمة يصلح لها الرجل كما أن تبرجها ضرر عليها ، فالرجل عندما يرى المرأة الأجنبية بهذا الشكل والهندام يصبح في صراح نفسي بالنسبة لزوجته وقد يزهد عنها ، كما أن المتبرجة التي تظهر بهذا المظهر الخلاب لا تبقى على هذا المظهر ويخرج زوجها فيرى متبرجات..

أليس للمرأة إذن أن تعمل..؟

الدين لا يمنع من عملها ضمن الحدود الدينية ، ولكن هذا يكلفها فوق طاقتها..

تحديد النسل قضية مثارة الآن في بعض البلاد الإسلامية فما هو رأيكم فيها..؟

أولاً لا يجوز إسقاط الجنين في كل مراحل تكوينية ، وبعد ذلك فإن للمرأة أن تستعمل ما يمنعها عن الحمل ، أما استعمالها لذلك فهو يختلف باختلاف الظروف والأحوال ، بل باختلاف استعداد نفسها للتربية، فإذا كانت لا تستطيع أن تربي أولادها فلا مانع من منع الحمل أساساً..

بعض رجال الدين يحرمون السينما فما رأيكم..؟

السينما التي هي منافية للأخلاق فالدين لا يقبلها ، أما التي تبعث في النفوس المثل العليا ، فهذه لا بأس بها ونقول بجوازها..

والتمثيل في حد ذاته..؟

التمثيل إذا كان فيه خلاعة أو تشجيع علىالرذيلة فهذا لا نرضى به وهو محرم و لا تقبله الحضارة الصحيحة..

والغناء..؟

الصوت الحسن لا مانع من استماعه بشرط ألا يخرج الإنسان عن حدوده..

ملحق (٨)

نص رسالة مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ محمد حسين مخلوف إلى الشيخ الشعراوي حينما كان وزيراً للأوقاف يحرضه فيها على الشيعة وجماعة التقريب . .

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الشعراوي حفظه الله تحيات وإجلال . .

وبعد . . فقد هال الناس ما نشرته الصحف بما دار بينكم وبين داعية الشيعة الإمامية من الحديث والآراء ، ومعلوم على ما أجمع عليه أهل السنة بشأن الإمامة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من أن الخليفة بعده هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي..

وأن ما ذهب إليه الشيعة الإمامية بعد الرسول لعلي بن أبي طالب ثم لمن يليه إلى الإمام الثاني عشر باطل في القول الزور ،وكذلك من الباطل ما يزعمه بشأن الإمام الثاني عشر وخروجه آخر الزمان قرب الساعة ومعه ما حذف من القرآن بشأن خلافة علي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم..

إلى آخر ما هو مكتوب في كتب الشيعة الإمامية في هذا الشأن.

. كما أنه معلوم لفضيلتكم ما قام به هذا الداعية من إنشاء (جماعة التقريب)وإنشاء مجلة لها بمصر ،وانطواء الشيخ شلتوت لها مع نفر من المنحرفين عن أهل السنة والجماعة..

وما حرص عليه من وجوب تدريس مذهب الشيعة الإمامية بالأزهر أسوة بالمذاهب الأربعة ما تبع ذلك من أقوال وأعمال..

وإن افترق أمة الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة وإنها كلها في النار إلا واحدة وهي أهل السنة والجماعة وهم من كانوا على ما عليه الرسول وأصحابه معلوم لفضيلتكم..

وإن بلادنا مذ حماها الله من التشيع الضال وأقام أهلها على مذهب أهل السنة والجماعة ينصحون بكتاب الله وسنن رسول الله ويفعلون السنن عن الرواة الأمناء كما في كتب السنة وغيرها من كتب الحديث..

ومعلوم لفضيلتكم ما يقوله الشيعة الإمامية وغيرهم من فرق الشيعة البالغة خمس عشرة فرقة في شأن الخليفة الحق أبي بكر وأصحابه الذين بايعوه ومنهم عمر ابن الخطاب من الطعن الشديد..

وما يفعلونه ويقولونه في المدينة المنورة إلى الآن حين يحضرون للزيارة من الكلام والأعمال التي ينكرها الإسلام بإجماع ويحكم عليها بالبطلان..

ونحن جميعا ندعو إلى الإسلام الحنيف وإلى الاعتصام بكتابه العزيز وسنن نبيه الكريم ، ونعتمد في رواية السنن على الكتب الستة المعروفة وعلى الكتب الجارية على سننها..

وتقرر في كتب الفقه على المذاهب الأربعة كل ما جاء في الكتاب والسنة صحيحة وننبذ ظهرياً كل ما افترته الشيعة جميعاً من الإمامية وزيدية وغيرهما..

ونعيش مع الفرق ذوي الأهواء والنحل التي لم تخرج عن الإيمان بالله ورسوله معيشة هادئة طيبة لا تكفير فيها لفريق من الفرق ، أما مع الفرق الضالة التي تزعم ما هو كفر وضلال فلا يمكن أن نقرها على شئ منمزاعمها بل ننبذه تماماً ، ونرفع راية الإسلام عالية نقية..

لذلك نقول أن الشيعة الإمامية مبطلة في مزاعمها بشأن الخلافة ، وفي حكمها بجواز النكاح المتعة ، مخالفة لما ثبت في السنن من بطلانه..

ونقول إنهم مسلمون ولكن مبطلون في مخالفة أهل السنة والجماعة ، وحسبهم وحسبنا ذلك..

ويجب أن نكون نحن وهم قوة واحدة للدفاع عن الإسلام وصد هجمات أعدائه من أهل

الأديان الأخرى ، ومن ذول الملل والنحل الضالة الأخرى المذكورة في كتب الفرق قديماً ،وفي التاريخ الحديث كالقاديانية والبهائية والماسونية وغيرهم من فرق الضلال والجحود . ولا أريد أن أطيل على فضيلتكم في الحديث..

وانما أريد إكرام الضيف لكن لا على حساب أهل السنة والجماعة ، ولا على حساب نشر مذهب التشيع الإمامي وغير الإمامي في بلادنا التي برأها الله من الضلال والابتداع في الدين..

وا ِن مساعيه لإقامة مذهبه بمصر في مشيخة الشيخ شلتوت للأزهر وترغيب بعض علماء الأزهر في الانضمام لجماعته و مجلته بما يرغب معروف للجميع..

فنرجو أن تكون فضيلتكم كما أنتم داعياً إسلامياً قوياً تدعو إليه بما دعا إليه أهل السنةوالجماعة ، منكراً ما ذهب إليه أهل البدع والأهواء..

ومن الخير لكم بل من الواجب عليكم بعد كل هذا أن تبين للناس رأيكم في التشيع عامة والتشيع الإمامي خاصة، وأنكم لا زلتم نصير أهل السنة والجماعة قولاً وعملاً والله تعالى يوفقك..

وأخشى ما أخشاه أن يستغل الشيعة الإمامية موقفكم للدعوة إلى نحلتكم ويقولوا إن إماما من أئمة المسلمين قد انضم إلى مذهبهم وهو الداعية المعروف الشيخ الشعراوي أعاذك الله من ذلك ، وأبقاك عزاً للإسلام ، وداعياً قوياً إلى نصر أهل السنةو الجماعة القائمين على قدم الرسالةللعظمى بحق ويقين وا ِخلاص قوي متين..

والله الموفق .

ملحق (٩)

قائمة بأسماء بعض شيوخ وعلماء الأزهر الذين تعاملوا مع الشيعة وناصروها

* شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري
*شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي
* شيخ الأزهر الشيخ محمد شلتوت
* شيخ الأزهر الشيخ أحمد حسن الباقور ي
* وزير الأوقاف ومدير جامعة الأزهر الشيخ حسن المأمون
* شيخ الأزهر الشيخ محمد الفحام
* شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود
* شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن بيصار
* شيخ الأزهر الشيخ أحمد الشرباصي
* من علماء الأزهر الشيخ محمد أحمد المدني
* من علماء الأزهر الشيخ علي الخفيف
* من علماء الأزهر الشيخ عبد العزيز العيسي
* وزير شئون الأزهر الشيخ عبد الرحمن النجار
* من علماء الأزهر الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف
* من علماء الأزهر الدكتور علي عبد الواحد وافي
* من علماء الأزهر الشيخ السيد سابق
* الشيخ محمد متولي الشعراوي
* الشيخ محمد الغزالي

ملحق (١٠)

نماذج لبعض الكتب الشيعة التي طبعت في مصر

- أصل الشيعة وأصولها
- المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعى
- التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية
- المراجعات
- الشيعة وفنون الإسلام
- أكذوبة تحريف القرآن
- المختصر النافع في فقه الإمامية
- تفسير شبر
- تبصرة المتعلمين في أحكام الدين
- الفخري في الأحكام السلطانية
- فدك
- وسائل الشيعة ومستدركاتها
- نهج البلاغة
- الوضوء على ضوء الكتاب والسنة والسجود على التربة الحسينية
- عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى
- علي ومناوئوه
- دعائم الإسلام
- المناظرات

- الإمام الصادق ملهم الكيمياء
- علي لا سواه
- الثقلان : كتاب الله وعترتي
- الشيعة ونشأة العلوم الإسلامية
- دلائل الصدق وهو رد على الروزبهاني الذي رد على كتاب العلامة الحلي - نهج الحق وكشف الصدق

ملحق (١١)

نماذج لبعض الكتب التي صدرت ضد الشيعة في مصر في فترة الحرب العراقية الإيرانية

بين الشيعة وأهل السنة إحسان إلهي ظهير

الفتنة الخمينية سعيد حوي

عقيدة الإمامة عند الشيعة علي السالوس

وجاء دور المجوس ١ / ٢ عبد الله الغريب

الشيعة في الميزان محمد النحراوي

العقائد الشيعة -ناصر شاه

موقف الخميني من أهل السنة إحسان الهي ظهير
شهادة الخميني في الصحابة محمد الشقرة
موقف الخميني من الشيعة والتشيع محمود ناصح
الخميني وتزييف التاريخ محمود الشقرة
الخطوط العريضة محب الدين الخطيب
ماذا بعد البصرة علي جريشة
الشيعة المهدي الدروز عبد المنعم النمر
الشيعة و التصحيح موسى الموسوي
بداية الشر ونهج البربر رجاء المكي
الخميني أبرهة الجديد عبد المنعم قنديل
إلحاد الخميني في الحرم مقبل الوادعي
الثورة الايرانية في ميزان الإسلام محمد مال الله
الخميني وتفضيل الأئمة على الأنبياء محمد الشقرة
حوار مع الشيعة عبد المتعال الجبري
شهادات واقعية من داخل إيران عبد المنعم الغزالي
أخطار الثورة الإيرانية على العالم العربي حسنين كروم
الثورة البائسة موسى الموسوي
بروتوكولات خميني وآيات قم عبد الله الغفاري
قدسية الحرمين الشريفين جاد الحق
إيران بعد سقوط الخميني موسى الموسوي

- يلاحظ أن هذه الكتب صادرة عن تيارات وجهات مختلفة من الإخوان إلى الأزهر إلى السلفيين إلى اليساريين إلى المعارضين لإيران إلى المخابرات العراقية والسعودية ،وكتابها يمثلون جنسيات مختلفة، وبعضها بأسماء وهمية..

ملحق (١٢)

حوار عمر التلمساني مرشد الإخوان الراحل مع مجلة المصور عام ٨٢

المصور : ماذا ترى فيما هو حادث الآن في إيران ، وما هي الدروس المستفادة ؟

التلمساني : أولا الإيرانيون يأخذون بالمذهب الشيعي ونحن قوم سنيون والذي بين الشيعة والسنيين من خلاف ومصدره الشيعة وليس أهل السنة عميق وخطير ، وحين قام الخميني بالثورة أيدناه ووقفنا بجانبه ، مع ما بين أهل الشيعة وأهل السنة من خلاف جذري في العقائد ، أيدناه لوجود شعب مظلوم كان حاكمه يظلمه أشنع الظلم وأبشعه . .

وحين يتمكن هذا الشعب من التخلص من ذلك الاضطهاد لا نملك أن ننكر ذلك عليه ، نحن أيدناه من الوجهة السياسية لأن شعباً مظلوماً استطاع التخلص من حاكم ظالم واستعاد حريته ، ولكن من ناحية العقيدة السنة شئ والشيعة شئ آخر..

ما يجري الآن في إيران من مذابح وأمور خطيرة كنت أظن أنه مبالغ في وصفه ، ولكن ممن أثق بهم كل الثقة ، وممن يترددون بين إيران وبين أماكن أخرى أكدوا أن كثيرا جدا مما ينشر في الصحف حقيقة ، وأنا لا أقر هذا..

المصور : هل ما يجري في إيران اليوم يعتبر في نظرك مثالاً للدولة الإسلامية..؟

التلمساني : لا . .

المصور : لماذا..؟

التلمساني : لأنه لا يطبق فيها شرع الله ، أنا لا أطلب من الحاكم إلا تطبيق شرع الله فقط ، هذا كل ما يعنيني من الحاكم سواء كان أفندي أو خواجة أو بعمة أو سواء كان حافياً ، ما دام يطبق شرع الله ..

المصور : المشكلة إن الخميني يقول إنه يتكلم باسم الله..؟

التلمساني : هذه مشكلة هو يتحملها . . ولا يتحملها الإسلام . . كل ما يدعو لدعوة يؤاخذ عليها ..

المصور : ما الذي تأخذه الآن على نظام الخميني حتى يتجنبه المسلمون..؟

التلمساني : أولاً أنا لا أقر أن يعامل الشعب من حكامه بمثل هذه القسوة ، ومن حق أي إنسان في العالم أن يعارض الحكم كما يشاء . .

ولذلك لا يوجد في الإسلام العنف الذي نسمع عنه ،والذي يجري الآن في إيران وبالصورة التي أقرؤها وأسمع عنها لا يرضيني ، أنا لا أقر الاغتيال بأي صورة من الصور ، ولا أقر العنف ، أنا أرى أنا عثمان قتل مظلوما..

وكذلك الذهبي – وزير الأوقاف الذي اغتالته جماعة التكفير في منتصف السبعينات – والسادات، لأن الإدانة بأية جريمة في المجتمع الإسلامي حسب الشريعة الإسلامية لا بد وأن يتولاها القضاء ، كما أن التنفيذ لا بد وأن يتولاه الإمام ولا يوجد في الشرع

الإسلامي ما يبيح على وجه الإطلاق – ابتداء من عهد عثمان حتى الآن – لشخص أن يتولى القضاء والتنفيذ في وقت واحد ..

ملحق (١٣)

قصاصات صحف اعتقالات الشيعة

فهرس موضوعات الكتاب

تقديم..
من هم الشيعة..؟
تأريخ المذاهب في مصر
الصفحة السوداء
مصر والتشيع
الفاطميون ومصر
صلاح الدين ومصر
بقايا التشيع
أعيان الشيعة في مصر
مشاهد الشيعة
رحلات شيعية
الأزهر والشيعة
فضل الشيعة على مصر
البهرة
الغارة على الشيعة
ملاحق

صدر للمؤلف

السيف والطاغوت : الإسلاميون والحكم في مصر
أغلال وسياط : ثلاث سنوات تحت التعذيب بين الأمن والجماعات
الشيطان يسكن مصر
فراعنة وعبيد : مصر الوجه الآخر
الخلفاء والإسلام سقوط الإسلام الروائي
دفاع عن الرسول: ضد المسلمين

الكلمة والسيف: محنة الرأي في تأريخ المسلمين

السيف والسياسة: الصراع بيت الإسلام النبوي والإسلام القبلي

الخدعة : رحلتي من خط معاوية لخط الإمام علي

تغيير الخطاب الإسلامي

زواج المتعة حلال

العبادات: بين المذاهب والحكام

فرق أهل السنة : فرق الماضي وفرق الحاضر

العقل والنقل: أزمة السنة والشيعة

العقل والنقل : أزمة الإرهاب والتطرف

ثقافة الإرهاب : في كتب السلفية

فقهاء النفط: راية الإسلام أم راية آل سعود